من روائع البيان في سور القرآن

في البلاغة واللغة والنحو والتفسير وغير ذلك

جمع وإعداد وتصنيف
المهندس محمد هيات

قدم له:
د. زكريا توفيق إسماعيل

الجزء الأول

من بداية سورة الفاتحة وحتى الآية (١٧٦) من سورة البقرة

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

1435 - 1436 هـ

2014 م

E-mail: info@darlfikr.com
Email: darlfikr@cyberia.net.lb
E-mail: dar.elfikr@yahoo.com
Home Page: www.darlfikr.com

دار الفكر

الفرع الأول: حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي - ص ب: 11/7061
هاتف: 559900 - 559901 - 559902 - 559903-01 فاكس: 00961 1 559904
الفرع الثاني - ضهر المغارة - الشارع العام - الشوف - لبنان؛
هاتف: 985675 - 985674 - 985673 - 985672 - 985671 - 00961 7 985888

بيروت لبنان

مقدمة الكتاب

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

إن القرآن الكريم دستور السماء لأهل الأرض، هو مصدر عزة المسلمين، وهو المعجزة الخالدة الباقية، لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، خشع له ما في السموات والأرضين، وعرف قدره كل ما خلق من نار وماء وطين، تحدى الله به كل لسان، وأبهر به جميع الأفهام، حتى قال الجن عندما سمعوه (إنا سمعنا قرآناً عجبا).

ومع هذا يسّره الله للذكر، فهيأ له القلوب والعقول، حتى تبارى العلماء في كشف بعض أسرار إعجازه، وقد فعلوا وما زالوا يفعلون فتشعبت اتجاهاتهم، وتفرعت طرقهم، بعضهم قام بالتفسير، وبعضهم عرض لأسباب النزول، وكثيرون وقفوا عند وجوه الإعجاز التي اهتدوا إليها، وآخرون تصدوا للملحدين والفسقة الطاعنين في هذا الكتاب العظيم وما زال التنوع والاختلاف في الدراسات والأبحاث تترى، لكن الجميع يلتقي عند نقطة واحدة، عند مجمع الطرق (خدمة كتاب الله).

ولقد جاء هذا الكتاب الذي بين أيدينا ضمن هذه السلسلة الدينية القرآنية، فسمّاه مؤلفه سعادة الأستاذ المهندس/ مثنى محمد هبيان - حفظه الله- " من روائع البيان في سور القرآن "، والكتاب يقع في ثلاثة عشر مجلداً، التزم فيه المؤلف منهجاً

علمياً رسمه لنفسه منذ البداية، حيث سار على خطى الترتيب المكاني للسور في المصحف الشريف، مبيناً هدف كل سورة بشكل مختصر، ورابطاً بين خواتيم السورة السابقة وفواتح السورة التي تليها، ثم مبيناً ما هدي إليه من اللمسات البيانية في كل سورة على شكل أسئلة وأجوبة، معتمداً في كثير من الأحيان على الإحصاءات العددية والجداول المفهرسة.

وقد أراد المؤلف من وراء هذا الكتاب أن يؤكد بالأدلة على أن الأسلوب القرآني يجري على نسق بديع خارج عن المألوف من نظام جميع كلام العرب شعره ونثره، مع أنه منظوم من نفس تلك اللغة، ومن أجل هذا طال هذا الكتاب وطالت معه الفائدة والمتعة معاً.

أقدم خالص شكري وتقديري وإعزازي للأستاذ المهندس/ مثنى هبيان على ما بذله من جهد في خدمة كتاب الله، وأعترف له باحترامي وتقديري للمرة الثانية على أمانته العلمية، حينما أكد في مقدمته على أن كل ما له من فضل في هذا الكتاب ينحصر في جمع المعلومات وكتابتها وترتيبها، وأن الفضل ينسب لمن صنَّف أولاً.

أسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناته، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

دكتور/ زكريا توفيق إسماعيل

جمهورية مصر العربية

محاضر سابق بكلية اللغة العربية

بجامعة أم القرى في مكة المكرمة

تقديم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ رافع لواء الهدى ، وخير الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين .

أمّا بعد :

فإنّ القرآن الكريم هو كلام الله تعالى أوحى به لنبيه ﷺ، وهو الدليل الأعظم على نبوته ورسالته للعالمين ، وقد تحدى هذا القرآن البشر على أن يأتوا بمثله فعجزوا ولم يقدروا على ذلك ، كما عجزوا عن معارضته فصار القرآن معجزاً لهم .قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء ٨٨.

وإنّ (إعجاز القرآن) هو حقيقة واضحة مقررة ، وهو وسيلة لإثبات مصدر القرآن الرباني وأنه كلام الله سبحانه وتعالى ، وينتج عن ذلك بشكل تلقائي الإقرار بنبوة محمد ﷺ الذي بعثه الله رسولاً ورحمة للعالمين .

وإنّ هذا القرآن القادم من الملأ الأعلى ، والذي نزل به سيدٌ من كبار سادات الملأ الأعلى وهو جبريل عليه السلام ، فيه من الأسرار ودواعي الإعجاز ما يُعجز أهل الدنيا عن حصره وعده .

وكلما أمعنت النظر والتدقيق والموازنة بين الآيات ازددت يقيناً وبصيرة في ذلـك، وانتهيت إلى حقيقةٍ مسلّمةٍ أنّ هذا القرآن لا يمكن أن يكون من كلام البشر، وأن الخلق جميعاً لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثله ما قدروا عليه ولا قاربوا.

ولذلك كان العيش مع بعض أسرار القرآن الكريم هو متعة بحد ذاتهـا ، لا يحس بها إلا مَنْ عاشها وتذوقها، وإن التبصّر بـأسرار التعبـير والاقـتراب مـن مـواطن الفـن والجمال التعبيري فيه من الشعور بسعادة غامرة وسمو روحي لا يعرفه إلا من جاء ينهل من منهل هذا الكتاب المعجز بعقل متفتح وقلب يقظان .

والتعبير القرآني الواحد قد تجد فيه إعجازاً لغوياً جمالياً، وترى فيه في الوقت نفسه إعجازاً علمياً أو إعجازاً تاريخياً أو إعجازاً نفسياً أو إعجازاً تربوياً أو إعجازاً تشريـعياً ، أو غير ذلك .

وأحبُ أنْ أُبيّن في مقدمة هذا الكتاب أنّ ما جمعته من روائع البيان وبيـان مـواطن الفن والجمال هي ليست بقصد حصر مواطن الإعجاز ، حتى ولا بعض مواطنـه، وإنـما هو غيض من فيض ، وهذه الروائع بحد ذاتهاهي ملامحُ ودلائلُ وإضاءاتٌ توضع على الطريق لتدل السالك على أنّ هذا القرآن هوكلام الله تعالى ، وقـد جـاء القـرآن بصـيغة كلام فنيٌ مقصود وُضع وضعاً دقيقاً ونُسج نسـجاً محكـماً فريـداً ، لا يشـابهه كـلام ولا يرقى إليه حديث ، حُسِبَ لكل كلمة فيه حسابُها ، بل لكل حرفٍ ، بل لكل حركة .

أمّا شأن الإعجازككل ، فهيهات ، إنه أعظم من كلِ ما نقول ، وأبلغ مـن كـلِ مـا نصِف ، وأعجب من كل ما نقف عليه من دواعي العجـب .وسـيبقى القـرآن مفتوحـاً

للنظر لمن يأتي بعدنا في المستقبل ، وسيجد فيه أجيال المستقبل من ملامح الإعجاز واشاراته ما لم يخطر على بال . قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ فصلت ٥٣.

كما أحب أن أوضح في البداية للقارىء الكريم النقاط التالية :

١ـ كنت قد بدأت منذ سنوات عديدة نتيجة لحبي الشديد لجمال اللغة العربية بجمع المعلومات البلاغية واللغوية بقصد الاطلاع الشخصي فقط وليس للنشر، وذلك من كتب الدكتور فاضل السامرائي المختلفة، وكذلك من حلقاته التلفزيونية (لمسات بيانية) التي كان يقدمها في تلفزيون الشارقة، ومن بعض التفاسير مثل تفسير الرازي وتفسيرالشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى ،وكنت أكتب المعلومات في أوراق مستقلة دون كتابة المراجع ، ثم تَجمّع عندي بمرور الوقت ركام كبير من الأوراق ، مما جعلني أفكربالاستعانة بالحاسوب ، وقد كان ذلك .

ثم رأيت بعد سنوات وبقصد أن تعم الفائدة أن أجمع الأسئلة والأجوبة لكل آية وأرتّبها حسب ترتيب آيات القرآن الكريم ، وذلك مما تجمّع عندي من فضل الله تعالى ليسهل الرجوع إليه عند اللزوم ، ثم رأيت أن أطبع ذلك في كتاب، لذلك فليعذرني القارىء الكريم حيث لم أبيّن مصدر المعلومات عند كل جواب، وإنما ذكرت المراجع بشكل عام في نهاية الكتاب ؛ لذا أرجو المعذرة ؛ إذ كان لي فقط جمع المعلومات وكتابتها وترتيبها، وهي بالأصل من أصحابها وإليهم ينسب الفضل، وجزاهم الله عنا كل خير ، وشأني في ذلك شأن ما فعله العلامة ابن منظور المصري في مقدمته في كتاب لسان العرب حيث قال : (وليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمُتُّ بها، ولا وسيلة أتمسك بها ، سوى أني جمعت ما تفرق في تلك الكتب من العلوم ، وبسطت القول فيه ولم أقنع

باليسير ، وطالب العلم منهوم ، فمن وقف فيه على صواب أو زلل ، أو صحة أو خلل فعهدته على المصنف الأول ، وحمده وذمه لأصله الذي عليه المعوّل، لأنني نقلت عن كل أصل مضمونه ....) .

٢ـ وإذا كان للقارىء الكريم رأي آخر في أمر معين ، أو اعتبرأنّ الإجابة غير صحيحة أو غير واضحة ، فأطلب منه الصبر والعذر وألا يبخل عليّ بدعوة يسأل الله فيها أن يبصّرني بالصواب وأنْ يعطيني أجر ذلك .

٣ـ كما أرجو كذلك أن يعذرني القارىء الكريم عن أي خطأ ورد في الإحصاءات العددية لتكرار شيء في القرآن الكريم ؛ فقد عملت ما في وسعي لتدقيقها ، لكنْ لا يمكن الوصول إلى الكمال ، فالكمال لله وحده .

٤ـ كان منهاج هذا الكتاب لكل سورة من سور القرآن الكريم هو على الشكل التالي:

آ ـ الربط بين خواتيم السورة السابقة ومفتتح السورة التي تليها في التسلسل القرآني المعروف وبشكل مختصر .

ب ـ بيان هدف السورة بشكل مختصر .

ج ـ بيان (من اللمسات البيانية في السورة) على شكل أسئلة وأجوبة لتسليط الإضاءة على نقطة السؤال.

د ـ تناسب مفتتح السورة مع خاتمتها .

٥ـ معظم الأسئلة والأجوبة هي في سياق البيان والنحو والبلاغة من حيث التشابه والاختلاف في التعبير ، والذكر والحذف ، والتقديم والتأخير ، وإجراء الموازنات بين الآيات المتشابهة .

كما أنّ هناك أموراً أخرى ذُكرت في مواطنها لبعض الأسئلة وهي تعتبر قليلة مثل بعض اللطائف العددية في بعض الآيات لمن يهمه هذا المجال ، وأعتذر ممن له رأي آخر في هذا .

٦ـ كما أنني قمت بعمل فهارس لمنظومات بعض الكلمات القرآنية ليسهل على القارىء الرجوع إليها في الكتاب .

٧- كما قمت أيضاً بعمل فهرس لأهم الفقرات النحوية التي وردت في الكتاب ليستفيد منها القارىء الكريم .

٨ـ وأود أن أنوه إلى أن هذا العمل هو لوجه الله تعالى وليس للكسب المادي الدنيوي.

٩ـ ثم إنني أثني بالشكر والتقدير لمن قدّم أي نوع من أنواع المساعدة برأي سديد أو توجيه مفيد ، أو ساعد في الإعداد والتنسيق والطباعة ، وكذلك أقدم شكري لأي جهدٍ أو تشجيعٍ تلقيته من أخ أو أخت ، سائلاً المولى القدير أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم جميعاً ، وأن يثيبهم الله من فضله ، إنه جواد كريم .

وهنا لا بد من أُقدّم أجزل الشكروأعطر الثناء لأستاذي القدير الدكتور فاضل صالح السامرائي حفظه الله ورعاه ،الذي كان له أكبر الأثر في جمع المعلومات والتشجيع والتشاور من خلال كتبه المميزة ومحاضراته وحلقاته التلفزيونية .

وكذلك أقدم شكري الجزيل للدكتورين الكريمين أحمد الكبيسي ـ وحُسام النعيمي؛ حيث استفدت كثيراً من الحلقات التلفزيونية التي كانا يؤديانها.

وكذلك أقدم شكري الكبير للأخت الكريمة سمر أرناؤوط وزميلاتها؛ حيث استفدت من المعلومات التي أعدتها في موقعهاعلى الإنترنت .

كما أخص بالذكر والشكر الأستاذ في اللغة العربية أخي عبد الجبار لطفي لتفضله في المراجعة اللغوية وتقديم المساعدة في إتمام إخراج هذا الكتاب .

كما أشكر الدكتور زكريا توفيق إسماعيل على جهوده الكبيرة في المراجعة اللغوية للكتاب مما ساعد كثيراً في إتمام هذا العمل بشكل جيد .

اللهم هذا جهد المُقِل وبضاعة المقصّر فتقبله مني يا أرحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين ، وما كان فيه من خير فمن فضلك وتوفيقك يا رب العالمين وما كان فيه من خلل أو زلل فمن قصورٍ مني وتقصير .

اللهم أقلْ عثرتي وأزلْ زلتي واغفرْ لي ذنبي وامحُ خطيئتي واجمعني ووالديّ والقارىء الكريم ومن أحببناه فيك في جنتك من فضلك وكرمك ، إنك على كل شيء قدير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المهندس

مثنى محمد هبيان

الاستعاذة

قال الله تعالى :

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف:١٩٩-٢٠٠].

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون:٩٧- ٩٨].

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٤-٣٥-٣٦].

فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها ، وهو أنّ الله تعالى يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه ليرده عن طبعه - الطيِّب في الأصل - إلى الموالاة والمصافاة، ويأمر بالاستعاذة من العدوِّ الشيطانيِّ لا محالة ، إذ لا يقبل مصانعة ولا إحساناً ، ولا يبتغي غير هلاكِ ابنِ آدم لشدَّةِ العداوة بينه وبين أبيه آدمَ عليه السلام من قبل .

والشيطان في لغة العرب : مشتَقٌّ من - شطن - إذا بَعُدَ ، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر وبعيد بفسقه عن كل خير ، وقيل هو مشتَقٌّ من - شاط - لأنه مخلوق من النار .

روى مطعم بن جبير عن النبي ﷺ حين افتتح الصلاة قال : «**الله أكبر كبيراً، ثلاث مرات، والحمد لله كثيراً، ثلاث مرات، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً**»، ثلاث مرات ثم قال ﷺ: «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من هَمزِه ونَفخِه ونَفثِه**» .

والرَّجيمُ: معناه المرجومُ أي: ملعونٌ، كما قال تعالى للشيطان: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٣٤﴾ [الحِجر:٣٤] .

والاستعاذة هي: الالتجاء والاستجارة إلى الله تعالى لتجنُّب ودفع كل ذي شر، ولطلب كل ذي خير ، وجاء بالصيغة الفعلية لتدلَّ على الحدوث والتجدُّد .

والاستعاذة لا تتمُّ إلا بعلم العبد بكونه عاجزاً عن جلب المنافع الدينية والدنيوية، وعن دفع جميع المضار الدينية والدنيوية ، وأنّ الله تعالى وحده هو القادر على إيجاد جميع المنافع ودفع جميع المضار ، فإذا حصل هذا العلم ، حصل للقلب انكسار وتواضع وخضوع .

والآياتُ تطلب منا الاستعاذة من الشيطان قبل أن نقرأ القرآن ؛ ذلك لأن كل مخلوق إذا اتجه إلى خالقه واستعاذ به يكون هو الأقوى برغم ضعفه لأنك جعلت الله في جانبك ، ونحن حينما نصفي جهاز استقبالنا لحسن استقبال كلام الله ،لا نفعل ذلك بقدراتنا نحن ولا بقوتنا ولكن بالاستعانة بقوة وقدرة الله ، لماذا؟ لأن معوِّقات المنهَج عند الإنسان المؤمن إنما هي من عمل الشيطان.

وعطاء الله في القرآن الكريم متساوٍ لجميع الخلق ولكن كل إنسان يأخذ على قدر إيمانه، فالقرآن يُقرأ والناس تسمع ، ولكن هل يتقبل الجميع القرآن تقبُّلاً متساوياً ؟ بالطبع لا.

والله سبحانه يريدنا عندما نقرأ القرآن أن نُبعِدَ الشيطانَ عن أنفسنا قبل أن يُبعِدَنا هو عن منهج الله وعن آياته .

وبما أننا لا نرى الشيطان وهو يرانا ولا نعرف أين هو، بينما هو يعرف أين نحن ، فلا بد من أن نستعيذ بقوةٍ تستطيع أن تقهره ، فطلب الله منا أن نستعيذ به وأن نلجأ إليه لأنه هو القادر على أن يحمينا ويصفي قلوبنا ونفوسنا من همزات الشياطين ، فيحسن استقبالنا للقرآن وآياته فتمسّ آياتُه قلبَك ونفسَك وتكون لك هدىً ونوراً .

سؤال : هل من فرق بين الرجيم والمرجوم؟

جواب : عندنا لغتان: فعيل ومفعول. فعيل نسميها صفةً مشبَّهةً كأن الرجم لازم له . وعندما نقول : مرجوم، في لغة تميم تقول: مفعول، وفي لغة الحجاز تقول أحياناً: فعيل ، لكن هنا ليست بفارق اللغة، وإنما اختيرت الصفة المشبهة التي تدل في الغالب على الثبات ، وهذا يعني أنّ صفة الرجم لاصقة به. أمّا المرجوم فقد يكون مرجوماً الآن لكن لا يكون مرجوماً بعد ساعة، بينما (رجيم) هو صفته اللاصقةُ به أي أن عليه هذا الرجم دائماً.

من لطائف الاستعاذة :

١ـ في قوله :(أعوذ بالله) عروج من الخلق إلى الخالق .

٢ـ الاستعاذة اعترافٌ بعجز النفس وبقدرة الرب .

٣ـ أنّ الإقدام على الطاعات لا يتيسر إلا بعد الفرار من الشيطان .

٤ـ أنّ سر الاستعاذة هو الالتجاء إلى قادر يدفع الآفات عنك .

٥ـ الشيطان عدوٌّ للإنسان .

٦ـ الاستعاذة طهور للفم مما كان يتعاطاه العبد من اللَّغو والرَّفث وتطييبٌ له وهو يتهيأ لتلاوة كلام الله ، وهي أيضاً تنظيف للقلب من لَوث وسوسة الشيطان .

٧ـ إنما قال : (أعوذ بالله) ولم يذكر اسماً آخر بل ذكر (الله)؛ لأنّ هذا الاسم أبلغُ في كونه زاجراً عن المعاصي عن سائر الأسماء والصفات؛ ولأنه فقط الإله المستحق للعبادة.

٨ـ عندما يقول العبد (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) دلّ ذلك على أنه لا يرضى بأن يجاور الشيطان .

٩ـ الشيطان اسم، والرجيم صفةٌ، فذكر الحق سبحانه الاسم والصفة ، فكأنّ الله يقول لك إنّ هذا الشيطان بقي في الخدمة ألوفاً من السنين فلما تكبر رجمناه وطردناه ، وأنت لو جلس معك لحظة واحدة لألقاك في النار، فكيف لا تشتغل بطرده ولعنه، فقل: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).

١٠ـ للعبد عَدُوَّان : أحدهما ظاهرٌ والآخر باطنٌ وهو مأمور بمحاربتهما لكن محاربةُ العدو الباطن ـ وهو الشيطان ـ أولى؛ لأنه إن وجد فرصةً فهي في الدين واليقين، وإنْ غلبك كنت مفتوناً ، وأمّا العدو الظاهر ففي متاع الحياة الدنيا، وإنْ غلبك كنت مأجوراً.

١١ـ أدخَلَ الألفَ واللامَ في (الشيطان) ليكونَ تعريفاً للجنس؛ لأن الشياطين كثيرة مرئيةٌ وغير مرئيةٍ .

١٢ـ كأنه تعالى يقول : (إنه شيطان رجيم ، وأنا رحمن رحيم) فابعد عن الشيطان الرجيم لتصل إلى الرحمن الرحيم .

١٣ـ أعوذ : فعل مضارع يصلحُ للحال حقيقةً وللمستقبل مجازاً .

والله أعلم .

سورة الفاتحة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القرآن الكريم منذ اللحظة التي نزل فيها ، نزل مقروناً باسم الله سبحانه وتعالى ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ①﴾[العلق:١] ونحن حينما نقرأ القرآن نبدأ نفس البداية .

وإننا مطالبون أن نبدأ كل عمل باسم الله؛ لأننا لا بدّ أن نحترم عطاء الله في كونه ، فحين نزرع الأرض مثلاً لا بدّ أن نبدأ باسم الله؛ لأننا لم نخلق الأرض التي نحرثها، ولا خلقنا البذرة التي نبذرها، ولا أنزلنا الماء من السماء لينمو الزرع ،وهكذا.

وأنت حين تبدأ كل شيء باسم الله كأنك تجعل الله في جانبك يعينك .

ومن رحمة الله سبحانه أنه علّمنا أن نبدأ كل شيء باسم الله ؛ لأنّ الله هو الاسم الجامع لصفات الكمال سبحان، والفعل عادة يحتاج إلى صفات متعددة ، فلو أنّ الله لم يخبرنا بالاسم الجامع لكل الصفات كان علينا أن نحدد الصفات التي نحتاج إليها، كأن تقول : باسم القوي، وباسم الرزاق، وباسم المجيب، وباسم القادر، إلى غير ذلك من الأسماء والصفات، ولكنّ الله تعالى جعلنا نقول :﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الجامع لكل هذه الصفات .

قال رسول الله ﷺ : «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع**» أي: عمل ناقص فيه شيء ضائع ، لأنك حين لا تبدأ العمل باسم الله قد

يصادفك الغرور بأنك أنت الذي سخرت ما في الكون ليخدمك وينفعل لك، وحين لا تبدأ العمل باسم الله فليس عليه جزاء في الآخرة فتكون قد أخذت عطاءه في الدنيا وبترت عطاءه في الآخرة ، أمّا إذا أردت عطاء الدنيا والآخرة فأقبل على كل عمل باسم الله .

وعندما تبدأ قراءة القرآن باسم الله الذي آمنت به رباً وإلهاً والذي عاهدته على أن تطيعه فيما أمر وفيما نهى ، وأنه خلق وأوجد ، ويحيي ويميت، وله الأمر في الدنيا والآخرة، وأنه سيثيبك في الآخرة تشعر أنّ البداية من الله والنهاية إلى الله سبحانه وتعالى.

ونلاحظ أنّ هناك ثلاثة أسماء لله قد تكررت في البسملة وفي سورة الفاتحة، وهذه الأسماء هي : (الله ـ الرحمن ـ الرحيم) ونقول إنه ليس في القرآن تكرار، وإذا تكرر اللفظ فإنّ معناه في كل مرة يوحي بدلالة جديدةعن معناه في المرة السابقة؛ لأنّ الله هو المتكلم ؛ لذلك فهو يضع اللفظ في مكانه الصحيح وفي معناه الصحيح .

وقولنا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ هو استعانة بقدرة الله حين نبدأ فعل الأشياء، وهي كذلك طلب العون من الله بكل كمال صفاته .

و﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ في البسملة لها معنى غير ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ في الفاتحة ، ففي البسملة هي تذكرنا برحمة الله وغفرانه وتوفيقه حتى لا نستحي من أن نستعين به إن كنا قد فعلنا معصية، والله يريدنا أن نستعين باسمه دائماً في كل أعمالنا ، فاذا سقط واحد منا في معصية ، قال: كيف أستعين باسم الله وقد عصيته؟

نقول له: ادخل عليه من باب الرحمة يغفر لك واستعن به يجبك ، وأنت حين تسقط في معصية تستعيذ برحمة الله من عدله؛ لأنّ عدل الله لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولولا أن رحمة الله سبقت عدله ما بقي للناس نعمة وما عاش أحد على ظهر الأرض ، فالله يقول في سورة النحل : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النحل:٦١]

والإنسان خلق هلوعاً ضعيفاً وذنوبه كثيرة ، ولا يمكن لأحد أن ينسب الكمال إلى نفسه حتى الذين يبذلون أقصى جهدهم في الطاعة ، والنبي ﷺ يقول: «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**».

ولكن ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في الفاتحة مقترنةٌ برب العالمين الذي أوجدك من عدم وأمدك بنِعَمٍ لا تعد ولا تحصى، فأنت تحمده على هذه النعم التي أخذتها برحمة الله في ربوبيته ، ذلك أنّ الربوبية ليس فيها من القسوة بقدر ما فيها من رحمة.

والله سبحانه رب للمؤمن والكافر، وقد جعل الله رحمته تسبق غضبه، وهذه رحمة تستوجب الشكر، لذلك في الفاتحة تأتي ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ بمعنى رحمة الله في ربوبيته لخلقه؛ فهو يمهل العاصي ويفتح أبواب التوبة لكل من يلجأ إليه.

كذلك علمنا الحق أن نقول: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لكي نعرف أنّ الباب مفتوح للاستعانة بالله ، وأنّ المعصية لا تمنعنا من الاستعانة في كل عمل باسم الله؛ لأنه رحمن رحيم .

الفاتحة

أولاً ـ هدف السورة: شاملة لأهداف القرآن :

سُمِّيت الفاتحة، وأم الكتاب، والشافية، والوافية، والكافية، والأساس، والحمد، والسبع المثاني، والقرآن العظيم ، كما ورد في «صحيح البخاريِّ» أنّ النبيَّ ﷺ قال لأبي سعيد بن المعلّى: «**لأعلّمنّك سورة هي أعظم السور في القرآن: الحمدُ لله ربِّ العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**» وقد وصفها الله تعالى بالصلاة.

فما سِرُّ هذه السورة؟

سورة الفاتحة مكية، وآياتها سبع بالإجماع ، وسميت الفاتحة لافتتاح الكتاب العزيز بها فهي أول القرآن ترتيبا لا تنزيلاً، وهي على قصرها حوت معاني القرآن العظيم واشتملت مقاصده الأساسية بالإجمال، فهي تتناول أصول الدين وفروعه: العقيدة، العبادة، التشريع، الاعتقاد باليوم الآخر، والإيمان بصفات الله الحسنى، وإفراده بالعبادة والاستعانة والدعاء والتوجه إليه جلّ وعلا بطلب الهداية إلى الدين الحق والصراط المستقيم، والتضرع إليه بالتثبيت على الإيمان ونهج سبيل الصالحين وتجنب طريق المغضوب عليهم والضالين ، وفيها الإخبار عن قصص الأمم السابقة والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الأشقياء، وفيها التعبد بأمر الله سبحانه ونهيه وغير ذلك من مقاصد وأهداف، فهي كالأم بالنسبة لباقي السور الكريمة، ولهذا تسمى بأمِّ الكتاب.

إذن اشتملت سورة الفاتحة على كلِّ معاني القرآن، فهدف السورة الاشتمالُ على كل معاني وأهداف القرآن.

والقرآن نصَّ على : العقيدة والعبادة ومنهج الحياة. والقرآن يدعو للاعتقاد بالله، ثم عبادته، ثم حدد المنهج في الحياة، وهذه نفسها محاور سورة الفاتحة:

١ـ العقيدة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٢-٣-٤].

٢ـ العبادة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥].

٣ـ مناهج الحياة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:٦-٧].

وكل ما يأتي في كل سور وآيات القرآن هو شرح لهذه المحاور الثلاث.

٤ـ تذكّرُ سورة الفاتحة بأساسيات الدين؛ ومنها:

آ ـ شكرُ نعم الله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ .

ب ـ الإخلاص لله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥].

ج ـ الصحبة الصالحة ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧].

د ـ وتذكُّرُ أسماء الله الحسنى وصفاته ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة:٣].

هـ ـ الاستقامة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة:٦].

و ـ الآخرة ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٤] ويوم الدين هو يوم الحساب.

ز ـ أهمية الدعاء.

ح ـ وحدة الأمة ﴿نَعْبُدُ﴾ ﴿نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] ورد الدعاء بصيغة الجمع مما يدل على الوحدة، ولم يرد بصيغة الافراد.

إذن سورة الفاتحة تُسَلسِلُ مبادئَ القرآن (عقيدة، عبادة، منهج حياة) وهي تثني على الله تعالى وتدعوه؛ لذا فهي اشتملت على كل أساسيات الدين.

أنزل الله تعالى الكتب الثلاثة (الزبور، التوراة، والإنجيل) ثم جمع هذه الكتب الثلاثة في القرآن، وجمع القرآن في الفاتحة، وجُمعت الفاتحة في الآية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [الفاتحة:٥].

وقد افتتح القرآن بها فهي مفتاح القرآن، وتحوي كل كنوز القرآن، وفيها مدخلٌ لكل سورة من باقي سور القرآن ، وبينها وبين باقي السور تسلسلٌ بحيث إنه يمكن وضعها قبل أي سورة من القرآن ويبقى التسلسل بين السور والمعاني قائماً.

ثانياً ـ أسماء هذه السورة :

١ـ فاتحة الكتاب.

٢ـ سورة الحمد.

٣ـ أم القرآن.

٤ـ السبع المثاني.

٥ـ الوافية.

٦ـ الواقية.

٧ـ الأساس.

٨ـ الشفاء.

٩ـ الصلاة : في الحديث القدسي « **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي** ».

١٠ـ سورة الشكر.

١١ـ سورة الدعاء.

وهناك أسماء أخرى ، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى .

ثالثاً ـ فضل السورة :

الآن وقد عرفنا أهداف سورة الفاتحة التي نكررها (١٧) مرة في صلاة الفريضة يومياً ما عدا النوافل، لا شك أننا سنستشعر هذه المعاني ونتدبر معانيها ونحمد الله تعالى ونثني عليه وندعوه بالهداية لصراطه المستقيم.

وسورة الفاتحة مكية على قول أكثر العلماء، وفي فضائلها ذكر العلماء أنّ منها :

آ ـ نزلت من كنز تحت العرش .

ب ـ قال الحسين رضي الله عنه : أودع الله سبحانه العلوم في الكتب الأربعة : التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم هذه الأربعة في القرآن، ثم أودع علوم القرآن في المُفصَّلِ، ثم أودع علوم المفصَّلِ في الفاتحة .

ج ـ فاتحة الكتاب شفاءٌ من السُّمِّ، كما في حديث حذيفة بن اليمان .

د ـ وسورة الفاتحة تعلمنا كيف نتعامل مع الله، فأولها ثناء على الله تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[الفاتحة:٢]، وآخرها دعاء لله بالهداية ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾[الفاتحة:٦] ولو قسَّمنا حروف سورة الفاتحة لوجدنا أنّ نصف عدد حروفها ثناء (٦٣ حرفاً) من ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ونصف عدد حروفها دعاء (٦٣ حرفاً) من ﴿ٱهْدِنَا

﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ إلى ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وكأنها إثبات للحديث القدسي: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فاذا قال العبد: (الحمد لله رب العالمين) ، قال الله عز وجل: حمدني عبدي، وإذا قال: (الرحمن الرحيم) قال الله عز وجل: أثنى علي عبدي، وإذا قال : (مالك يوم الدين)، قال عز وجل: مجَّدني عبدي، وقال مرَّةً: فوّض إلي عبدي، فإذا قال: (إياك نعبد وإياك نستعين) قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين) قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**» فسبحان الله العزيز الحكيم الذي قدّر كلَّ شيء.

وقد سُئِلَ عمرُ بن عبد العزيز رضي الله عنه : لماذا تقف بعد كل آية من آيات سورة الفاتحة؟ فأجاب : لأستمتع بردِّ ربي.

❁❁❁❁

رابعاً ـ اللمسات البيانية في السورة :

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى الباء في قوله تعالى ﴿بِسْمِ﴾؟ وما متعلَّقُها؟

الجواب:

البصريون يسمونها باء الإلصاقِ، والكوفيون يسمونها باء الآلة، ويسميها قومٌ باء التضمين ، وهي متعلِّقةٌ بمضمرٍ لا محالة، و قد يكون اسماً وقد يكون فعلاً، وعلى التقديرين يجوز أن يكون متقدِّماً ويجوز أن يكون متأخراً نحو :

ـ ابتداء الكلام باسم الله ، أو : باسم الله ابتدائي — المضمر اسم

ـ أبدأ باسم الله ، أو : باسم الله أبدأ — المضمر فعل

السؤال الثاني:

لماذا حُذفت الهمزة من (باسم) وتكتب ﴿بِسْمِ﴾ ؟

الجواب:

للوصل فأصبحت تكتب وتلفظ ﴿بِسْمِ﴾ .

السؤال الثالث:

ما دلالة جمع الصيغتين ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ معاً في البسملة ؟

الجواب:

قد يجمع القران الكريم صيغتين من مادة واحدة احتياطاً للمعنى كقوله ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وذلك:

١ ـ صيغة «فعلان»: تدل على الصفات المتجددة نحو: عطشان وجوعان وغضبان ، وهذه الصفات ليست ثابتةً بل تزول وتتحول .

٢ ـ صيغة «فعيل» تدل على الثبوت نحو : كريم وبخيل وطويل وجميل ، وفي لغتنا الدارجة تقول : هو ضعفان، إذا أردت الحدوث ، فإن أردت الثبوت تقول : هو ضعيف، وكذلك «طولان و طويل».

٣ ـ جمع الله لذاته الوصفين : إذ لو اقتصر على (رحمن) لظنَّ ظانٌّ أنّ هذه صفة طارئة قد تزول كعطشان وريّان ، ولو اقتصر على (رحيم) لظَنَّ أنّ هذه صفة ثابتة ولكن ليس معناها استمرار الرحمة وتجددها ، إذ قد تمرُّ على الكريم أوقات لا يكرم فيها، وقد تمر على الرحيم أوقات كذلك .

والله سبحانه متصف بأوصاف الكمال، فجمع بينهما حتى يعلم العبد أنّ صفته الثابتة هي الرحمة، وأنّ رحمته مستمرة متجددة لا تنقطع ، وحتى لا يستبد به الوهم بأنّ رحمته تعرض ثم تنقطع، أو قد يأتي وقت لا يرحم فيه سبحانه ، فجمع الله كمال الاتصاف بالرحمة لنفسه .

٤ـ واعلم أنه لما تفرَّدَ الربُّ سبحانه بعظم رحمته لم يُسَمِّ بالرحمن ـ بالألف واللام ـ أحداً غيره.

وعندما ندعو الله سبحانه : يارحمن الدنيا ورحيم الآخرة ، فإن رحمة الله في الدنيا هي للمؤمن والكافر، أمّا رحمته في الآخرة فهي للمؤمن فقط.

السؤال الرابع:

ما الأحرف الأبجدية التي لم ترد في هذه السورة ؟وما دلالة ذلك ؟

الجواب:

هذه السورة لم يحصل فيها سبعةٌ من الحروف وهي (الثاء ـ الجيم ـ الخاء ـ الزاي ـ الشين ـ الظاء ـ والفاء) .

وقالوا : إن هذه الحروف السبعةَ مشعرةٌ بالعذاب مثل (الثبور ـ جهنم ـ الخزي ـ الشقاء ـ ظل ذي ثلاث شعب، و لظى ـ الفراق) كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم:١٤] .

ونقول: ربما تكون الحكمة : أنّ الله تعالى ذكر في كتابه أنّ لجهنم سبعة أبواب ، والله أسقط سبعة من الحروف من هذه السورة وهي أوائل ألفاظ تدل على العذاب تنبيهاً

على أنّ من قرأ هذه السورة وآمن بها وعرف حقائقها صار آمناً من الدركات السبع في جهنم، والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

السؤال الأول:

ما معنى الحمد ؟ وما الفرق بين الحمد والمدح ؟

الجواب:

معنى الحمدِ: الثناء على الجميل من النعمة أو غيرها مع المحبة والإجلال. فالحمد أن تذكر محاسن الغير سواء كان ذلك الثناء على صفة من صفاته الذاتية، كالعلم والصبر والرحمة ،أم على عطائه وتفضُّله على الآخرين. ولا يكون الحمد إلا للحي العاقل.

وهذا أشهر ما فرق بينه وبين المدح فقد تمدح جماداً ولكن لا تحمده .

وقد ثبت أنّ المدح أعم من الحمد، فالمدح قد يكون قبل الإحسان وبعده ، أما الحمد فلا يكون إلا بعد الإحسان. فالحمد يكون لما هو حاصل من المحاسن في الصفات أو الفعل فلا يحمد من ليس في صفاته ما يستحق الحمد ، أمّا المدح فقد يكون قبل ذلك؛ فقد تمدح إنسانا ولم يفعل شيئاً من المحاسن والجميل؛ ولذا كان المدح منهياً عنه، قال رسول الله ﷺ: «**احثوا التراب في وجه المداحين**» بخلاف الحمد فإنه مأمور به؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «**من لم يحمد الناس لم يحمد الله**».

وبذا علمنا من قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أن الله حيٌّ له الصفات الحسنى والفعل الجميل، فحمدناه على صفاته وعلى فعله وإنعامه، ولو قال : (المدح لله) لم يفد شيئاً من ذلك، فكان اختيار الحمد أولى من اختيار المدح.

السؤال الثاني :

لِمَ لم يقل سبحانه (الشكر لله) ؟

الجواب:

لأنّ الشكر لا يكون إلا على النعمة ولا يكون على صفاته الذاتية، فإنك لا تشكر الشخص على علمه أو قدرته ، وقد تحمده على ذلك .

وقد جاء في «لسان العرب» : (والحمد والشكر متقاربان، والحمد أعمُّهما لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه ولا تشكره على صفاته، فكان اختيار الحمد أولى أيضا من الشكر لأنه أعم، فإنك تثني عليه بنعمه الواصلة إليك وإلى الخلق جميعاً، وتثني عليه بصفاته الحسنى الذاتية ، وإن لم يتعلق شيء منها بك، فكان اختيار الحمد أولى من المدح والشكر.

السؤال الثالث:

قوله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ولِمَ لم يقل (أحمد الله) أو (نحمد الله) ؟

الجواب:

قوله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أولى من وجوه عدة:

١ـ أنّ القول (أحمد الله) أو (نحمد الله) مختص بفاعل معين، ففاعل (أحمد) هو المتكلم وفاعل (نحمد) هم المتكلمون ، في حين أنّ عبارة (الحمد لله) مطلقةٌ لا تختص

بفاعل معين وهذا أولى ، فإنك إذا قلت : (أحمد الله) أخبرت عن حمدك أنت وحدك ولم تفد أنّ غيرك حمده ، وإذا قلت : (نحمد الله) أخبرت عن المتكلمين ولم تفد أنّ غيركم حمده ، في حين أنّ عبارة (الحمد لله) لا تختص بفاعل معين فهو المحمود على وجه الإطلاق منك ومن غيرك.

٢ـ وقول (أحمد الله) تخبر عن فعلك أنت ولا يعني ذلك أنّ من تحمده يستحق الحمد، في حين إذا قلت (الحمد لله) أفاد ذلك استحقاق الحمدِ لله وليس مرتبطاً بفاعل معين.

٣ـ وقول (أحمد الله) أو (نحمد الله) مرتبط بزمن معين؛ لأنّ الفعل له دلالة زمنية معينة، فالفعل المضارع يدل على الحال أو الاستقبال ومعنى ذلك أنّ الحمد لا يحدث في غير الزمان الذي تحمده فيه.

ولا شك أنّ الزمن الذي يستطيع الشخص أو الأشخاص الحمد فيه محدود، وهكذا كل فعل يقوم به الشخص محدود الزمن، وإنّ أقصى ما يستطيع أن يفعله أنْ يكون مرتبطاً بعمره ولا يكون قبل ذلك وبعده فعل، فيكون الحمد أقل مما ينبغي، وحمد الله لا ينبغي أن ينقطع ولا يحد بفاعل أو بزمان ، ولذلك فإنّ عبارة﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ مطلقة غير مقيدة بزمن معين ولا بفاعل معين، فالحمد فيها مستمر غير منقطع.

جاء في «تفسير الرازي» أنه لو قال :(أحمد الله) أفاد ذلك كون القائل قادراً على حمده، أمّا لما قال (الحمد لله) فقد أفاد ذلك أنه كان محموداً قبل حمد الحامدين وقبل شكر

الشاكرين، فهؤلاء سواء حمدوا أم لم يحمدوا فهو تعالى محمود من الأزل إلى الأبد بحمده القديم وكلامه القديم.

وقول (أحمد الله) جملة فعلية و(الحمد لله) جملة اسمية ، والجملة الفعلية تدل على الحدوث والتجدد في حين أنّ الجملة الاسمية دالة على الثبوت، وهي أقوى وأدوم من الجملة الفعلية. فاختيار الجملة الاسمية أولى من اختيار الجملة الفعلية ههنا؛ إذ هو أدل على ثبات الحمد واستمراره.

٤ـ وقول (الحمد لله) معناه أن الحمد والثناء حقٌّ لله وملكه، فإنه تعالى هو المستحق للحمد بسبب كثرة أياديه وأنواع آلائه على العباد. فقولنا: (الحمد لله) معناه : أنّ الحمد لله حق يستحقه لذاته، ولو قال :(أحمد الله) لم يدل ذلك على كونه مستحقا للحمد بذاته، ومعلوم أنّ اللفظ الدال على كونه مستحقاً للحمد أولى من اللفظ الدال على أنّ شخصاً واحدا حمده.

والحمد عبارة عن صفة القلب، وهي اعتقاد كون ذلك المحمود متفضلاً منعماً مستحقاً للتعظيم والإجلال. فإذا تلفَّظَ الإنسان بقوله : (أحمد الله) مع أنه كان قلبه غافلاً عن معنى التعظيم اللائق بجلال الله كان كاذباً لأنه أخبر عن نفسه بكونه حامداً مع أنه ليس كذلك.

أما إذا قال: (الحمد لله) سواء كان غافلاً أو مستحضراً لمعنى التعظيم فإنه يكون صادقاً لأنّ معناه: أنّ الحمد حق لله وملكه ، وهذا المعنى حاصل سواء كان العبد

مشتغلاً بمعنى التعظيم والاجلال أو لم يكن. فثبت أنّ قوله (الحمد لله) أولى من قوله (أحمد الله) أو من (نحمد الله).

ونظيره قولنا ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فإنه لا يدخل في التكذيب، بخلاف قولنا "أشهد أن لا اله إلا الله" لأنه قد يكون كاذباً في قوله "أشهد" ولهذا قال تعالى في تكذيب المنافقين: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون:١].

السؤال الرابع:

لماذا لم يقل﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ بالنصب أي (الحمدَ لله)؟

الجواب:

إن قراءة الرفع أولى من قراءة النصب، ذلك أنّ قراءة الرفع تدل على أنّ الجملة اسمية، في حين أنّ قراءة النصب تدل على أنّ الجملة فعلية، بتقدير"نحمد" أو "أحمد" او «احمدوا» بالامر، والجملةُ الاسمية أقوى وأثبت من الجملة الفعلية؛ لأنها دالة على الثبوت.

وقد يقال : أليس تقدير فعل الأمر في قراءة النصب أقوى من الرفع بمعنى «احمدوا الحمد لله» كما تقول: «الإسراع في الأمر» بمعنى أسرعوا؟

والجواب: لا . فإن قراءة الرفع أولى أيضاً ذلك لأنّ الأمر بالشيء لا يعني أنّ المأمور به مستحق للفعل، وقد يكون المأمور غير مقتنع بما أمر به فكان ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ بالرفع أولى من (الحمدَ لله) بالنصب في الإخبار والأمر.

السؤال الخامس:

لماذا لم يقل «حمداً لله»؟

الجواب:

الحمد لله معرَّفةٌ بأل، وحمداً نكرة، والتعريف هنا يفيد ما لا يفيده التنكير، ذلك أن «أل» قد تكون لتعريف العهد فيكون المعنى: أنّ الحمد المعروف بينكم هو لله، وقد يكون لتعريف الجنس على سبيل الاستغراق فيدل على استغراق الأحمدة كلها، ورجح بعضهم المعنى الأول ورجح بعضهم المعنى الثاني، بدليل قوله ﷺ: «**اللهم لك الحمد كله**» فدل على استغراق الحمد كله، فعلى هذا يكون المعنى: أنّ الحمد المعروف بينكم هو لله على سبيل الاستغراق والإحاطة فلا يخرج عنه شيء من أفراد الحمد ولا أجناسه.

السؤال السادس:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أهي خبر أم انشاء؟

الجواب:

الخبر هو ما يحتمل الصدق أو الكذب ، والإنشاء هو ما لا يحتمل الصدق أو الكذب.

قال أكثر النحاة والمفسرين :إنّ (الحمد لله) إخبار كأنه يخبر أنّ الحمد لله سبحانه وتعالى، وقسم قال : إنها إنشاء؛ لأنّ فيها استشعار المحبة، وقسم قال : إنها خبر يتضمن إنشاء.

وأحيانا يحتمل أنْ تكون التعبيرات خبراً أو إنشاء بحسب ما يقتضيه المقام الذي يقال فيه، فعلى سبيل المثال قد نقول : (رزقك الله) ونقصد بها الدعاء وهذا إنشاء، وقد نقول: (رزقك الله وعافاك) والقصد منها: أفلا تشكره على ذلك؟ وهذا خبر.

والحمد لله هي من العبارات التي يمكن أنْ تستعمل خبراً وإنشاء بمعنى الحمد لله خبر، ونستشعر نعمة الله علينا ونستشعر التقدير كأنْ نقولها عندما نستشعر عظمة الله سبحانه في أمر ما فنقول : الحمد لله.

السؤال السابع:

لماذا لم يقل سبحانه : إنّ الحمد لله؟

الجواب:

لا شك إنّ الحمد لله ، لكن هناك فرق بين التعبيرين أنْ نجعل الجملة خبراً محضاً في قول﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حيث (تعمل للخبر أو الإنشاء) ولكن عندما تدخل عليه (إنّ) لا يمكن إلا أنْ يكون إنشاء ، لذا فقول : (الحمد لله) أولى لما فيه من الإجلال والتعظيم والشعور بذلك ، لذا جمعت ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بين الخبر والإنشاء ومعناهما. مثلا نقول : رحمة الله عليك (هذا دعاء) وعندما نقول : إنّ رحمة الله عليك، فهذا خبر وليس دعاء .

ومن المعلوم أنه في اللغة قد تدخل بعض الأدوات على عبارات فتغير معناها مثال: رحمه الله (دعاء) أما: قد رحمه الله (إخبار) ، رزقك الله (دعاء) أما : قد رزقك الله (إخبار)

السؤال الثامن:

لماذا لم يقل سبحانه : لله الحمد؟

الجواب:

لله الحمد : تقال إذا كان هناك كلام يراد تخصيصه ،مثال(لفلانٌ الكتاب) تقال للتخصيص والحصر، وإذا قُدِّمَ الجارُ والمجرورُ على اسم العلم يكون بقصد الاختصاص والحصر (لإزالة الشك أنّ الحمد سيكون لغير الله)

الحمد لله في الدنيا ليست مختصة لله سبحانه وتعالى. الحمد في الدنيا قد تقال لأستاذ أو سلطان عادل ، وأمّا العبادة فهي قاصرة على الله سبحانه وتعالى .

والمقام في الفاتحة ليس مقام اختصاص أصلاً ، وليست مثل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أو ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقد وردت في القران الكريم ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الجاثية:٣٦].

لا أحد يمنع التقديم، لكنّ التقديم والتأخير في القرآن الكريم يكون حسب ما يقتضيه السياق. والمقام في سورة الفاتحة هو مقام مؤمنين يقرون بالعبادة ويطلبون الاستعانة والهداية ، أمّا في سورة الجاثية فالمقام في الكافرين وعقائدهم وقد نسبوا الحياة والموت لغير الله سبحانه، لذا اقتضى ذكر تفضله سبحانه بأنه خلق السموات والأرض وأثبت لهم أنّ الحمد الأول لله سبحانه على كل ما خلق لنا، فهو المحمود الأول، لذا جاءت (فلله الحمد) مقدَّمةً حسب ما اقتضاه السياق العامُّ للآيات في السورة.

السؤال التاسع:

لماذا التفصيل في الجاثية ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الجاثية:٣٦] ولم ترد في الفاتحة؟

الجواب:

١ـ في الجاثية : تردَّدَ ذكر السموات والأرض وما فيهن وذكر ربوبية الله تعالى لهما، فقد جاء في أول السورة ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣﴾ [الجاثية:٣] فلو نظرنا في جوِّ سورة الجاثية نلاحظ ربوبية الله تعالى للسموات والأرض والخلق والعالمين مستمرة في السورة كلها. قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الجاثية:٢٧] يعني هو ربُّهما ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٢٧﴾ [الجاثية:٢٧] إذن هو رب العالمين ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الجاثية:٢٢] فهو ربهما ﴿وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ﴾ [الجاثية:٢٢] فهو ربُّ العالمين. ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٦﴾ [الجاثية:٣٦] فجمع الربوبية في السموات والارض والعالمين في آية واحدة ، أمّا في الكلام في الفاتحة فهو عن العالمين فقط وذكر أصناف الخلق من العالمين ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ، ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ .. لذا ناسب التخصيص في الجاثية وليس في الفاتحة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية:٣٧] ولم يذكر الكبرياء في الفاتحة؛ لأنه جاء في الجاثية ذكر المستكبرين بغير حق كما في الآيات : ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩﴾ [الجاثية:٧-٨-٩] فدلّ على مظهر من مظاهر الاستكبار، لذا ناسب أن يرد ذكر الكبرياء في السموات والأرض، فسبحانه تعالى يضع الكلام بميزان دقيق بما يتناسب مع السياق العام للآيات.

السؤال العاشر:

في قوله تعالى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ جاء سبحانه وتعالى باسمه العلم ﴿ٱللَّهُ﴾ ولم يقل الحمد للخالق أو القدير أو أي اسم آخر من أسمائه الحسنى، فلماذا جاء باسمه العلم؟

الجواب:

١ـ لأنه إذا جاء بأي اسم آخر غير العَلَمِ لدلَّ على أنه تعالى استحقَّ الحمد فقط بالنسبة لهذا الاسم خاصة، فلو قال: الحمد للقادر، لفهمت على أنه يستحق الحمد للقدرة فقط، لكن عند ذكر الذات ﴿ٱللَّهُ﴾ فإنها تعني أنه سبحانه يستحق الحمد لذاته لا لوصفه.

٢ـ من ناحية أخرى: الحمد لله مناسبة لما جاء بعدها ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ لأنّ العبادة كثيراً ما تختلط بلفظ الله، فلفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ يعنى الإله المعبود، مأخوذة من أَلِهَ (بكسر اللام) ومعناها: عُبِدَ، ولفظ الله مناسب للعبادة، وأكثر اسم اقترن بالعبادة هو لفظ الله تعالى (وللعلم فإنّ أكثر من ٥٠ مرة اقترن لفظ الله بالعبادة في القران) لذا فالحمد لله مناسب لأكثر من جهة.

لذلك نجد أنّ الحمد﴿لِلَّهِ﴾ أولى من قول: الحمد للسميع، أو العليم، أو غيرها من أسماء الله الحسنى. وقولُ: الحمد لله، أولى من قول: أحمد الله، أو الحمدَ لله، أو حمداً لله، أو أنّ الحمدَ لله، أو الحمدُ للحيِّ، أو القادر، أو السميع، أو البصير. جلَّت حكمة الله سبحانه وتعالى وجلّ قوله العزيز.

السؤال الحادي عشر :

ما السور التي بدأت بقوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ؟

الجواب :

١ـ السور التي بدئت بالحمد هي خمسُ سور أولها الفاتحة ، ثم : الأنعام، الكهف، سبأ، وفاطر . ثم نجدها تتكرر في داخل عدد من السور في سبع عشرة مرة .

و هذه البدايات تبيّن نماذج من الحمد، وعلى الأغلب أنّ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢] في الفاتحة هو جنس الحمد ، وهناك نماذج أخرى يُحمَد الله عز وجل لآلائه ، فهنا من رحمته، وهنا من فضله، وهنا من علمه، وهنا من إعطائه العلم للآخرين، وهنا من رحمته بهم، وهنا من خلقه السموات والأرض.

و السور الأربع كأن بداياتها متكاملة:

آ ـ الأولى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام:١].

والآية تكلمت عن الأمور المنظورة والكلام فيها عن الخلق بمعنى البدء ، لكن غالباً فيه معنى التقدير والتصوير، لأنهم يقولون : هذا الصانع خلق القماش ، يعني قدّره قبل أنْ يقصه، والخلق غير التكوين والإنشاء، والتصوير يصور الشيء، والكلام هنا خاص عن خلق السموات والأرض ، ومن رحمة الله سبحانه تعالى جعل الظلمات والنور، معناه : نظّم السموات والأرض بما فيها من ظلمات ونور مبنية على الحركة وعلى وجود الإشعاع من داخل بعضها ، وبعضها خال من الإشعاع.

ب ـ الثانية : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر:١] هذه الآية تكلمت عن الأمور غير المنظورة كالملائكة .

ج ـ الثالثة : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ:١] الآية تكلمت عن ملك الله تعالى للسموات والأرض ، وكل ما في السموات والأرض هو ملك لله سبحانه وتعالى وحده .

د ـ ثم الرابعة : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف:١] الآية تكلمت عن الكتاب الذي يجمع كل القيم ويبين المنهج الإلهي .

فهذه نماذج من آلاء الله سبحانه وتعالى ونعمه التي يجب أن يُحمد عليها، لكن لكل حمدٍ في كل سورة حيثيةٌ خاصةٌ .

٢ـ أمّا ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة:٢] في سورة الفاتحة فجمعت كل الحيثيات فجاءت شاملةً للكون كله ، وجاء بلفظ ﴿ٱلْحَمْدُ﴾لتدل على جنس الحمد كلِّه ، بينما توجد حيثياتٌ جزئيةٌ في بدايات السور الأربع، و بينها نوع من التلازم والتشابك.

٣ـ عندما ننتقل إلى عموم سور القرآن الكريم نجد في كل موضع كلمة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لها معناها ولها مدلولها لكن يجمعها جميعاً حتى في هذا الموضع (آية الفاتحة ٢) أنه ليس فيها معنى الحصر وقصر الحمد على الله سبحانه وتعالى وليس فيها دعوة إلى أنْ لا يحمد سواه .

لكن سنجد في آيات أخرى هناك قصر ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ ، ففي الأماكن التي يقول الله فيها :﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يفسح المجال فيها لأن يحمد الإنسان غير الله سبحانه وتعالى للبشر مثلاً على خُلُقِه، على علمه، على كرمه، لكنْ في الأماكن التي يُطلب فيها أنْ يكون الحمد حصراً وقصراً لله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾ أو ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ .

❁❁❁❁

قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

السؤال الأول:

ما معنى الرَّبِّ في اللغة ؟

الجواب:

الرَّبُّ هو المالك والسيد والمربي والمنعم والقيّم، فإذن رب العالمين هو ربهم ومالكهم وسيدهم ومربيهم والمنعم عليهم وقَيِّمُهم، لذا فهو أولى بالحمد من غيره، وذكر ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هي أنسب ما يمكن وضعه بعد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ .

رب العالمين يقتضي كل صفات الله تعالى ويشمل كل أسماء الله الحسنى.

السؤال الثاني:

ما دلالة كلمة ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ؟

الجواب:

العالمين: جمع عَالَم ، والعالم هو كل موجود سوى الله تعالى ، والعالم يجمع على العوالم وعلى العالمين، لكن اختيار العالمين على العوالم أمر بلاغيٌّ، ويعني ذلك أنّ العالمين خاص للمكلفين وأولي العقل (أي: لا تشمل غير العقلاء) بدليل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ

﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان:١] ومن المؤكد أنه ليس نذيراً للبهائم والجماد. وبهذا استدلوا على أنّ المقصود بالعالمين أولو العقل وأولو العلم أو المكلفون.

و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جمع العالم بكل أصنافه لكن يغلُب العقلاء على غيرهم فيقال لهم: (العالمين) ولا يقال لعالم الحشرات أو الجماد أو البهائم :﴿العالمين﴾، وعليه فلا تستعمل كلمة العالمين إلا إذا اجتمع العقلاء مع غيرهم وغلبوا عليهم.

أمّا العوالم قد يطلق على أصناف من الموجودات ليس منهم البشر أو العقلاء أو المكلفون ﴿تقال للحيوانات والحشرات والجمادات﴾.

السؤال الثالث:

لماذا لم تجمع عالم على عوالم ؟ وما الفرق بين عوالم وعالمين و علاّم؟

الجواب:

١ـ القاعدة اللغوية :

صيغة الجمع (فواعل) هي جمع تكسير، وهي إمّا أنْ تكون :

آ ـ جمعاً لمؤنث بصيغة فاعلة ، نحو : كافرة وكوافر ـ ساجدة وسواجد ـ نازلة ونوازل.

ب ـ أو جمعاً لغير العاقل بصيغة فاعل، نحو : قارض وقوارض ـ زاحف وزواحف ـ ناقص ونواقص.

٢ـ (عالمين) :

ومفردها (عالم) ولم تجمع على عوالم في القرآن الكريم حسب القاعدة اللغوية أعلاه ، والسبب في ذلك أنّ المقصود بها في السياقات القرآنية هو العاقلون ، فأحياناً

المقصود منها هو عالم الناس ، وأحياناً عالم الإنس والجن (الثقلان)، وأحياناً عالم الملائكة والشياطين ، وأحياناً يتسع معناها فتشمل المخلوقات كافة، العاقلين وغير العاقلين لذلك ينبغي أنْ تجمع كلمة (عالم) على (عالمين) إشارةً إلى العاقلين من الإنس والجن والملائكة والشياطين لتمييزها عن العوالم غير العاقلة.

قال الفرّاء وأبو عبيدة : العالم عبارةٌ عما يعقل من (الإنس والجن والملائكة والشياطين) ولا يقال للبهائم : عالم .

٣ـ علاّم :

وردت في القرآن الكريم أربع مرات في آيات (المائدة ١٠٩و ١١٦ ، التوبة ٧٨، سبأ ٤٨) وهي مبالغة من عالم ، وقد تكون علاّمة بزيادة تاء التأنيث للمبالغة لكن لا تستعمل مع الله تعالى ، ولم يقل القرآن : علاّمة ، لأنّ علم الله لا يترقى بلاغة ولا كمية . والله أعلم.

السؤال الرابع:

ما سبب اختيار كلمة ﴿رَبِّ﴾ و﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ في الآية؟

الجواب:

١ـ اختيار كلمة العالمين له سببه في سورة الفاتحة، فـ (العالمين) تشمل جيلاً واحداً، أو قسماً من جيل ، وقد تشمل كل المكلفين، وفي الآية : ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٠﴾ [الحجر:٧٠] في قصة سيدنا لوط جاءت هنا بمعنى: قسم من الرجال.

واختيار العالمين أيضاً لأنّ السورة كلها في المكلفين ، وفيها طلب الهداية وإظهار العبودية لله وتقسيم الخلق، وكله خاص بأولي العقل والعلم ، لذا كان من المناسب

اختيار العالمين على غيرها من المفردات أو الكلمات، وقد ورد في آخر الفاتحة ذكر المغضوب عليهم وهم اليهود، و(العالمين) رد على اليهود الذين ادعوا أن الله تعالى هو رب اليهود فقط، فجاءت ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لتشمل كل العالمين لا بعضهم.

٢ـ أمّا اختيار كلمة ﴿رَبِّ﴾ فلأنها تناسب ما بعدها ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة:٦] لأنّ من معاني الرب (المربي)، وهي أشهر معانيه وأولى مهام الرب الهداية ، لذا اقترنت الهداية كثيراً بلفظ الرب ، كما اقترنت العبادة بلفظ الله تعالى كما في الآيات :

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه:٤٩-٥٠] .

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢﴾ [طه:١٢٢] ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى:١-٢-٣] ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:١٦١] ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ۝٢٤﴾ [الكهف:٢٤] ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝٦٢﴾ [الشعراء:٦٢] ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝٩٩﴾ [الصافات:٩٩] ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝٢٢﴾ [القصص:٢٢] لذا ناسب لفظ رب مع اهدنا الصراط المستقيم وفيها طلب الهداية.

السؤال الخامس:

أين وردت ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢] كاملة في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ـ وردت ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢] كاملة في القرآن الكريم في ستة مواضع هي : الفاتحة ٢، الأنعام ٤٥ ، يونس ١٠، الصافات ١٨٢، الزمر ٧٥ ، غافر ٦٥ .

٢ـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢] **في بداية الفاتحة بعد البسملة معناه بداية عمل.**

وفي نهاية سورة الصافات بعد الحديث عن الكون وما يضم إلى قيام الساعة انتهاء الحياة ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾ [الصافات:١٨٠-١٨١-١٨٢] النهاية.

كذلك في نهاية سورة الزمر﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ [الزُّمَر:٧٥] والأنعام ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ۝٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٥﴾ [الأنعام: ٤٤ - ٤٥] في نهاية الحياة، وفي نهاية السور التي تشير إلى نهاية الحياة، أونهاية مواقف معينة تأتي ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] وفي الأنعام نهاية عمل وانتهى أمرهم.

و﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فيها كلام عن الناس، لاحظ الآية الأولى﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس:١٠] هذا في يوم القيامة في الجنة، وقوله تعالى في سورة غافر ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر:٦٥] هنا في آخر الدعاء ، وهنا يحتمل أوله وآخره ﴿فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ﴾ [غافر:٦٥] كأنها الحمد في الأولى والآخرة.

والفائدة التي نقولها أنّ كلمة ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢] جاءت في أول الفاتحة تحميداً وتمجيداً لله سبحانه وتعالى وبها يختم العمل والدعاء وتأتي في سور أخرى في الآخرة أي: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ في البدء وفي الختام.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾

السؤال الأول:

كلمتا (الرحمن،الرحيم) كل منهما مشتق من الرحمة. فما الفرق بينهما في قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾؟

الجواب:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾على وزن فعلان، والرحيم على وزن فعيل، ومن المقرر في علم التصريف في اللغة العربية أنّ صفة (فعلان) تمثل الحدوث والتجدد والامتلاء والاتصاف بالوصف إلى حده الأقصى، فيقال: غضبان، بمعنى امتلأ غضباً ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ﴾ [طه:٨٦] لكنّ الغضب زال ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾ [الأعراف:١٥٤] ومثل ذلك عطشان، ريان، جوعان، فيكون عطشان فيشرب فيذهب العطش .

أما صيغة (فعيل) فهي تدل على الثبوت سواء كان خِلقة ، مثل طويل، جميل، قبيح، فلا يقال : خطيب، لمن ألقى خطبة واحدة، وإنما تقال لمن يمارس الخطابة، وكذلك الفقيه.

هذا الإحساس اللغوي بصفات فعلان وفعيل لا يزال في لغتنا الدارجة إلى الآن فنقول لمن بدا عليه الطول (طولان) فيرد : هو طويل (صفة ثابتة)، فلان ضعفان (حدث فيه شيء جديد لم يكن) فيرد : هو ضعيف (هذه صفته الثابتة فهو أصلاً ضعيف) .

ولذا جاء سبحانه وتعالى بصفتين تدلان على التجدد والثبوت معاً، فلو قال : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ فقط لتوهم السامع أنّ هذه الصفة طارئة قد تزول كما يزول الجوع من الجوعان والغضب من الغضبان وغيره، ولو قال : ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ وحدها لفهم منها أنّ صفة رحيم مع

أنها ثابتة لكنها ليست بالضرورة على الدوام ظاهرة إنما قد تنفك، مثلاً عندما يقال : فلان كريم، فهذا لا يعني أنه لا ينفك عن الكرم لحظة واحدة، إنما الصفة الغالبة عليه هي الكرم.

وجاء سبحانه بالصفتين مجتمعتين ليدل على أنّ صفاته الثابتة والمتجددة هي الرحمة ، ويدل على أنّ رحمته لا تنقطع ، وهذا يأتي من باب الاحتياط للمعنى، وجاء بالصفتين الثابتة والمتجددة لا ينفك عن إحداهما فهذه الصفات مستمرة ثابتة لا تنفك البتة وغير منقطعة.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ : والرحمن معناه كثير الرحمة، أو ذو الرحمة العامة الشاملة، ولذلك يقولون: كلمة الرحمن معناها : هو رحمن في الدنيا والآخرة، وهو رحمن بكل خلقه مؤمنهم وكافرهم؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يحرم الكافر من رحمته، وفي الحديث: «**لو كانت هذه الدنيا تعدل جناح بعوضة عند ربكم ما سقى كافراً فيها شربة ماء**». لكن يسقي الكافر ويعطيه الصحة ويعطيه النظر ويعطيه السمع ويعطيه الاستقامة وهو يكفر بالرحمن، ومع ذلك يرحمه الله في هذه الدنيا، ولكن سيأتي الوقت الذي يحاسبه عليه، فهو رحمن في الدنيا والآخرة للجميع.

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: أما اسم ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ فجاء في المرتبة الثالثة في السورة: الله، الرحمن، الرحيم. يقول علماؤنا: الرحيم بالمؤمنين .

و لذلك لاحظ كلمة الرحمن لأنها المرحلة الثانية بعد لفظ الله، جاءت مثل لفظة (الله) التي لا يُسمّى بها مخلوق ، كذلك كلمة (الرحمن) لا يسمى بها مخلوق ولا حتى بالإضافة ، لذلك لما مسيلمة الكذاب سُمِّيَ : رحمن اليمامة أخزاه الله سبحانه وتعالى.

لكن كلمة (الرحيم) يمكن أنْ يوصف بها البشر أيضاً؛ لأنها رحمة قليلة بالقياس إلى الرحمن ولا تقارن برحمة الله سبحانه وتعالى ، وقد وصِفَ محمد ﷺ بالرحيم في الآية ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨]. وأنت يمكن أن تقول : هذا إنسان رحيم، لكن لا يمكن أنْ تقول: هذا إنسان رحمن، هذا التدرج يفيد الانتقال من الكل إلى الجزئيات.

السؤال الثاني:

لماذا إذن قدّم سبحانه (الرحمن) على (الرحيم)؟

الجواب:

قدّم صيغة الرحمن، والتي هي الصفة المتجددة وفيها الامتلاء بالرحمة لأبعد حدودها؛ لأنّ الإنسان في طبيعته عجول ، وكثيرا ما يؤثر الإنسان الشيء الآتي السريع وإنْ قل على الشيء الذي سيأتي لاحقا وإنْ كثر ، ووقوع كلمة (الرحيم) بعد كلمة الرَّبِّ يدلنا على أنّ الرحمة هي من صفات الله تعالى العليا، وفيها إشارة إلى أنّ المربي يجب أنْ يتحلى بالرحمة وتكون من أبرز صفاته وليست القسوة ، والرَّبُّ بكل معانيه ينبغي أنْ يتصف بالرحمة سواء كان مربياً أو سيداً أو قيماً وقد وصف الله تعالى رسوله بالرحمة.

❁❁❁❁

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول:

ماذا عن القراءة ثانية (مَلِكِ)؟

الجواب:

هناك قراءة متواترة ﴿**مَلِكِ يوم الدين**﴾ [الفاتحة:٤] وبعض المفسرين يحاولون تحديد أي القراءتين أولى وتحديد صفة كلٍّ منهما ، لكنْ في الحقيقة ليس هناك قراءة أولى من قراءةٍ فكلتا القراءتين متواترة نزل بهما الروح الأمين ليجمع بين معنى المالك والمَلِكِ.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين المَلِكِ والمالك ؟

الجواب:

المالك من التملُّكِ، والمَلِك بكسر اللام (بمعنى الذي يملك المِلكَ) .

ومَلِكٌ -بكسر اللام- من (المُلك) -بضم الميم- أي الحُكمِ كما في الآية ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزُّخرُف:٥١] ـ المُلكُ هنا بمعنى الحكم ، والحاكم الأعلى هو الله تعالى.

المالك قد يكون ملكاً وقد لا يكون ، والمَلِك قد يكون مالكاً وقد لا يكون. المالك يتصرَّفُ في ملكه كما لا يتصرف المَلِكُ (بكسر اللام) ، والمالك عليه أن يتولى أمر مملوكه من الكسوة والطعام ، والملِك ينظر للحكم والعدل والإنصاف.

المالك أوسع لشموله العقلاء وغيرهم، والملِك هو المتصرف الأكبر وله الأمر والإدارة العامة في المصلحة العامة ، فنزلت القراءتان لتجمع بين معنى المالك والمَلِك وتدل على أنه سبحانه هو المالك وهو المَلِك ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران:٢٦] ـ المُلكُ ملكُه سبحانه وتعالى ، فجمع بين معنى المِلكية والمُلكِ .

السؤال الثالث:

﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ لِمَ لمْ يذكر الدنيا؟ سواء كان مالكاً أو مَلِكاً فلماذا لم يقل (مالك يوم الدين والدنيا)؟

الجواب:

أولا : قال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فهو مالكهم ومَلِكُهم في الدنيا وهذا شَمَلَ الدنيا. (مالك يوم الدين) هو مالك يوم الجزاءِ، ويعني مَلَكَ ما قبله من أيام العمل ،والعمل يكون في الدنيا، فقد جمع في التعبير يوم الدين والدنيا، وبقوله: (يوم الدين) شمل فيه الدنيا أيضاً.

السؤال الرابع:

لِمَ قال : يوم الدين، ولم يقل : يوم القيامة؟

الجواب:

الدِّين بمعنى الجزاء، وهو يشمل جميع أحوال القيامة من ابتداء النشور إلى السرمد الدائم ، ويشمل الجزاء والحساب والطاعة والقهر وكلها من معاني الدين، وكلمة (الدين) أنسب للفظ (رَبِّ العالمين) وأنسب للمكلفين (الدِّين يكون لهؤلاء المكلفين) فهو أنسب من يوم القيامة؛ لأنّ القيامة فيها أشياء لا تتعلق بالجزاء، أمّا الدين فمعناه الجزاء وكل معانيه تتعلق بالمكلفين؛ لأنّ الكلام من أوله لآخره عن المكلفين، لذا ناسب اختيار كلمة الدين عن القيامة.

السؤال الخامس:

لماذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ﴾ فأضاف الملك إلى اليوم، واليوم لا يُملَكُ ؟

الجواب:

اليوم لا يملك لكن ما فيه يملك ، والسبب لقصد العموم، ومالك اليوم هو مالك لكل ما فيه وكل من فيه ، فهو أوسع، وهو ملكية كل ما يجري وما يحدث في اليوم

وكل ما فيه ومن فيه، فهي إضافة عامة شاملة جمع فيها ما في ذلك اليوم ومن فيه وأحداثه وكل ما فيه من باب المِلكية (بكسر الميم) والمُلكية (بضم الميم).

السؤال السادس :

ما أسماء يوم القيامة التي وردت في القرآن ؟

الجواب:

عدد أسماء يوم القيامة في القرآن هو أربعة وعشرون اسماً ، وهي :

١ـ يوم الدين . [الفاتحة: ٤]

٢ـ الآخرة . [البقرة: ٤]

٣ـ القيامة . [البقرة: ٨٥]

٤ـ الدار الآخرة . [البقرة: ٩٤]

٥ـ اليوم الآخر . [البقرة: ١٧٧]

٦ـ الساعة . [الأنعام: ٣١]

٧ـ يوم الحسرة . [مريم: ٣٩]

٨ـ يوم البعث . [الروم :٥٦]

٩ـ يوم الفصل . [الصافات :٢١]

١٠ـ يوم التلاق . [غافر: ١٥]

١١ـ يوم الآزفة . [غافر: ١٨]

١٢ـ يوم الحساب . [غافر :٢٧]

١٣ـ يوم التناد . [غافر: ٣٢]

١٤ـ يوم الجمع . [الشورى : ٧]

١٥ـ يوم الوعيد . [ق : ٢٠]

١٦ـ يوم الخلود . [ق : ٣٤]

١٧ـ يوم الخروج . [ق : ٤٢]

١٨ـ الواقعة . [الواقعة : ١]

١٩ـ التغابن . [التغابن : ٩]

٢٠ـ الحاقة . [الحاقة : ١]

٢١ـ القارعة . [الحاقة: ٤]

٢٢ـ الطامة الكبرى . [النازعات : ٣٤]

٢٣ـ الصاخة . [عبس: ٣٣]

٢٤ـ الغاشية . [الغاشية: ١]

لذلك كان اقتران الحمد بهذه الصفات في الآيات السابقة أحسن اقتران وأجمله:

ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فالله محمود بذاته وصفاته على العموم والله هو الاسم العلم ، ثم محمود بكل معاني الربوبية .

ـ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لأنّ من الأرباب من لا تحمد عبوديته.

ـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فهو محمود في كونه رحمن رحيم، محمود في رحمته لأنّ الرحمة لو وضعت في غير موضعها تكون غير محمودة، فالرحمة إذا لم توضع في موضعها لم تكن

مدحاً لصاحبها، أمّا الله فمحمود في رحمته يضعها حيث يجب أنْ توضع وهو محمود يوم الدين محمود في تملكه وفي مالكيته.

- ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ محمود في ملكه ذلك اليوم كما في قراءة (مَلِكِ يوم الدين).

فاستغرق الحمد كل الأزمنة فلم يترك سبحانه زمناً لم يدخل فيه الحمد أبداً من الأزل إلى الأبد ، فقد استغرق الحمد قبل الخلق ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ حين كان تعالى ولم يكن معه شيء قبل حمد الحامدين وقبل وجود الخلق والكائنات، فاستغرق الحمد هنا الزمن الأول وعند خلق العالم ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ . واستغرق الحمد وقت كانت الرحمة تنزل ولا تنقطع ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ واستغرق الحمد يوم الجزاء كله، ويوم الجزاء لا ينتهي لأنّ الجزاء لا ينتهي، فأهل النار خالدون فيها وأهل الجنة خالدون فيها لا ينقضي جزاؤهم، فاستغرق الحمد كل الأزمنة من الأزل إلى الأبد كقوله تعالى ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ فهذه الآيات جمعت أعجب الوصف.

❁❁❁❁

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾﴾

السؤال الأول:

لِمَ قدَّمَ مفعولي الفعلين (نعبد) و(نستعين) ؟

الجواب:

قدّم هنا في الآية المفعولين لنعبد ونستعين، وهذا التقديم هو للاختصاص لأنه سبحانه وتعالى وحده له العبادة ، لذا لم يقل : نعبدك ونستعينك؛ لأنها لا تدل على

التخصيص بالعبادة لله تعالى ، أمّا قوله ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ فتعني تخصيص العبادة لله تعالى وحده، وكذلك في الاستعانة ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ تكون بالله حصراً وكما في الآية ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٤﴾ [الممتحنة:٤] فكلها مخصوصة لله وحده حصراً، فالتوكل والإنابة والمرجع كله إليه سبحانه ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١١﴾ [إبراهيم:١١].

أمّا قوله تعالى﴿ قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ ﴾ [المُلك:٢٩] فإن تقديم الإيمان على الجار والمجرور هنا لأن الإيمان ليس محصوراً بالله وحده فقط، بل علينا الإيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقضاء والقدر، لذا لم تأت (به آمنا) ، أمّا في التوكل فجاءت ﴿وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ﴾ [المُلك:٢٩] لا (توكلنا عليه) لأنّ التوكل محصور بالله تعالى وحده.

السؤال الثاني:

لماذا كُرِّرت ﴿إِيَّاكَ﴾ مع فعل الاستعانة ولم يقل (إياك نعبد ونستعين)؟

الجواب:

التكرار يفيد التنصيص على حصر المستعان به، ولو اقتصرنا على ضمير واحد (إياك نعبد ونستعين) لم يعن المستعان إنما عنى المعبود فقط ، ولو اقتصرنا على ضمير واحد لفهم من ذلك أنه لا يتقرب إليه إلا بالجمع بين العبادة والاستعانة، بمعنى أنه لا يعبد بدون استعانة ولا يستعان به بدون عبادة. ويفهم من الاستعانة مع العبادة مجموعة ربط الاستعانة بالعبادة ، وهذا غير وارد، وإنما هو سبحانه نعبده على وجه الاستقلال ،

ونستعين به على وجه الاستقلال . وقد يجتمعان ، لذا وجب التكرار في الضمير ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ .

والتكرار توكيد في اللغة، وفي التكرار من القوة والتوكيد للاستعانة فيما ليس في الحذف.

السؤال الثالث:

ما دلالة إطلاق فعل الاستعانة وعدم تقييده بشيء معين ؟

الجواب:

أطلق سبحانه فعل الاستعانة ولم يحدد بأن نستعين على شيء معين، أو نستعين على طاعة معينة، أو غيره، إنما أطلقها لتشمل كل شيء، فهي ليست محددة بأمر واحد من أمور الدنيا بل وتشمل كل شيء يريد الإنسان أن يستعين بربه؛ لأن الاستعانة غير مقيدة بأمر محدد.

السؤال الرابع:

ما دلالة استعمال ضمير الجمع ﴿نَعْبُدُ﴾ ﴿نَسْتَعِينُ﴾ ولم يستعمل ضمير المفرد ؟

الجواب:

لقد عبّر سبحانه عن الاستعانة والعبادة بلفظ ضمير الجمع ﴿نَعْبُدُ﴾ و﴿نَسْتَعِينُ﴾ وليس بالتعبير المفرد (أعبد) و(أستعين) ، وفي هذا إشارة إلى أهمية الجماعة في الاسلام ،لذا تلزم قراءة هذه السورة في الصلاة ، وتلزم أنّ صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين مرة ،وفيها دليل على أهمية الجماعة عامة في الإسلام مثل الحج وصلاة الجماعة، الزكاة، الجهاد،الأعياد، والصيام، إضافة إلى أنّ المؤمنين إخوة، فلو

قال : إياك أعبد؛ لأغفل عبادة إخوته المؤمنين ،ولذلك عندما نقول : إياك نعبد، نذكر كل المؤمنين ويدخل القائل في زمرة المؤمنين أيضاً.

السؤال الخامس:

لماذا قرن العبادة بالاستعانة؟

الجواب:

١ـ ليدل على أنّ الإنسان لا يستطيع أن يقوم بعبادة الله إلا بإعانة الله له وتوفيقه، فهو إذن شعار وإعلان أنّ الإنسان لا يستطيع أن يعمل شيئاً إلا بعون الله .

٢ـ وهو إقرار بعجز الإنسان عن القيام بالعبادات وعن حمل الأمانة الثقيلة إذا لم يعنه الله تعالى على ذلك، فالاستعانة بالله علاج لغرور الإنسان وكبريائه واعتراف الإنسان بضعفه.

السؤال السادس:

لماذا قدم العبادة على الاستعانة؟

الجواب:

١ـ العبادة هي علة خلق الإنس والجن ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦] والاستعانة إنما هي وسيلة للعبادة، فالعبادة أولى بالتقديم.

٢ـ العبادة هي حق الله، والاستعانة هي مطلب من مطالبه، وحق الله أولى من مطالبه.

السؤال السابع:

تبدأ السورة بـ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٢-٣-٤] وهذه كلها من أسلوب الغَيبَةِ، أي كلها للغائب، ثم انتقل إلى الخطاب المباشر بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فلو قسنا على سياق الآيات الأولى لكان أولى القول: (إياه نعبد وإياه نستعين) فلماذا لم يقل سبحانه هذا؟

الجواب:

في البلاغة يسمى هذا الانتقال من الغائب للمخاطب أو العكس: الالتفات. وللالتفات فائدة عامة وفائدة في المقام، أمّا الفائدة العامة فهي تطرية لنشاط السامع وتحريك الذهن للإصغاء والانتباه.

وأمّا الفائدة التي يقتضيها المقام فهي إذا التفت المتكلم البليغ يكون لهذه الالتفاتة فائدة غير العامة نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ [يونس:٢٢] فيها التفات فلم يقل: وجرين بكم، لأنهم عندما ركبوا في البحر وجرت بهم الفلك أصبحوا غائبين وليسوا مخاطبين.

وعندما قال سبحانه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ فهو حاضر دائماً، فنودي بنداء الحاضر المخاطب.

والكلام من أول الفاتحة إلى ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ كله ثناء على الله تعالى، والثناء يكون في الحضور والغيبة، والثناء في الغيبة أصدق وأولى أمّا ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ فهو دعاء ، والدعاء في الحضور أولى وأجدى ، إذن الثناء في الغيبة أولى والدعاء في الحضور أولى والعبادة تؤدى في الحاضر وهي أولى.

السؤال الثامن:

هل بالإمكان أن يقال في غير القرآن (وبك نستعين)؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ : الفعل يتعدّى بنفسه ﴿إِستَعَانَهُ﴾ أو يتعدى بحرف الجر (استعانَ به) وهو متعدٍّ في الحالتين استعنتَهُ أو استعنتَ به. وإذا تقدَّمَت (بك نستعين) سيكون معنى الحصر أيضاً في (إياك) وفي (بك) ، لكن لماذا فُضّلت (إياك) على (بك)؟ وما الفائدة؟

نلاحظ أنّ الآيات السابقة هي نوع من التربية والتوجيه وليس فيها موضع شَكٍّ، والتأكيد يكون في مواضع الشك، أنت تقول : نجح زيد، إذا كان السامع خالي الذهن، لكن إذا كنت تعلم أنّ لديه بعض الشك في نجاح زيد فتقول له: لقد نجح زيد، فتستعمل مؤكِّدات مثل : إنّ زيداً ناجح، أو إنّ زيداً لناجح ، بحسب ما تعتقده من شك في نفسه، فلمّا كان الفعل يتعدّى بنفسه فهذه الباء لم تزده معنى ، يعني هي ليست مثلاً للمصاحبة أو الوسيلة كما تقول : كتبت بالقلم، فلما لم تأتِ لزيادةِ معنى فهي للتأكيد. تقول: ليس زيدٌ مسافراً ، نفيتَ السفر عن زيد ، فإذا أردت التأكيد تقول: ليس زيد بمسافرٍ، وكما في قوله تعالى ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ فهنا فيها تأكيد.

والموضع في آية الفاتحة ليس موضعَ تأكيد ، يعني ليس هناك شك في أنّ الله سبحانه وتعالى يعلِّمُ المؤمنين أن يقصروا الاستعانة عليه سبحانه، فلما كان ليس فيها شك لا يستعمل الباء (بك نستعين) فجاءت ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأنه لو جاءت (إياك نعبد وبك نستعين) كأنه يريد أنْ يزيل شكاً بهذا التأكيد والشك هنا غير وارد، بينما قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ كان هناك شك وإلا كان يقول: (أليس الله كافياً عبده) فلمّا أكد معناه أراد أن يزيل شكاً في نفوس المتلقِّين وهذه لغة العرب.

هذا شيءٌ، والشيء الثاني لو قال: (إياك نعبد وبك نستعين) تفوتُ هذه المناسبة والملاءمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إياك وإياك. وهذه مسألة ثانويةٌ لكنّ المسألة الأساسية ترتبط بالمعنى ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

❁❁❁❁

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾

السؤال الأول:

هل قوله تعالى ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ هو صيغة دعاء ؟

الجواب:

هذا دعاء، ولا دعاء مفروض على المسلم قوله غير هذا الدعاء، فيتوجب على المسلم قوله عدة مرات في اليوم، وهذا بدوره يدلّ على أهمية الطلب، وهذا الدعاء له أثره في الدنيا والآخرة، ويدلّ على أنّ الإنسان لا يمكن أن يهتدي للصراط المستقيم بنفسه إلا إذا هداه الله تعالى لذلك. وإذا تُرِكَ الناس لأنفسهم لذهب كل إلى مذهبه ولم يهتدوا إلى الصراط المستقيم ،وبما أنّ هذا الدعاء في الفاتحة ولا صلاة بدون فاتحة؛ فلذا

يجب الدعاء به في الصلاة الفريضة ، وهذا غير دعاء السنة كما في قوله تعالى ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة:٢٠١].

السؤال الثاني:

ما معنى الهداية ؟ وهل فعل (هدى) لازمٌ أم متعدٍّ؟

الجواب:

الهداية : هي الإلهام والدلالة، وهي الإرشاد لطريق الحقِّ والهدى والدلالة عليه والتبيين ، وفعل الهداية (هدى يهدي) في العربية قد يتعدَّى بثلاث طرق :

آ ـ بنفسه دون حرف جر، مثل قوله تعالى ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ حيث تعدى الفعل بنفسه.

ب ـ وقد يتعدى بإلى، كقوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى:٥٢] ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات:١٩] .

ج ـ وقد يتعدى باللام ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف:٤٣] ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحُجرات:١٧].

وذكر أهل اللغة أنّ الفرق بين التعدية بالحرف والتعدية بالفعل نفسه هو :

١ـ التعدية بدون حرف تقال لمن يكون في الطريق أو الصراط ولمن لا يكون فيه، كقولنا : هديته الطريقَ، قد يكون هو في الطريق فنعرّفه به، وقد لا يكون في الطريق فنوصله إليه.

شواهد قرآنية :

آ ـ استعملت لمن هم خارج الطريق أو الصراط :

﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣﴾ [مريم:٤٣] **الآية خطاب لأبي إبراهيم عليه السلام،** وأبو سيدنا إبراهيم لم يكن في الطريق.

﴿وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨﴾ [النساء:٦٨] والمنافقون ليسوا في الطريق.

ب ـ واستعملت لمن هم في الصراط :

﴿وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾ [إبراهيم:١٢] **قيلت في رسل الله تعالى.**

﴿وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢﴾ [الفتح:٢] **الآية خطاب لرسول الله ﷺ** والرسول مالك للصراط، فاستعمل الفعل المعدّى بنفسه في الحالتين.

٢ ـ أنّ التعدية بالحرف تستعمل عندما لا تكون الهداية فيه، بمعنى أنّ المهديَّ كان خارج الصراط فهداه الله له فيصل بالهداية إليه، لذلك فإن التعدية (باللام وإلى) لمن لم يكن في الصراط، كقوله تعالى ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [ص:٢٢] ﴿هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ﴾ [يونس:٣٥].

وتستعمل (هداه له) بمعنى (بينه له).

السؤال الثالث:

ما مراحل الهداية؟

الجواب:

الهداية على مراحل وليست هداية واحدة ، فالبعيد عن الطريق (الضال) يحتاج من يوصله إليه ويدله عليه (فنستعمل هداه إليه) والذي يصل إلى الطريق يحتاج إلى هادٍ يعرّفه بأحوال الطريق وأماكن الأمن والنجاة والهلاك للثقة بالنفس، ثم إذا سلك

الطريق في الأخير يحتاج إلى من يريه ويبين غايته، واستعمل سبحانه اللام ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣] وهذه خاتمة الهدايات.

ونلخِّص ما سبق على النحو التالي:

-إنسان بعيد يحتاج من يوصله إلى الطريق نستعمل الفعل المتعدي بإلى .

-إذا وصل إلى الطريق ويحتاج إلى من يعرّفه بالطريق وأحواله نستعمل الفعل المتعدي بنفسه.

-إذا سلك الطريق ويحتاج إلى من يبلغه مراده وغايته نستعمل الفعل المتعدي باللام.

والهداية مع اللام لم تستعمل مع السبيل أو الصراط أبداً في القرآن؛ لأنّ الصراط ليس غاية وإنما وسيلة توصل للغاية ، واللام إنما تستعمل عند الغاية. وقد اختص سبحانه الهداية باللام له وحده أو للقرآن لأنها خاتمة الهدايات كقوله ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩] وقوله ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور:٣٥].

السؤال الرابع:

هل جاءت الهدايات كلها بمعنى واحد مع اختلاف الحروف ؟

الجواب:

لا ، والأمثلة التالية تبين الفرق :

آ ـ قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ [يونس:٣٥].

جاءت يهدي للحق المقترنة بالله تعالى؛ لأنّ معنى الآيات تفيد : (هل من شركائكم من يوصل إلى الحق، قل الله يهدي للحق) الله وحده يرشدك ويوصلك إلى خاتمة الهدايات، ويعني أنّ الشركاء لا يعرفون أين الحق، ولا كيف يرشدون إليه ويدلون عليه.

ب ـ قوله تعالى : ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة:١٦].

استعمل الهداية معدّاة بنفسها بدون حرف، واستعملها في سياق واحد مع الفعل المعدّى بإلى لأنّ معنى الآيات : أنه من اتبع رضوان الله وليس بعيداً ولا ضالاً استعمل له الفعل المعدى بنفسه ، والذي في الظلمات هو بعيد عن الصراط ويحتاج إلى من يوصله إلى الصراط ؛ لذا قال : ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ استعمل الفعل المعدى بإلى .

السؤال الخامس:

في آية الفاتحة تعدّى فعل الهداية بنفسه؛ فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

في قوله تعالى ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ (الفعل معدّى بنفسه) وهنا استعمل هذا الفعل المعدّى بنفسه لجمع عدة معانٍ، فالذي انحرف عن الطريق نطلب من الله تعالى أن يوصله إليه، والذي في الطريق نطلب من الله تعالى أن يبصّره بأحوال الطريق والثبات والتثبيت على الطريق.

السؤال السادس:

كم مرة جاء فعل الهداية بصوره المختلفة في القرآن الكريم ؟

الجواب:

لقد جاء فِعلُ ـ هدى ـ ومشتقاته في القرآن على ٦٨ صيغة وبتكرار ٣١٤ مرة وذلك حسب الجدول التالي :

الكلمة	التكرار	الكلمة	التكرار	الكلمة	التكرار
هدى	١١	هداكم	٦	هدان	١
هدانا	٥	هداني	٢	هداه	١
هداهم	٢	هديتنا	١	هدينا	٣
هديناكم	١	هديناه	٢	هديناهم	٣
هديناهما	١	أهدك	١	أهدكم	١
أهديك	١	أهديكم	١	تهدوا	١
تهدي	٥	نهدي	١	لنهدينهم	١
يهد	٨	يهدني	١	يهدون	٤
يهدوننا	١	يهدي	٥١	يهِدّي	١
يهديك	١	يهديكم	٣	يهديَن	١
يهدِ يْن	٤	يهديني	١	يهديه	٣
يهديَهم	٢	يهديْهم	٦	اهدنا	٢
فاهدوهم	١	هدوا	٢	هُدِيَ	١
يُهدَى	١	اهتدى	٧	اهتدوا	٤
اهتديتُ	١	اهديتم	١	تهتدوا	٣
تهتدون	٦	تهتدي	١	لنهتَدِيَ	١
يهتدوا	٢	يهتدون	١٠	يهتدي	٣
هادٍ	٥	هادِ	٢	هادي	١

هاديَ	١	هاديا	١	الهدى	٧٩
هُداها	١	هُداهم	٣	مهتدون	٨
المهتد	٢	المهتدي	١	المهتدين	٩
الهديُ	٦	هدياً	١		

السؤال السابع:

لماذا لم تأت الصيغةُ مثلاً (إيانا أهدِ) كما في الآية السابقة ؟

الجواب:

كما سبق وقدَّمَ سبحانه مفعولي العبادة والاستعانة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ فلماذا لم يقل سبحانه (إيانا اِهدِ)؟

هذا المعنى لا يصح، فالتقديم بإياك نعبد وإياك نستعين تفيد الاختصاص، ولا يجوز أنْ نقول : (إيانا اِهدِ) بمعنى خُصَّنا بالهدايةِ ولا تهدِ أحداً غيرنا، فهذا لا يجوز، لذلك لا يصح التقديم هنا. المعنى تطلَّب التقديم في المعونة والاستعانة ولم يتطلَّبه في الهداية ؛ لذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم).

السؤال الثامن:

لم قال : اهدنا ، ولم يقل : اهدني؟

الجواب:

لأنه مناسب لسياق الآيات السابقة، وكما في آيات الاستعانة والعبادة اقتضى الجمع في الهداية أيضاً ، كما أنّ فيه إشاعة لروح الجماعة وقتلاً لروح الأثرة والأنانية، وفيه نزع الأثرة والاستئثار من النفس بأنْ ندعو للآخرين بما ندعو به لأنفسنا.

والاجتماع على الهدى وسير المجموعة على الصراط دليل قوة، فإذا كثر السالكون يزيد الأنس ويقوى الثبات، فالسالك وحده قد يضعف وقد يمل أو يسقط أو تأكله الذئاب، فكلما كثر السالكون كان أدعى للاطمئنان والاستئناس.

والاجتماع رحمة والفرقة عذاب،ويشير الله تعالى إلى أمر الاجتماع والأنس بالاجتماع وطبيعة حب النفس للاجتماع، كما ورد في قوله الكريم ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ [النساء:١٣] فكلمة ﴿خَٰلِدِينَ﴾ جاءت بصيغة الجمع ؛ لأنّ المؤمنين في الجنة يستمتعون بالأنس ببعضهم، بينما قوله تعالى ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [النساء:١٤] هذا في العذاب فيزيد على عذاب الكافر عذاب الوحدة، فكأنما عذبه الله تعالى بشيئين: النار والوحدة.

لذلك عندما قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ فيه شيءٌ من التثبيت والاستئناس .

وهذا الدعاء ارتبط بأول السورة وبوسطها وآخرها؛ لأنّ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ مهمة الرَّبِّ وهي الهدايةُ ، وكثيراً ما اقترنت الهدايةُ باسمِ الرَّبِّ فهو مرتبطٌ برب العالمين، وارتبط بقوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لأنّ من هداه الله فقد رحمه، وأنت الآن تطلب من الرحمن الرحيم الهداية، أي : تطلب من الرحمن الرحيم ألا يتركك ضالاً غير مهتد.

ثم قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فلا تتحقق العبادة إلا بسلوك الطريق المستقيم، وكذلك الاستعانة ، ومن الاستعانة طلب الهداية للصراط المستقيم ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: صراط الذين سلكوا الصراط المستقيم ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ والضالون هم الذين سلكوا غير الصراط المستقيم ، فالهداية والضلال نقيضان و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ نقيض الذين سلكوا الصراط المستقيم.

السؤال التاسع:

ما دلالة الفعل (هدى) ؟ و لماذا لم يستخدم الفعل أرشد أو دلّ مثلاً ؟

الجواب:

١ـ تختلف دلالة الفعل (هدى) باختلاف الحرف المصاحب له (هداه ، هداه إلى، هداه لـ) : والتعبير (هداه إلى الشيء) يشير إلى بُعده كما هو مبين في السؤال الثالث من هذه الآية ، بينما الأفعال : بيّن ودلّ وأرشد كلها تعطي معنى الإيضاح والتبيين.

٢ ـ أيضاً يوجد شيء في ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: فعلُ الهداية ليس هو مجرد الإرشاد، وإنما الهداية فيها شيء كأنه يكون إلى القلب أيضاً، صحيح هو هداه إلى كذا كأنه أرشده ، لكن في استعمالات العرب كأنه يمس شيئاً داخلياً فيه، ومنه الهدية لما تقدمها لإنسان، والهدية غير العطاء، العطاء شيء مادي، بينما الهدية هي أيضاً شيء مادي لكن في داخله نوع من المحبة والحميمية والود، وفي الحديث الشريف «**تهادوا تحابوا**» وهناك فرق بين أعطيته وأهديته ، الهدية فيها شيء قلبيٌّ وكأنّ هذا الشيء جعل القرآن

يختار ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ لأنه ليس فيها فقط مجرد إرشاد أو إيضاح ، وإنما تتضمن نوعاً من المحبة والود .

السؤال العاشر:

لماذا اختار كلمة (الصراط) بدلا من الطريق أو السبيل؟

الجواب:

لو لاحظنا البناء اللغوي للصراط هو على وزن (فِعال) بكسر الفاء، وهو من الأوزان الدالة على الاشتمال كالحِزام والشِّداد والسِّداد والخِمار والغِطاء والفِراش، هذه الصيغة تدل على الاشتمال، بخلاف كلمة الطريق التي لا تدل على نفس المعنى.

الصراط يدل على أنه واسع رحب يتسع لكل السالكين ، أمّا كلمة طريق فهي على وزن فعيل بمعنى مطروق أي مسلوك ، والسبيل على وزن فعيل ونقول أسبلت الطريق إذا كثر السالكون فيها، لكن ليس في صيغتها ما يدل على الاشتمال. فكلمة الصراط تدل على الاشتمال والوسع، وهذا في أصل البناء اللغوي .

(قال الزمخشري في كتابه «الكشاف» :الصراط من صرط كأنه يبتلع السبل كلما سلك فيه السالكون وكأنه يبتلعهم من سعته).

❁❁❁❁

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾

السؤال الأول:

لماذا جاءت كلمة (الصراط) معرفة بأل مرة في الآية السابقة، ومضافة مرة أخرى هنا في هذه الآية ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ؟

الجواب:

جاءت كلمة الصراط مفردة ومعرفة بتعريفين: بالألف واللام والإضافة، وموصوفة بالاستقامة ممّا يدل على أنه صراط واحد لا غير، وهو موصوف بالاستقامة؛ لأنه ليس بين نقطتين إلا طريق مستقيم واحد، والمستقيم هو أقصر الطرق وأقربها وصولاً إلى الله، وأي طريق آخر غير هذا الصراط المستقيم لا يوصل إلى المطلوب ولا يوصل إلى الله تعالى. والمقصود بالوصول إلى الله تعالى هو الوصول إلى مرضاته، فكلنا واصل إلى الله وليس هناك من طريق غير الصراط المستقيم. ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ [المزّمل:١٩] [الإنسان:٢٩] ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦] ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [الحِجر:٤١].

وقد وردت كلمة الصراط في القرآن مفردة ولم ترد مجتمعةً أبداً بخلاف السبيل، فقد وردت مفردة ووردت جمعاً ﴿سُبُلَ﴾ لأنّ الصراط هو الأوسع وهو الذي تفضي إليه كل السبل ﴿فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام:١٥٣] ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة:١٦] ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ﴾ [العنكبوت:٦٩] ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:١٠٨] فالصراط هو صراط واحد مفرد؛ وهو طريق الإسلام الرحب الواسع الذي تفضي إليه كل السبل، واتباع غير هذا الصراط ينأى بنا عن المقصود.

ثم زاد هذا الصراط توضيحاً وبياناً بعد وصفه بالاستقامة وتعريفه بأل بقوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة:٧] فجمعت هذه الآية كل أصناف الخلق المكلفين ولم تستثنِ منهم أحداً فذكر:

١ـ الذين أنعم الله عليهم وهم الذين سلكوا الصراط المستقيم وعرفوا الحق وعملوا بمقتضاه.

٢ـ الذين عرفوا الحق وخالفوه ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ ويقول قسم من المفسرين: إنهم العصاة.

٣ـ الذين لم يعرفوا الحق وهم الضالون ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤] وهذا الحسبان لا ينفعهم، إنما هم من الأخسرين.

ولا يخرج المكلفون عن هذه الأصناف الثلاثة؛ فكل الخلق ينتمي لواحد من هذه الأصناف.

السؤال الثاني:

هل كلمة الصراط توحي بالاستقامة؟

الجواب:

كلا، الصراط هو السبيل الواسع؛ لأنّ كلمة (فِعَال) فيها معنى الاشتمال فيشتمل على كل ما فيه ولا يضيق بما فيه ، بغض النظر عما إذا كان مستقيماً أو متعرجاً، ولذا لا بدّ من قول : (المستقيم) لعدة معانٍ:

آـ مستقيم حتى يبيّن استقامته فليس فيه اعوجاج .

ب ـ وليبيّن أنه لا يوجد طريق مستقيم آخر بين نقطتين، أي بينك وبين النهاية التي يريدها الله عز وجل لك ، فلا يوجد إلا طريق واحد بخط واحد بمستقيم واحد ،

وهذا ما فعله الرسول ﷺ عندما خطّ خطاً في الأرض وقال : **هذا صراط الله المستقيم وخطّ خطوطاً على جانبيه وقال: هذه هي السُّبُل، وعلى رأس كل سبيلٍ شيطانٌ يدعو إليه.**

لذلك لا يوجد إلا دين واحد، وطريق واحد يوصل إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى، وهوخط مستقيم لا يحتمل التعدد، فإذا قال شخص : منهجي لا يتعارض مع الإسلام، أو يوازي الإسلام فهذا الكلام كله لا ينفع، منهجك هو الإسلام ولا يكون بين نقطتين إلا مستقيم واحد؛ لأنه يمكن أنْ يكون بينهما أكثر من خط متعرج أو منحنٍ لكنَّ هناك مستقيماً واحداً.

السؤال الثالث:

قال تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ولم يقل: (تُنعم عليهم)؛ فلماذا ذكر الفعل الماضي؟

الجواب:

اختار الفعل الماضي على المضارع ليتعين زمانه وليبين صراط الذين تحققت عليهم النعمة نحو قوله تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء:٦٩].

وفي الآية ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ اذا قال (تُنعم عليهم) لأغفل كل من أنعم عليهم سابقاً من رسل الله والصالحين، ولو قال (تنعم عليهم) لم يدل في النص على أنه سبحانه أنعم على أحد سابقاً، ولاحتمل أنْ يكون صراط الأولين غير الآخرين، ولا يفيد

التواصل بين زُمَر المؤمنين من آدم عليه السلام إلى أنْ تقوم الساعة. مثال: اذا قلنا : أعطني ما أعطيتَ أمثالي، فمعناه : أعطني مثل ما أعطيت سابقاً، ولو قلنا: أعطني ما تعطي أمثالي فهي لا تدل على أنه أعطى أحداً قبلي.

ولو قال : (تنعم عليهم) لكان صراط هؤلاء أقل شأناً من صراط الذين أنعم عليهم، فصراط الذين أنعم عليهم من أولي العزم من الرسل والأنبياء والصديقين، أمّا الذين تنعم عليهم فلا يشمل هؤلاء، فالإتيان بالفعل الماضي يدل على أنه بمرور الزمن يكثر عدد الذين أنعم الله عليهم ، فمن ينعم عليهم الآن يلتحق بالسابقين من الذين أنعم الله عليهم فيشمل كل من سبق وأنعم الله عليهم ، فهم زمرة كبيرة من أولي العزم من الرسل وأتباعهم والصديقين وغيرهم ،وهكذا تتسع دائرة المنعم عليهم.

أما الذين (تنعم عليهم)، فتختص بوقت دون وقت، ويكون عدد المنعم عليهم قليلاً، لذا كان قوله سبحانه ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أوسع وأشمل وأعم من الذين تنعم عليهم.

السؤال الرابع:

لماذا عبّر عن الذين أنعم عليهم باستخدام الفعل ﴿أَنْعَمْتَ﴾ والمغضوب عليهم والضالين بالاسم؟

الجواب:

الاسم يدل على الشمول ويشمل سائر الأزمنة من المغضوب عليهم والدلالة على الثبوت، أمّا الفعل فيدل على التجدد والحدوث فوصفه أنهم مغضوب عليهم وضالون دليل على الثبوت والدوام.

السؤال الخامس:

إذن فلماذا لم يقل (المُنْعَم عليهم) للدلالة على الثبوت؟

الجواب:

لو قال: (صراط المُنْعَم عليهم) بالاسم لم يتضح من الذي أنعم ، إنما بيّن المنعِم (بكسر العين) في قوله ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لأنّ معرفة المنعِم مهمة ، فالنعم تقدر بمقدار المنعِم (بكسر العين)؛ لذا أراد سبحانه وتعالى أنْ يبين المُنعِم ليبين قدرَ النعمة وعظيمها، ومن عادة القرآن أنْ ينسب الخير إلى الله تعالى وكذلك النعم والتفضل، وينزه نسبة السوء إليه سبحانه كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن:١٠] والله سبحانه لا ينسب السوء لنفسه فقد يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾ [النمل:٤] لكن لا يقول: زينا لهم سوء أعمالهم ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾ [التوبة:٣٧] ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عمران:١٤] ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [غافر:٣٧]. ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [فاطر:٨] ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الأنفال:٤٨] أما النعمة فينسبها الله تعالى إلى نفسه لأنّ النعمة كلها خير ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [القصص:١٧] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزُّخرُف:٥٩] ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء:٨٣] ولم ينسب سبحانه النعمة لغيره إلا في آية واحدة ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب:٣٧] فهي نعمة خاصة بعد نعمة الله تعالى عليه.

السؤال السادس:

لماذا ذكرت الآية ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بصيغة المبني للمجهول و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ بصيغة اسم الفاعل؟

الجواب:

أولاً جيء بكلٍّ منهما اسماً ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ للدلالة على الثبوت ، فالغضب عليهم ثابت والضلال فيهم ثابت لا يرجى فيهم خير ولا هدى، والقرآن لم يقل :(صراط الذين غضب عليهم وضلوا) وإنما المغضوب عليهم ولا الضالين، فجاء بالوصفين بالاسمية للدلالة على ثبوت هذين الوصفين فيهما.

يبقى السؤال : لماذا جاء المغضوب عليهم اسم مفعول ولم يقل: (غاضب) اسم فاعل؟

والجواب: أنّ مغضوب عليهم، اسم مفعول، يعني وقع عليهم الغضب، ولم يذكر الجهة التي غضبت عليهم، ليعم الغضب عليهم من جميع الجهات : غضب الله وغضب الغاضبين لله من الملائكة وغيرهم ، فهو لا يتخصَّصُ بغاضب معين ، أي لم يغضب عليهم فلان أو فلان وإنما مغضوب عليهم من كل الجهات ، بل هؤلاء سيغضب عليهم أخلص أصدقائهم في الآخرة، كما في قوله تعالى ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام:٩٤] وقوله تعالى ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت:٢٥] إذن مغضوب عليهم من كل الجهات، وحذفُ جهةِ الغاضب فيه عموم وشمول، أما (الضالين) فهم الذين ضلّوا.

السؤال السابع:

لماذا قال : ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ولم يقل: (غضبت عليهم)؟

الجواب:

جاء باسمِ المفعولِ وأسنده للمجهول ليعم الغضب عليهم من الله والملائكة وكل الناس، حتى أصدقاؤهم يتبرأ بعضهم من بعض، وحتى جلودهم تتبرأ منهم، ولذا جاءت (المغضوب عليهم) لتشمل غضب الله وغضب الغاضبين.

السؤال الثامن:

لماذا أضاف النعمة إليه سبحانه وحذف فاعل الغضب ؟

الجواب:

جاء في «التفسير القيِّم» : وأضاف النعمةَ إليه وحذف فاعلَ الغضبِ لوجوه :

١ـ أنّ النعمة هي الخير، والغضب من باب الانتقام ، فأضاف إلى نفسه أكمل الأمرين وأسبقهما.

٢ـ أنّ الله سبحانه هو المتفرد بالنِّعَمِ ، فأضيف إليه ما هو متفردٌ به .

٣ـ أنّ في حذف فاعل الغضب من الإشعار بإهانة المغضوب عليه وتحقيره.

إضافة إلى أنّ القرآن جعل كُلاً من المغضوب عليهم والضالين اسماً وذلك للدلالة على الثبوت فهو غضب عليهم دائم ثابت لا يزول ، واتصافهم بالضلال على وجه الثبوت أيضاً فلا يُرجى لهم خيرٌ ولا هدى .

ثم انظر كيف ذكر (لا) بين المغضوب عليهم والضالين ، لئلا يُفهمَ أن المباينةَ لمن جمع الغضب والضلال دون من لم يجمعهما .

ونظير ذلك أن تقول : أنا لا أحب من تكبَّر وبخل ، أو : أنا لا أحب من تكبر ولا من بخل ، فالجملة الأولى تحتمل أنه لا يحب هذين الصنفين وتحتمل أنه لا يحب من جمع بين الوصفين دون من لم يجمعهما .

السؤال التاسع:

في قوله تعالى ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ لِمَ ذكر (لا) بعد ذكر (غير)؟ أي لو قال مثلاً: (غير المغضوب عليهم والضالين)؟

الجواب:

إذا حذفت (لا) يمكن أن يفهم أنّ المباينة والابتعاد هو فقط للذين جمعوا الغضب والضلالة فقط، أمّا من لم يجمعها ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ فلا يدخل في الاستثناء.

فاذا قلنا مثلا : لا تشرب الحليب واللبن الرائب (أي: لا تجمعهما) أمّا إذا قلنا: لا تشرب الحليب ولا تشرب اللبن الرائب، كان النهي عن كليهما إن اجتمعا أو انفردا.

السؤال العاشر:

ما الحكمة في أنه تعالى جعل المقبولين طائفةً واحدة، والمردودين فريقين : مغضوباً عليهم وضالين ؟

الجواب:

الذين جمعوا بين الحق والعمل به هم ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فإن اختلَّ قيدُ العمل فهم الفسقة ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وإن اختلَّ قيدُ العلم فهم ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾.

السؤال الحادي عشر :

فلماذا قدّم إذن المغضوب عليهم على الضالين؟

الجواب:

١ـ المغضوب عليهم الذين عرفوا ربهم ثم انحرفوا عن الحق وهم أشد بعداً؛ لأنه ليس من عَلِمَ كمن جَهِلَ، لذا بدأ بالمغضوب عليهم ، وفي معنى الحديث الصحيح: «**أنّ المغضوب عليهم هم اليهود، وأما النصارى فهم الضالون**».

٢ـ المغضوب عليهم أشد ضلالاً وجرماً وعقوبة؛ لأنه علم وجحد، وليس من علم كمن لا يعلم فبدأ بهم . لذلك قيل في العقائد :

وعـــالم بعلمـــه لم يَعْمَلَـــنْ مُعـــذَّبٌ مـــن قبـــل عُبّـــاد الـــوَثَن

٣ـ جاء في الحديث الصحيح أنّ المغضوب عليهم هم اليهود، والضالين النصارى، واليهود أسبق فناسب أنْ يُبدأ بهم .

٤ـ صفة المغضوب عليهم هي أول معصية ظهرت في الوجود، وهي صفة إبليس عندما أُمر بالسجود لآدم عليه السلام وهو يعرف الحق ومع ذلك عصى الله تعالى، وهي أيضاً أول معصية ظهرت على الأرض عندما قتل ابن آدم أخاه، فهي إذن أول معصية في الملأ الأعلى وعلى الأرض، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [النساء:٩٣] ولذا بدأ بها.

أمّا جعل المغضوب عليهم بجانب المنعم عليهم فلأنّ المغضوب عليهم مناقض للمُنعم عليهم والغضب مناقض للنعم.

السؤال الثاني عشر :

ما الفرق بين معنى الضلال في الفاتحة ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ و قوله تعالى ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الشعراء:٢٠] و﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضُّحى:٧] ؟

الجواب:

معنى الضلال في الآيات الثلاث واحد وهو عدم معرفة شرع الله سبحانه وتعالى.

آ ـ قوله تعالى ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي: عدم معرفة شرع الله .

ب ـ فموسى عليه السلام فعل هذا قبل النبوة ؛ فهو لا يعرف شرع الله.

ج ـ والرسول عليه السلام عندما يقول له الله عز وجل : ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ يعني: لم تكن عارفاً شرع الله تعالى فهداك إلى معرفة شرع الله بالنبوة.

فالضلال هنا عدم معرفة شرع الله، وليس الضلال معناه الفسق والفجور وعمل المنكرات، وإنما هو الجهل بشرع الله سبحانه وتعالى أي: غير الضالين، وموسى عليه السلام قبل النبوة فعل هذا؛ لأنه كان جاهلاً بشرع الله، ومحمد ﷺ لم يكن يعرف شرع الله تعالى قبل النبوة، فالمعنى واحد.

السؤال الثالث عشر :

ما مرادفات كلمة ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ التي جاءت في القرآن الكريم ؟

الجواب:

منظومة كلمة (صراط) تأتي على النحو التالي:

إمام – صراط – طريق – سبيل – نهج – فَجٌّ – جُدَدٌ (جمع جادَّةٍ) – نفق

وجاء المعنى العام لكل منها على النحو التالي:

ـ **إمام** : وهو الطريق العام الرئيس الدولي الذي يربط بين الدول وليس له مثيل، وتتميز أحكامه في الاسلام بتميز تخومه، وقدسية علامات المرور فيه هي من أهم صفاته،وهو بتعبيرنا الحاضر الطريق السريع بين المدن (Highway)، وقد استعير هذا

اللفظ في القرآن الكريم؛ ليدل على الشرائع ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ [الإسراء:٧١] أي كل ما عندهم من شرائع، وجاء أيضا بمعنى كتاب الله ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ١٢﴾ [يس:١٢].

ـ **صراط:** هو كل ممر بين نقطتين متناقضتين كضفتي نهر، أو قِمَّتي جبلين، أو الحق والباطل، والضلالة والهداية في الإسلام، أو الكفر والإيمان. والصراط واحد لا يتكرر في مكان واحد ولا يثنى ولا يجمع، وقد استعير في القرآن الكريم للتوحيد فـ(لا إله إلا الله) تنقل من الكفر إلى الإيمان ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:١٦١] ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٣٩﴾ [الأنعام:٣٩] ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة:٦] ﴿فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ٤٣﴾ [مريم:٤٣] ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ٧٤﴾ [المؤمنون:٧٤] .

والصراط عموماً هو العدل المطلق لله تعالى وما عداه فهو نسبي. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥٦﴾ [هود:٥٦] والتوحيد هو العدل المطلق وما عداه فهو نسبي.

ـ **سبيل:** هو الطريق الذي يأتي بعد الصراط ، وهو ممتدٌّ طويل آمن سهل لكنه متعدد (سُبُلٌ جمع سبيل) ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩] والسبل متعددة ، ولكن شرطها أنْ تبدأ من نقطة واحدة وتصب في نقطة واحدة عند الهدف. وفي السبيل عناصر ثلاث: ممتدٌّ، متحرك ويأخذ إلى غاية.

والمذاهب في الإسلام من السبل كلها تنطلق من نقطة واحدة وتصل إلى غاية واحدة، وسبل السلام تأتي بعد الإيمان والتوحيد بعد عبور الصراط المستقيم، ولتقريب الصورة إلى

الأذهان فيمكن اعتبار السبل في عصرنا الحاضر وسائل النقل المتعددة؛ فقد ينطلق الكثيرون من نقطة واحدة قاصدين غاية واحدة، لكن منهم من يستقل الطائرة، ومنهم من يستقل السيارة ومنهم من يستقل الدراجة، ومنهم من يركب الدواب وغيرها.

واستخدمت كلمة السبيل في القرآن بمعنى (حقوق) في قوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران:٧٥].

وابن السبيل في القرآن هو من انقطع عن أهله انقطاعا بعيداً وهدفه واضح ومشروع؛ كالمسافر في تجارة أو للدعوة؛ فلا تعطى الزكاة لمن انقطع عن أهله بسبب غير مشروع كالخارج في معصية أو ما شابه.

ـ طريق: الطريق يكون داخل المدينة، وللطرق حقوق خاصة بها، وقد سميت طرقاً؛ لأنها تطرق كثيراً بالذهاب والإياب المتكرر من البيت إلى العمل والعكس، والطريق قد تكون هي العبادات التي نفعلها بشكل دائم كالصلاة والزكاة والصوم والحج والذكر. ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف:٣٠] .

ـ نهج: وهو عبارة عن ممرات خاصة لا يمر بها إلا مجموعة خاصة من الناس، وهي كالعبادات التي يختص بها قوم دون قوم، مثل نهج القائمين بالليل ونهج المجاهدين في سبيل الله ونهج المحسنين وأولي الالباب وعباد الرحمن، فكل منهم يعبد الله تعالى بمنهج معين، وعلى كل مسلم أن يتخذ لنفسه نهجاً معيناً خاصاً به يعرف به عند الله تعالى؛ كبرّ الوالدين والذكر والجهاد والدعاء والقرآن والإحسان وغيرها ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨] وإذا لاحظنا وصفها في القرآن وجدنا لها ثلاث صفات والإنفاق فيها صفة مشتركة.

آ ـ نهج المستغفرين بالأسحار: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات:١٧-١٨-١٩] .

ب ـ ونهج أهل التهجد: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة:١٦] .

ج ـ ونهج المحسنين: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [آل عمران:١٣٤] .

ـ **فجّ**: وهو الطريق بين جبلين ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج:٢٧] .

ـ **جادة**: وتجمع على جُدُد كما وردت في القرآن الكريم ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ ﴾ [فاطر:٢٧] والجادة هي الطريق الذي يرسم في الصحراء أو الجبال من شدة الأثر ومن كثرة سلوكه.

ـ **نفق**: وهو الطريق تحت الأرض، قال تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام:٣٥] .

السؤال الرابع عشر:

ما أصل كلمة آمين التي نختم بها الفاتحة على أنها دعاء، وهل لها بديل في لغة العرب؟.

الجواب:

لا شك أنّ الذي يصلي في المساجد يلحظ هذا الأمر أنه عندما ينتهي الإمام من قراءة الفاتحة يقول هو : آمين، ويقول من وراءه: آمين ويحرص على أنْ يكون التأمين واحداً، ففي السنة والحديث الصحيح أنّ مسجد رسول الله ﷺ كان يهتز من كلمة آمين؛ لأنّ الصحابة كانوا يقولونها بصوت واحد ليس مرتفعاً، ولا يعني علو الصوت كما يفهمه بعض الشباب أنْ يصرخ بأعلى صوته؛ لأنك لا تنادي أصم ، ولكنك تناجي ربك.

ومن هذه الألفاظ كلمة (آمين) وهي كلمة عربية صميمية النسبة، مثل: هيهات ومثل أفٍّ ومثل صه، فهذه أسماء أفعال.

آمين: اسم فعل بمعنى: اللهم استجب، هي فعل أمر طبعاً ولكنّ الأمر من الأدنى إلى الأعلى يخرج للدعاء، كما نقول: اللهم اغفر لنا، اغفر: فعل أمر لكن علماءنا يقولون :خرج للدعاء. فإذن (آمين) اسم فعل أمر بمعنى: اللهم استجب؛ لأنّ كلمة آمين لم تستعمل إلا مع الله، حتى في الجاهلية لا تقول لشخص يتكلم آمين بمعنى: استجب لي يا فلان، لكن آمين يعني: اللهم استجب لكلامه وحتى قبل نزول القرآن، كلمة اللهم كانت مستعملة عندهم ويعنون بها يا الله :

إني إذا مـــا حـــدثٌ ألمّـــا أقـــول يــــااللهم يـــااللهمّا

لأنّ هذه الكلمة (اللهم) جُعِلت خاصة بنداء الله تعالى، ولأنها جُعِلت هكذا أُدخل عليها حرف النداء مع أنّ الميم هي عوض عن حرف النداء، فقال :(يااللهم) وهذا شاهد نحوي. إذن آمين هي اسم فعل.

وهناك إشكال : أنّ كلمة آمين نسمعها في الصلوات في الكنائس من الأوروبيين الآن يميلونها يقولون :(Amen) هذه الكلمة وجودها في اللغات الأخرى لا يعني أنها ليست عربية، وإنما هي موجودة في اللغة السريانية التي هي الآرامية.

وكلمة (آمين) من لغتنا، والرسول ﷺ حثّ على قول آمين ثم بعد ذلك صاروا يشتقون منها «إني داعٍ فأمّنوا» أُشتق منها فعل أي: قولوا آمين اللهم استجب. لهذا الكلمة عربية، وهي اسم فعل طالما كان عندنا صفة نشتق منها، آمين هي كلمة عربية شأنها شأن هيهات وشأن أفٍ ثم صارت العرب تولّد أسماء.

وفي الحديث الشريف «**إذا أمّن الإمام فأمّنوا، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه**» .

خامسًا : تناسب افتتاح الفاتحة مع خاتمتها :

تبدأ السورة بقوله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ .

وختمت بقوله سبحانه : ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ .

والعالَمون إما مُنعَم عليهم، أو مغضوب عليهم وهم الذين عرفوا الحق وحادوا عنه، أو ضالون وهم الذين لم يعلموا الحق.

ولا يخرج العالمون عن هذا، فناسب المفتتح الخاتمة أوثق مناسبة وأتمها.

جاء في «التفسير القيم» لابن القيم : "من بعد ذكر المُنعَم عليهم وتمييزهم عن طائفتي الغضب والضلال، فانقسم الناس بحسب معرفة الحق والعمل به إلى هذه الأقسام الثلاثة؛ لأنّ العبد إمّا أن يكون عالمًا الحق أو جاهلاً به.

والعالم بالحق إمّا أن يكون عاملاً بموجبه أو مخالفًا له.

فهذه أقسام المكلفين لا يخرجون عنها البتة.

فالعالم بالحق العامل به هو المُنعَم عليه .

والعالم به المتبع هواه هو المغضوب عليه.

والجاهل بالحق هو الضال.

والمغضوب عليه ضال عن هداية العمل.

والضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل.

فكل منهما ضال مغضوب عليه، ولكن تارك العمل بالحق بعد معرفته به أولى بوصف الغضب وأحق به، والجاهل بالحق أحق باسم الضلال".

سادساً : من اللطائف العددية في سورة الفاتحة :

آ ـ البسملة :

نزلت الآية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ بعد المدثر ، ويبدو أنّ هذه الآية هي المحور في اللطائف العددية :

١ـ تتكون البسملة من ١٩ حرفاً وفق الرسم العثماني للقرآن الكريم وتكسب (١٩٠) حسنة من الله تعالى لدى قراءتها؛ لأنّ الحسنة بعشر أمثالها.

٢ـ عدد الآيات التي تحتوي على (اسم ـ بسم ـ أسماء ـ اسمه ـ أسمائه) هو (١٩) آية.

٣ـ تكررت كلمات البسملة في القرآن كالتالي :

كلمة ﴿اسْمُ﴾ تكررت ١٩ مرة	= ١٩ × ١
كلمة ﴿اللَّهُ﴾ تكررت ٢٦٩٨ مرة	= ١٩ × ١٤٢
كلمة ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ تكررت ٥٧ مرة	= ١٩ × ٣

كلمة ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ تكررت ١١٤ مرة = ١٩ × ٦

المجموع = ١٩ × ١٥٢ = ١٩ × ١٩ ×٨

٤ـ تكررت البسملة بكاملها ١١٤ مرة = ١٩ × ٦

٥ـ لم نحصِ كلمة رحيم في الآية : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ لأنها جاءت صفة للرسول ﷺ أمّا ﴿رَّحِيمٌ﴾ كصفة واسم لله تعالى؛ فقد ورد ١١٤ مرة .

٦ـ إذا بدأنا العد من السورة التي لا يوجد فيها بسملة؛ أي سورة التوبة تكون السورة رقم ١٩ هي السورة التي يوجد فيها بسملتان (النمل).

ب ـ سورة الفاتحة :

١ ـ تتكون من (١٣٩) حرفاً أي تكسب بقراءتها من فضل الله تعالى (١٣٩٠) حسنة ، وهي تتكون من (٢٩) كلمة.

٢ـ الفاتحة سبع آيات، فاذا كتبنا أرقام الآيات متسلسلة من اليمين إلى اليسار يتكون لدينا رقم هو من مضاعفات العدد ١٩، أي : ٧٦٥٤٣٢١ = ١٩ × ٤٠٢٨٥٩ .

٣ـ واذا كتبنا عدد أحرف كل آية متسلسلة من اليمين إلى اليسار يتكون لدينا رقم هو من مضاعفات العدد ١٩ أي :

الآيات ١ ـ٢ ـ٣ ـ٤ ـ٥ ـ٦ ـ٧ ـ

عدد الأحرف ١٩ ـ١٧ـ١٢ـ١١ـ١٩ـ١٨ـ٤٣ـ

العدد هو ٤٣١٨١٩١١١٢١٧١٩ = ١٩ × ٢٢٧٢٧٣٢١٦٤٣٠١

وخاتمة سورة الفاتحة هي مناسبة لكل ما ورد في السورة من أولها إلى آخرها،فَمَنْ لم يحمد الله تعالى فهو مغضوب عليه وضال ، ومن لم يؤمن بيوم الدين وأنّ الله سبحانه وتعالى مالك يوم الدين وملكه ،ومن لم يخص الله تعالى بالعبادة والاستعانة ، ومن لم يهتد إلى الصراط المستقيم فهم جميعاً مغضوب عليهم وضالون.

ولقد تضمنت السورة الإيمان والعمل الصالح، الإيمان بالله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ واليوم الآخر ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ والملائكة والرسل والكتب ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ لما تقتضيه من إرسال الرسل والكتب.

وقد جمعت هذه السورة توحيد الربوبية ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ وتوحيد الألوهية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ولذا فهي حقاً أم الكتاب.

خاتمـــة :

من منا مهما بلغ من فصاحة وبلاغة وبيان، من منا يستطيع أن يأتي بكلام فيه هذا الإحكام وهذا الاستواء مع حسن النظم ودقة الانتقاء؟ فكل كلمة في موقعها جوهرة ثمينة منتقاة بعناية؛ لتؤدي معاني غزيرة بكلمات يسيرة، وكل واحدة واسطة عقد لا يجوز استبدالها ولا نقلها ولا تقديمها ولا تأخيرها وإلا لاختل المعنى أو ضعف أو فقد بعض معانيه؟

إنه الإعجاز الإلهي الذي يتجلى في الكون كله، ويحف بالقرآن كله، مجموعه وجزئياته، كلماته وحروفه، معانيه وأسراره، ليكون النور الذي أراد الله أن يهدي ويسعد به كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

والحمد لله رب العالمين

سورة البقرة

أولاً : تناسب خاتمة الفاتحة مع فاتحة البقرة :

تنتهي سورة الفاتحة بذكر المنعَم عليهم والمغضوب عليهم والضالين:

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:٧].

والبقرة تبدأ بذكر هؤلاء أجمعين.

تبدأ بذكر المتقين: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:٢] وهؤلاء منعَم عليهم، ثم تقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة:٦] تجمع الكافرين من المغضوب عليهم والضالين وتذكر المنافقين: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة:٨].

إذن اتفقت خاتمة سورة الفاتحة مع افتتاح سورة البقرة.

ذكر في خواتيم الفاتحة أصناف الخلق المكلفين : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:٧].

وذكرهم في بداية البقرة، المغضوب عليهم الذين عرفوا الحق وحادوا عنه والضالون لم يعلموا الحق وإنما ضلوا الطريق، ويضربون مثلاً لليهود والنصارى، والمغضوب عليهم منهم اليهود والنصارى. وفواتح البقرة تحدثت عن هذه الأصناف: المتقين والكفار والمنافقين فجمعت المغضوب عليهم والضالين حيث يجمعهم الكفار.

سؤال:

هل هذا الأمر مقصود في حد ذاته من قِبل الله سبحانه وتعالى ، يعني هذه التوأمة بين خواتيم السور وبداية السور التي تليها؟

جواب :

قسم من الباحثين قالوا إنّ القرآن كتاب حياة، خذ مثلاً أيَّ يوم من أيام الحياة هل هي مترابطة في مسألة واحدة؟ أو أنّ فيها أموراً مختلفة متعددة كلها تجمعها الحياة ؟ و كذلك القرآن كتاب حياة فيه ما فيه، وتقع أمور كثيرة متعددة مترابطة ولكن لا يبدو هذا الترابط ظاهراً.

ونحن الآن نلاحظ في هذا الوضع التوقيفي ارتباطاً واضحاً في هذه المسألة، ولذلك قال الرازي: إنّ آيات القرآن كلها كأنها هي كلمة واحدة من حيث الترابط ، أي: كأنها آية واحدة في ترابطها.

ونحن لا نقول إنّ ذلك غير مقصود، ولكننا ننظر في شيء موجود أمامنا ونبحث فيه هل هنالك تناسب أم لا؟ في هذا الوضع الحالي نحن الآن نرى أنّ هناك ترابطاً واضحاً، ونحن نصف في تقديرنا فيما يظهر لنا في هذا الأمر، والله أعلم .

ثانياً ـ هدف السورة: الاستخلاف في الأرض ومنهجه :

سورة البقرة وآياتها (٢٨٦ آية) هي أول سورة نزلت في المدينة بعد هجرة الرسول ﷺ ومع بداية تأسيس الأمة الإسلامية (والسور المدنية بشكل عام تُعنى بجانب التشريع) وهي أطول سور القرآن، وأول سورة في الترتيب بعد الفاتحة، وفضل سورة البقرة وثواب قراءتها ورد في عدد من الأحاديث الصحيحة منها: «**يؤتى بالقرآن يوم**

القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تُحاجَّان عن صاحبهما» وفي رواية «**كأنهما غمامتان او ظُلَّتان**» وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**» أخرجه مسلم والترمذي، وقال رسول الله ﷺ : «**اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البَطَلَةُ**» أي: السحرة، رواه مسلم في «صحيحه».

وهدف السورة هوالاستخلاف في الأرض، أي: (البشر هم المسؤولون عن الأرض)، ولذا جاء ترتيبها في أول المصحف، فالأرض ملك لله عز وجل وهو خلقها، وهو يريد أن تسير وفق إرادته فلا بدّ أن يكون في الأرض من هو مسؤول عنها، لذا عندما نقرأ السورة يجب علينا أن نستشعر مسؤولية الإنسان في خلافة الارض.

وكما أسلفنا فإنّ هدف السورة هو الاستخلاف في الأرض، وسورة البقرة هي أول سور المصحف ترتيباً، وهي أول ما نزل على الرسول عليه السلام في المدينة مع بداية تأسيس دولة الإسلام الجديدة وتكوينها ، فكان يجب أن يعرف المسلمون ماذا يفعلون ومما يحذرون، والمسؤولية معناها أنْ نعبد الله كما شاء وأنْ نتبع أوامره وندع نواهيه.

والسورة مقسمة إلى أربعة أقسام:

١- مقدمة. ٢- القسم الأول. ٣- القسم الثاني. ٤- خاتمة.

وسنشرح هدف كل قسم على حدة :

١ـ المقدمة:

وفيها وصف أصناف الناس، وهي تقع في الربع الأول من السورة من الآية (١ - ٢٩). وتتضمن :

آ ـ آيات المتقين (آية ١ – ٥) .

ب ـ آيات الكافرين (آية ٦ – ٧).

ج ـ آيات المنافقين (آية ٨ – ٢٠) والإطناب في ذكر صفات المنافقين للتنبيه إلى عظيم خطرهم وكبير ضررهم؛ لأنهم يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، وهم أشد من الكافرين.

٢ـ القسم الأول للسورة :

وهو يمثل باقي الجزء الأول من القرآن، وفيه يعرض نماذج لثلاث مجموعات من الناس قد استخلفهم الله، وهذه النماذج هي :

آ ـ استخلاف آدم في الأرض (تجربة تمهيدية): قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة:٣٠] واللطيف أنه سبحانه أتبع هذه الآية بـ ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة:٣١].

وهذه الآية محورية تعني أنه إذا أردت أنْ تكون مسؤولاً عن الأرض يجب أنْ يكون عندك علم ، لذا علّم الله تعالى الأسماء كلها، وعلّمه الحياة وكيف تسير، وعلّمه تكنولوجيا الحياة وعلّمه أدوات الاستخلاف في الأرض، وهذا إرشاد لأمة الإسلام إنْ أرادوا أنْ يكونوا مسؤولين عن الأرض فلا بدّ لهم من العلم مع العبادة، فكأنّ تجربة سيدنا آدم عليه السلام هي تجربة تعليمية للبشرية بمعنى كيفية المسؤولية عن الأرض .

وأهم أمرين في هذا النموذج :

- أنّ الله سبحانه علّم آدم تكنولوجية الحياة ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[البقرة:٣١].

- أنّ المعصية هي سبب الاستبدال .

ب ـ قصة بني إسرائيل الذين استخلفوا في الأرض فأفسدوا:

وهو نموذج فاشل من الاستخلاف في الأرض، وأهم الأمور في هذا النموذج الفاشل هي :

ـ تذكير الله لهم بنعمه عليهم كما في الآية ٤٠ ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾[البقرة:٤٧]. انظر الآيات (٥٢ـ ٩٤)

ـ بيان أخطائهم والموبقات التي ارتكبوها كقتل الأنبياء بغير الحق، والمادية، وعصيانهم وكفرهم بآيات الله، واعتداء أصحاب السبت، وقصتهم مع البقرة وجدلهم الكبير حول ذبحها مع نبيهم موسى عليه السلام حيث لم يرضوا تنفيذ شرع الله.

ـ عدم الإيمان بالغيب.

ج ـ نموذج ناجح للاستخلاف في الأرض : (قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام) وهي آخر تجربة ورد ذكرها في السورة.

وهكذا : أولاً ابتلى سبحانه آدم في أول الخلق (تجربة تمهيدية) ثم بني إسرائيل فكانت تجربة فاشلة، ثم ابتلى إبراهيم عليه السلام فنجح ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾[البقرة:١٢٤]. وفي هذه الآية إثبات أنّ الاستخلاف في الأرض ليس فيه محاباة، فالذي يسير على منهج الله

وطاعته يبقى مسؤولاً عن الأرض والذي يتخلى عن هذا المنهج لا ينال عهد الله : ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة:١٢٤] .

وملخص القول في القسم الأول من السورة: إنّ القصص الثلاث التي وردت فيه: قصة آدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] . وقصة بني إسرائيل : ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة:٤٧] . وقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:١٢٤] . هذه القصص الثلاث بدايتها واحدة وهي الاستخلاف في الارض، وعلينا نحن أمة المسلمين أنْ نتعلم من تجارب الذين سبقونا وأنْ نستشعر الأخطاء التي وقعت فيها الأمم السابقة ونعرضها على أنفسنا دائما لنرى إنْ كنا نرتكب مثل هذه الأخطاء فنتوقف عن ذلك ونحذو حذو الأمم السابقة التي نجحت في مهمة الاستخلاف في الأرض كسيدنا إبراهيم عليه السلام .

٣ـ القسم الثاني من السورة : أوامر ونواه للأمة المسؤولة عن الأرض :

وفي هذا القسم توجيه الله تعالى للناس الذين رأوا المناهج السابقة وتجارب الأمم الغابرة مفاده: يجب أنْ تتعلموا من الأخطاء وسيعطيكم ربكم أوامر ونواهي كي تكونوا مسؤولين عن الأرض بحق وتكونوا نموذجاً ناجحاً في الاستخلاف في الأرض، وكل هذه الأوامر والنواهي متعلقة بثلاثة أمور :

آ ـ طاعة الله في أوامره ومنهجه الشامل المتكامل : مثل الأمر بطاعة تحويل القبلة، تطبيق الأحكام الجنائية والأحكام التعبدية، مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج والمواريث وأحكام الأسرة والطلاق وأحكام الجهاد والإنفاق وأحكام النظام المالي وتحريم الربا .

ب ـ تميز الأمة في مصطلحاتها مع وسطية التميز وتوازنه.

ج ـ تقوى الله .

٤ـ الختام ـ ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾ ـ الآيتان [٢٨٥ـ٢٨٦]

وقد ختمت السورة بدعاء المؤمنين : ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾ [البقرة:٢٨٥]، كما بدأت بأوصاف المؤمنين وبهذا يلتئم شمل السورة أفضل التئام، فسبحان الله العلي العظيم.

والخلاصة: نحن مسؤولون عن الارض، والمنهج كامل، وعلينا أنْ ندخل في السِّلم كافة، والمنهج له إطار: طاعة الله، وتميُّز، وتقوى .

أمّا عناصر المنهج فهي: تشريع جنائي، مواريث، إنفاق، جهاد، حج، أحكام صيام، تكاليف وتعاليم كثيرة، فلا بدّ أنْ نستعين بالله تعالى على أدائها لنكون أهلا للاستخلاف في الأرض ولا نقع في أخطاء الأمم السابقة.

❁❁❁❁

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

السؤال الأول: لماذا وردت بعض أسماء السور مرفوعة مثل: الكافرون والمؤمنون، وبعضها بالجرّ بالاضافة مثل : سورة الحجِ و البقرةِ؟

الجواب:

الناظر في فهرس السور لا يقول البقرة، وإنما يقول : هذه سورة البقرةِ ، وأما الإعراب: سورة البقرة تعرب: خبر لمبتدأ محذوف وتقديره: هذه سورة البقرة، وهذه سورة آل عمران وهكذا. فالأسماء المفردة جاءت بالجر مجرورة.

وأما الأسماء التي جاءت بصيغة جمع المذكر السالم، فيبدو أنّ تسميتها جاءت حسبما ورد في السورة فلما كانت ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾ [الكافرون:١] بالرفع سميت سورة الكافرون على الحكاية.

و السور التي اسمها جمع مذكر سالم هي أربع سور: المؤمنون ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون:١]، المنافقون ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنافقون:١] ، الكافرون ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:١] ، المطففين ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطفِّفين:١] جاءت مجرورة باللام فسميت المطفِّفين.

فالاسم الذي هو جمع مذكر سالم حُكِيَ في السورة، وأمّا الباقي عموماً فأُخضع للقاعدة ، فإذا كان منصرفاً جُرَّ بالكسرة وإذا كان ممنوعاً من الصرف مثل سورة يونسَ جُرَّ بالفتحة نيابة عن الكسرة وكذلك سورة يوسفَ.

❊❊❊❊

﴿الٓمٓ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب:

الأحرف المقطعة في بداية بعض سور القرآن الكريم هي عِلمٌ مستور وسِرٌّ محجوب عجزت العلماء عن إدراكه، وقصرت خيول الخيال عن لحاقه، ولذلك من الأفضل أن نقول:

(الله أعلم بمراده)

ولهذا قال الصديق رضي الله عنه : (لكل كتاب سر، وسر القرآن أوائل السور) وقال الشعبي: (سر الله تعالى فلا تطلبوه) وهنا لا نتكلم عن المقصود وإنما عن الخصائص لهذه الأحرف المقطعة :

١ـ سميت حروفاً مقطعة؛ لأنّ كل حرف ينطق بمفرده.

٢ـ كل حرف في اللغة العربية له اسم وله مسمى.

والناس ينطقون حين يتكلمون بمسمى الحرف وليس باسمه، مثال: كلمة (كتب) هذه تنطق بمسمى الحروف فإذا أردت أن تنطق بأسمائها تقول (كاف وتاء وباء) إنظر إلى الجدول أدناه :

اسم الحرف	مسمى الحرف
باء	بَ
تاء	تَ
طاء	طَ
راء	رَ
لام	لَ
ياء	يَ

وهكذا

ومن اللطيف أن نلاحظ هنا أنّ علماء اللغة جعلوا المسمَّى صدر كُلَّ اسم له ـ كما قال ابن جني ـ وذلك ليكون تأديتها بالمسمى أول ما يقرع السمع.

٣ـ الذي لم يتعلم قد ينطق بمسميات الحروف ولكن لا يمكن أنْ ينطق بأسمائها ، ولعلّ هذا أول ما يلفتنا، فرسول الله محمد ﷺ كان أمياً ، والأمي يستطيع أن ينطق بمسميات

الحروف فيقول : الكتاب ، فإذا طلبت منه أن ينطق بأسماء الحروف فإنه لا يستطيع أن يقول لك إن كلمة الكتاب مكونة من الألف واللام والكاف والتاء والألف والباء.

والرسول ﷺ وهو أُمِّيٌّ جاء ونطق بأسماء الحروف فكانت هذه الحروف دليلاً على صدق رسول الله ﷺ في البلاغ عن ربه، وأنّ هذا القرآن موحى به من الله سبحانه وتعالى.

٤ـ لذلك نجد أنّ سور الفواتح تبدأ بأسماء الحروف وينطق هذه الحروف بأسمائها، وقد تجد الكلمة نفسها في آية أخرى فتنطق بمسمياتها ، لذلك أول سورة البقرة تنطق (ألف لام ميم)، بينما في سورة الشرح تنطق الكلمة بمسميات الحروف ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ [الشَّرح:١] .

٥ ـ كل القرآن مبني على الوصل دائماً وليس على الوقف، فإذا نظرت إلى آخر حرفٍ من أي سورة بما فيها سورة الناس تجد أن الحرف الأخير عليه حركة. أمثلة:

ـ آخر سورة يونس ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يونس:١٠٩] النون عليها فتحة وليس سكون.

ـ آخر آية في آخر سورة في القرآن ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس:٦] السين عليها كسرة وليس سكون.

لذلك فكل آيات القرآن الكريم مبنية على الوصل ما عدا أحرف فواتح السور فهي مبنية على الوقف .

٦ـ القدماء انتبهوا إلى أنّ السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة بُنيت على تلك الأحرف فمثلاً :

(سورة ق) تتكرر فيها الكلمات التي فيها حرف القاف مثل ﴿قَوْلٍ﴾ [ق:١٨] ، ﴿رَقِيبٌ﴾ [ق:١٨] ، ﴿وَالْقُرْءَانِ﴾ [ق:١] ، ﴿تَنقُصُ﴾ [ق:٤]، ﴿وَأَلْقَيْنَا﴾ [ق:٧] ، ﴿بَاسِقَٰتٍ﴾ [ق:١٠] ، ﴿بِالْخَلْقِ﴾ [ق:١٥] .

وكذلك (سورة ص) تكثر فيها الكلمات التي فيها حرف الصاد مثل: ﴿مَنَاصٍ﴾ [ص:٣] ، ﴿وَاصْبِرُوا﴾ [ص:٦] ، ﴿وَأَصْحَٰبُ﴾ [ص:١٣] ، ﴿صَيْحَةً﴾ [ص:١٥] ، ﴿وَفَصْلَ﴾ [ص:٢٠]، ﴿الْخَصْمِ﴾ [ص:٢١] .

حتى أنهم جعلوا إحصائية في ﴿الٓر﴾ وقالوا: أنها تكررت فيها الكلمات التي فيها ﴿الٓر﴾ ٢٢٠ كلمة هذا قول القدامى.

والعلماء جمعوا الأحرف المقطعة وقالوا :عندما نجمعها نجد أنها مكونة من (١٤) حرفاً تمثّل نصف حروف المعجم ، وجاءت في ٢٩ سورة وهي عدد حروف المعجم وتمثل نصف الأحرف المجهورة، ونصف الأحرف الشديدة، ونصف المُطبَقَة، ونصف المنقوطة، ونصف الخالية من النقط، ونصف المستقرة، ونصف المنفتحة، ونصف المهموسة، ونصف المستعلية، ونصف المقلقلة، و نصف الرَّخوة وهكذا ، لكن هم خاضوا في هذا للنظر فيه.

هذه الأحرف المفرّغة من المعنى رُكبت تركيباً خاصاً فصارت آيات مبينة موضحة وهي موضع الإعجاز وموضع التحدي للعرب الفصحاء، هم يقيناً أدركوا هذا المعنى وإلا لكانوا سألوا عنه.

وقسم قال : إن كل السور التي تبدأ بحرف (ط) تبدأ بقصة موسى أولاً، وهناك من جعل منها معادلة رياضية فقال: أن كل سورة فيها ﴿الٓمٓ﴾ نسبة الحروف ألف إلى لام تساوي نسبة الحروف لام إلى ميم.

٧ـ عدد سور الفواتح (٢٩) سورة من أصل (١١٤) سورة أي: حوالي ٢٥٪. من سور القرآن بينما نسبة عدد كلماتها إلى كلمات القرآن فتقارب ٤٨٪ .

٨ـ مجموع الفواتح بدون تكرار (١٤) فاتحة وتتكون من (١٤) حرفاً من الأحرف الهجائية وتجمعها جملة (طرق سمعك النصيحة) أو (صح طريقك مع السنة) وتعرف هذه الحروف بالأحرف النورانية.

٩ ـ هناك فواتح مؤلفة :

آـ من حرف واحد : ﴿نٓ﴾[القلم:١] ﴿قٓ﴾[ق:١] ﴿صٓ﴾[ص:١] .

ب ـ فواتح من حرفين : ﴿طه ①﴾ [طه:١] . ﴿يسٓ ①﴾ [يس:١] . ﴿طسٓ﴾ [النمل:١] . ﴿حمٓ ①﴾[الدخان:١] .

ج ـ وفواتح من ثلاثة أحرف: ﴿الٓمٓ ①﴾ [البقرة:١] . ﴿الٓر﴾ [إبراهيم:١] . ﴿طسٓمٓ ①﴾[الشعراء:١] .

د ـ وفواتح من أربعة أحرف : ﴿الٓمٓصٓ①﴾[الأعراف:١] . ﴿الٓمٓر﴾[الرعد:١]

هـ ـ وفواتح من خمسة أحرف : ﴿كٓهيعٓصٓ ①﴾ [مريم:١] . ﴿حمٓ ① عٓسٓقٓ ②﴾[الشورى١ – ٢] .

١٠ـ وتنقسم الفواتح من حيث تكرارها إلى قسمين :

آ ـ فواتح لم تتكرر صورتها إلا مرة واحدة، وعددها عشرة وهي: ﴿الٓمٓصٓ ①﴾ [الأعراف:١] ﴿الٓمٓرٰ﴾ [الرعد:١] ﴿كٓهيعٓصٓ ①﴾ [مريم:١] ﴿طه ①﴾ [طه:١] ﴿طسٓ﴾ [النمل:١] ﴿يسٓ ①﴾[يس:١] ﴿صٓ﴾[ص:١] ﴿حمٓ ① عٓسٓقٓ ②﴾[الشورى: ١ – ٢] ﴿قٓ﴾ [ق:١] ﴿نٓ﴾[القلم:١] .

ب ـ فواتح تكررت صورتها :[﴿الٓمٓ ①﴾ ـ٦ مرات]،[﴿الٓر﴾ ـ ٥ مرات]،[﴿طسٓمٓ ①﴾ ـ٢ مرة]،[﴿حمٓ ①﴾ ـ ٦ مرات].

١١ ـ بعض الفواتح جزء من فاتحة أخرى ﴿طسٓ﴾ متكررة في ﴿طسٓمٓ ①﴾ ، وفاتحة ﴿صٓ﴾ متكررة في ﴿كٓهيعٓصٓ ①﴾ ﴿الٓمٓصٓ ①﴾ ، وفاتحة ﴿قٓ﴾ متكررة في ﴿حمٓ ① عٓسٓقٓ ②﴾]

١٢ ـ ترتيب سور الفواتح الـ(٢٩) حسب نزولها هو : [ن ـ ق ـ ص ـ الأعراف ـ يس ـ مريم ـ طه ـ الشعراء ـ النمل ـ القصص ـ يونس ـ هود ـ يوسف ـ الحجر ـ لقمان ـ غافر ـ فصلت ـ الشورى ـ الزخرف ـ الدخان ـ الجاثية ـ الأحقاف ـ إبراهيم ـ السجدة ـ الروم ـ العنكبوت ـ البقرة ـ آل عمران ـ الرعد].

١٣ـ وقد قامت الدكتورة عائشة عبد الرحمن والملقبة ببنت الشاطىء بدراسة تاريخية لهذه السور الـ (٢٩) وخلصت إلى النتائج التالية :

آ ـ أنه بدأت من أوائل الوحي لافتة إلى سر الحرف، ثم كثرت وتتابعت في أواسط العهد المكي حين بلغ الجدل أشده فعُرضت قضية التحدي ، وظلت الآيات تعاجزهم

وتتحداهم أنْ يأتوا بمثله أو بسورة منه إلى أول العهد المدني الذي نزلت فية آية البقرة فحسمت الجدل العقيم بعد أن ألزمتهم الحجة على صدق المعجزة بعجزهم مجتمعين أنْ يأتوا بسورة من مثله.

ب ـ أكثر السور المبدوءة بالحروف نزلت في المرحلة التي بلغ فيها عتو المشركين أقصى المدى وأفحشوا في حمل الوحي على الافتراء والسحر والشعر والكهانة، فواجههم القرآن بالتحدي.

١٤ ـ من عجائب أحرف الفواتح وهي (١٤) حرفاً أنها تمثل نصف حروف المعجم وترددت في (٢٩) سورة على عدد حروف المعجم ، كما أنّ هذه الحروف تشتمل على أنصاف أجناس الحروف، فهي تمثل النصف من الحروف المهموسة والمجهورة والشديدة والرخوة والمطبقة والمنفتحة والمستعلية والمنخفضة ومن حروف القلقلة، وبيان ذلك حسب الجدول التالي :

الصفة	حروفها	عددها	عدد الأحرف النورانية فيها	النسبة المئوية
الهمس	فحثه شخص سكت	١٠	٥	٥٠٪
الجهر	باقي الأحرف	١٨	٩	٥٠٪
الشدة	أجد قط بكت	٨	٤	٥٠٪
الرخاوة	باقي الأحرف	٢٠	١٠	٥٠٪
الإطباق	ص ض ط ظ	٤	٢	٥٠٪
الإنفتاح	باقي الأحرف	٢٤	١٢	٥٠٪
الاستعلاء	خص ضغط قظ	٧	٣	٤٣٪

الاستفال	باقي الأحرف	٢١	١١	٥٢٪
القلقلة	قطب جد	٥	٢	٤٠٪
المجموع		١١٧	٥٨	٥٠٪

١٥ ـ تتألف الأحرف الهجائية للغة العربية من (٢٩) حرفاً، أمّا الأحرف الأبجدية فتتألف من (٢٨) حرفاً على اعتبار أنه لا فرق بين الألف والهمزة في الأبجدية.

قال الناظم :

وعِدةُ الحروفِ للهجاءِ تسعٌ وعشرون بلا مراءِ
أولها الهمزةُ لكن سُمِّيت بألفٍ مجازاً إذ قد صورت

وذلك أنهم يسمون كلاً من الهمزة والألف اللينة (ألفاً) ويفرقون بينهما بوصفهم للألف باللينة أوالممدودة ، أي : الألف الممدودة اللينة فرع عن الهمزة.

١٦ ـ الحروف في اللغة نوعان : مبنى و معنى :

آ ـ حرف مبنى : وهو الحرف الذي لا معنى له إلا للدلالة على الصوت فقط.

ب ـ حرف معنى : مثل (في) للظرفية، و (من) للابتداء، و(على) للاستعلاء.

١٧ ـ على الأصح فإنّ أحرف الفواتح لا تعرب .

١٨ ـ شاء الله سبحانه وتعالى أنْ يبقى معناها في الغيب عنده ، وأنت أيها المسلم المؤمن خذ كلمات الله التي تفهمها بمعانيها وخذ الحروف التي لا تفهمها بمرادات الله فيها ، وهذه الحروف هي سر من أسرار الله تعالى يريدنا أنْ ننتفع بقراءتها سواء فهمناها أم لم نفهمها .

أي أنّ القول الفصل فيها : إنها حروف لها سر من قبل الله تعالى لا نعلمه، وقسم قال : هي من المتشابه الذي لا نعلمه، قد يكون هذا الرأي هو السديد ، ولكن هذه الملاحظات جديرة بالانتباه أيضاً.

١٩ـ وقدً انتبه القدامى إلى أنّ هذه السور التي تبدأ بهذه الأحرف يكون التعبير فيها بطابع هذه الأحرف، يعني التي تبدأ بالصاد تكثر فيها الكلمات الصادية ويعني أنها تعطيك بداية فنية لما يكثر من الأحرف في هذه السورة. مثل :

آ ـ سورة (ق) تردد فيها الكلمات التي فيها قاف (﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ [ق:١]، ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق:١٧] ، ﴿قَعِيدٌ﴾ [ق:١٧]، ﴿سَآئِقٌ﴾ [ق:٢١] ، ﴿تَشَقَّقُ﴾ [ق:٤٤])، في (ص) ذكر الكلمات فيها صاد نحو: الخصومات، الخصم، يختصمون، مناص، صيحة، اصبروا، صيحة، اصبر.

ب ـ ثم استدلوا إلى الإحصاء ، قالوا وضربوا مثالاً في سورة يونس تبدأ بـ ﴿الٓرۚ﴾ [يونس:١] وفي هذه السورة تكررت الكلمات التي فيها راء كثيراً، وأقرب السور إليها سورة النمل والنحل، وهي أطول منها لكنها لم تتردد الراء فيها كما في يونس ففيها (٢٢٠ راء)، هكذا أحصوا والله أعلم.

ج ـ ثم الملاحظة أنّ كل السور التي تبدأ بالطاء ﴿طه ۝١﴾ ﴿طسٓۚ﴾ ﴿طسٓمٓ﴾ كلها تبدأ بقصة موسى أولاً، كلها بلا استثناء.

ويبدو كما يقولون أنّ اللمسة البيانية أنها تشير إلى أنّ الحروف المذكورة في أوائل بعض السور تطبع طابع السورة فيكون من باب السمة التعبيرية.

ليس هذا فقط ولكن قبل سنوات أخرج دكتور مهندس كتاباً عن المناهج الرياضية في التعبير القرآني عملها على الكمبيوتر وهو يقول : إنه لاحظ أن الأحرف المذكورة في بداية السور تتناسب مع السور تناسباً طبيعياً؛ فالتي تبدأ بـ ﴿الٓمٓ ۝١﴾ يكون الألف أكثر تكراراً في السورة، ثم اللام ثم الميم، وليس هذا فقط وإنما نسبة الألف إلى اللام مثل نسبة اللام إلى الميم، هذه معادلة رياضية وقد قال بأنه راجع الصحف و طبقها على الصحف لكنه وجد القرآن متفرداً بها.

والذي عليه الكثيرون أنّ هذه من دلائل الإعجاز، بمعنى أنّ هذا القرآن المبين الواضح مكوّن من هذه الأصوات غير المبينة في ذاتها، وأنّ القرآن جاء بكلام معجز من جنس كلامهم فأتوا بمثله إنْ استطعتم، والسلف كانوا يوكلون معاني هذه الأحرف لله تعالى .

السؤال الثاني:

لماذا لم يلتزم القرآن نفس الأحرف المقطعة في كل السور؟وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن ؟

الجواب:

أولا: الأحرف المقطعة جاءت في ٢٩ موضعاً في القرآن الكريم والذي تم التوصل إليه ما يلي :

آ ـ لا توجد مناسبة ظاهرة، لكن هناك مناسبة اختيار ما بَعْدَها بالنظر إليها.

ب ـ هذه المناسبة هي من الجانب الصوتي، وتنطبق على جميع ما ورد ذكره من : كلمة كتاب وكلمة قرآن.

ج ـ القاعدة: أنه إذا كانت الحروف المقطعة أكثر من مقطعين أوأكثر من حرفين فعند ذلك يأتي معها الكتاب لأنّ الكتابة ثقيلة، وإذا كانت الحروف المقطعة تتألف من مقطعين أو حرفين فيأتي معها القرآن، باستثناء إذا كان الحرف الثاني مقطعاً ثقيلاً كالميم مثلاً لأنه مديد (ميم، حركة طويلة، ميم: قاعدتان وقمة طويلة) وهو من مقاطع الوقف. فالميم حرف ثقيل لأنه يبدأ بصوت وينتهي بالصوت نفسه وبينهما هذه الحركة الطويلة والعرب تستثقل ذلك ، والميم من أحرف الجهر والغنة ، بينما الهاء والسين من أحرف الهمس والإصمات .

- أمثلة :

١ـ ﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ حرفان ، الحاء مقطع والميم مقطع ثقيل لأنه مديد (ميم، حركة طويلة، ميم: قاعدتان وقمة طويلة﴾ وهو من مقاطع الوقف فجاء بعدها لفظة الكتاب .

٢ـ ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة:١-٢] ، أكثر من مقطعين، جاء بعدها كلمة لفظة الكتاب.

٣ـ ﴿طه ﴿١﴾﴾ ـ (﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾ [طه:١-٢]) ، ذكر لفظة القرآن.

٤ـ ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ [يس:١-٢]﴾ ـ ذكر لفظة القرآن لأنّ السين ليس ثقيلاً وإنما هو من أحرف الهمس .

٥ـ ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾﴾ [ص:١]، حرف واحد فذكر لفظة القرآن.

ورسم هذه الحروف رسم توقيفي أي على ما رسمه صحابة رسول الله ﷺ لأنه لم يكن يعرف الرسم.

وهذه الأحرف جميعاً حيثما وردت تشير إلى أصوات متناسقة ليس بينها تنافر، كأنّ القرآن يقول لنا : هذه الأصوات ينبغي ألا يكون فيها نوع من التنافر.

فمثلاً :

آ ـ ﴿الٓمٓ ۝١﴾ [البقرة:١] الألف من أقصى الحلق من الوترين، واللام مخرجها الذي هو فويق مفارز الثنايا والرباعية والناب والضاحك ، واللام مخرجه منتشر ويميل، والميم بانضمام الشفتين.

ب ـ ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم:١] في لفظ واحد .

ج ـ ولذلك لمّا جاء في القرآن في موضع واحد حرفان من مخرج واحد مع ما فيهما من اختلاف جعل كل واحد في آية، فقال: ﴿حمٓ ۝١﴾ [الشورى:١] آية ، و﴿عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى:٢] آية؛ لأنّ الحاء والعين من مخرج واحد ولا يكونان في لفظ واحد مع أنّ بين الحاء والعين فروقاً في الصفات منها :

ـ في مسألة الشدة والرخاوة: الحاء رخوة ومعناها يجري به الصوت، والعين متوسط.

والصفات من حيث الشدة والرخاوة فيها: أصوات شديدة وأصوات رخوة وأصوات متوسطة، كأنها تبدأ شديدة وتنتهي رخوة أو ظاهرها الشدة لكن يجري بها الصوت من غير مخرجها مثل الميم أوالنون.

ـ وشيء آخر : الحاء مهموس والعين مجهور، ولذلك الاختلاف جُعِل كل واحد في آية حتى لا يكونا في بناء واحد، فإذن نوعية الصوت أيضاً منتقاة.

ثانياً ـ بعض الحروف المقطعة عُدّت آيات وبعضها ما عُدّ آية، فقوله تعالى ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:١-٢] ﴿الٓمٓ ۝١﴾ [البقرة:١]آية. وأرقام الآيات توقيفية على ما فعله الصحابة، فهم لم يضعوا أرقاماً، وإنما وضعوا فجوات، ثم بعد ذلك وضعت الأرقام.

وانظر الجدول التالي الذي يبين ما جاء في الآية بعد الأحرف المقطعة :

السورة	الأحرف المقطعة	اللفظة التي جاءت في الآية التي تليها ﴿الكتاب﴾
١ـ البقرة	﴿الٓمٓ ۝١﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾
٢ـ آل عمران	﴿الٓمٓ ۝١﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾
٣ـ الأعراف	﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾	﴿كِتَٰبٌ﴾
٤ـ يونس	﴿الٓرۚ﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾
٥ـ هود	﴿الٓرۚ﴾	﴿كِتَٰبٌ﴾
٦ـ يوسف	﴿الٓرۚ﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾
٧ـ الرعد	﴿الٓمٓرۚ﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾
٨ـ إبراهيم	﴿الٓرۚ﴾	﴿كِتَٰبٌ﴾
٩ـ الشعراء	﴿طسٓمٓ ۝١﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾
١٠ـ القصص	﴿طسٓمٓ ۝١﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾
١١ـ لقمان	﴿الٓمٓ ۝١﴾	﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾

١٢ـ السجدة	﴿الٓمٓ ۝١﴾	﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾
١٣ـ غافر	﴿حمٓ ۝١﴾	﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾
١٤ـ فصلت	﴿حمٓ ۝١﴾	﴿كِتَٰبٌ﴾
١٥ـ الزخرف	﴿حمٓ ۝١﴾	﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾
١٦ـ الدخان	﴿حمٓ ۝١﴾	﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾
١٧ـ الجاثية	﴿حمٓ ۝١﴾	﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾
١٨ - الأحقاف	﴿حمٓ ۝١﴾	﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾

السورة	الأحرف المقطعة	اللفظة التي جاءت في الآية التي تليها (القرآن)
١ - طه	﴿طه ۝١﴾	﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾
٢ - يس	﴿يسٓ ۝١﴾	﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾
٣ - ص	﴿صٓ﴾	﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾
٤ - ق	﴿قٓ﴾	﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾

السورة	الأحرف المقطعة	اللفظة التي جاءت في الآية التي تليها (الكتاب والقرآن) أو (القرآن والكتاب)
١ - الحجر	﴿الٓرۚ﴾	﴿ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾
٢ - النمل	﴿طسٓ﴾	﴿ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١﴾

السورة	الأحرف المقطعة	اللفظة التي جاءت في الآية التي تليها
١ - مريم	﴿كٓهيعٓصٓ﴾	لم يذكر الكتاب أو القرآن

٢- العنكبوت	﴿الٓمٓ ۝١﴾	لم يذكر الكتاب أو القرآن
٣- الروم	﴿الٓمٓ ۝١﴾	لم يذكر الكتاب أو القرآن
٤- الشورى	﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾	لم يذكر الكتاب أو القرآن
٥- القلم	﴿نٓ﴾	لم يذكر الكتاب أو القرآن

❁❁❁❁

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين دلالة كلمة الكتاب والقرآن؟

الجواب:

أولاً ـ دلالة كلمتي الكتاب والقرآن:

من الناحية اللغوية:

١ـ كلمة (قرآن) هي في الأصل لغة مصدر الفعل (قرأ) مثل غفران وعدوان. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ [القيامة:١٨] ثم استعملت علماً للكتاب الذي أُنزل على الرسول عليه السلام وهو القرآن الكريم.

٢ـ أمّا الكتاب فهي من الكتابة، وأحياناً يسمى كتاباً لأنّ الكتاب متعلق بالخط، وأحياناً يطلق عليه الكتاب وإن لم يُخطّ ﴿أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، والقرآن لم يُنزّل مكتوباً وإنما أُنزل مقروءاً ولكنه كان مكتوباً في اللوح المحفوظ قبل أنْ ينزّل على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

من ناحية الاستعمال :

١ـ يلاحظ أنه عندما يبدأ بـ﴿ٱلْكِتَـٰبُ﴾ يتردد في السورة ذكر الكتاب أكثر بكثير مما يتردد ذكر القرآن أو قد لا تذكر كلمة القرآن مطلقاً في السورة.

٢ـ أمّا عندما يبدأ بـ ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾ يتردد في السورة ذكر كلمة القرآن أكثر من ذكر الكتاب أو قد لا يرد ذكر الكتاب مطلقاً في السورة .

٣ـ وإذا اجتمع القرآن والكتاب فإنهما يترددان في السورة بشكل متساو تقريباً .

ونأخذ بعض الأمثلة:

آ ـ في سورة البقرة بدأ بالكتاب ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:٢] وذكر الكتاب في السورة (٤٧) مرة والقرآن مرة واحدة فقط في آية الصيام ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥] .

ب ـ في سورة (آل عمران) بدأ السورة بالكتاب ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣﴾ [آل عمران:٣] وورد الكتاب (٣٣) مرة في السورة ولم ترد كلمة القرآن ولا مرة في السورة كلها.

ج ـ في سورة (طه) بدأ السورة بالقرآن ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه:٢] وورد القرآن فيها (٣) مرات والكتاب مرة واحدة.

د ـ في سورة (ق) بدأ بالقرآن ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ [ق:١] وورد ذكر القرآن(٣) مرات في السورة، بينما ورد الكتاب مرة واحدة.

هـ ـ في سورة (ص) تساوى ذكر القرآن والكتاب.

و ـ في سورة (الحجر) بدأ ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١﴾ [الحجر:١] ورد ذكر القرآن (٣)مرات والكتاب مرتين.

ز ـ في سورة (النمل) بدأ ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١﴾ [النمل:١] ورد ذكر القرآن (٣) مرات والكتاب أربع مرات.

وبشكل عام نقول :إنّ الذي أنزله الله عز وجل على رسوله ﷺ يمكن أنْ يقال له : هو الكتاب، ويمكن أنْ يقال له: هو القرآن، ويمكن أن يقال له:هو الفرقان، ويمكن أن يقال له: هو الذِكر.

السؤال الثاني:

ما دلالة استعمال اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ بدل (هذا الكتاب)؟

الجواب:

١ـ اسم الإشارة في الأصل هو (ذا) وحدها، لكن يدخله الهاء للتنبيه ، كأنما يقدم عليه شيئاً ينبّه فيقال :(هذا)، وأحياناً تدخل عليه الكاف الذي يشير إلى البُعد فيقول: (ذاك) وقد تدخل عليه اللام التي تشير إلى البُعد المُفرِط (ذلك) للبعيد جداً .

٢ـ العلماء يقولون: هذا نوع من تشريف للكتاب بأنه لم يُشر إليه بإشارة القريب، وإنما أراد أنْ يعظِّمه، وقسم قال :إذا أشار إلى الكتاب الذي في اللوح المحفوظ فقال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ ومعناه الكتاب الذي في اللوح المحفوظ والذي لا يمسه إلا المطهّرون من الملائكة، والله أشار إليه بـ (هذا) عندما أراد إلى ما بين أيدي الناس فاستعمل إشارة القريب كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾أي: للقران الذي بين أيديهم.

القرآن والكتاب واحد، وهو الآيات التي أنزلها الله عز وجل على محمد ﷺ ، لكنّ الله تعالى عندما يقول: (الكتاب) كأنه يشير إلى هذا المدوّن، وهو نفسه المقروء، وهو كان مسطّراً في اللوح المحفوظ ، ثم نزل مقروءاً ثم قرأه الرسول ﷺ ثم سُطِّر.

٣ـ ولما قال: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:٢] انصرف الذهن إلى الكتاب الذي في اللوح المحفوظ ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:٢] والريب أدنى درجات الشك، والشك أقوى من الريب، والريب كأنه أول درجات الشك، وهذا الكتاب بذاته يخلو من أي ذرة من ذرات الشك فإذن هو يخلو من الريب.

٤- نفس اسم الإشارة أحياناً يستعمل في التعظيم، وقد يستعمل في الذم، والذي يبين الفرق بينهما هو السياق.

فمثلاً كلمة (هذا) تستعمل في المدح والثناء كقولهم "هذا الذي للمتقين إمام" ويستعمل في الذم ﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ [الفرقان:٤١] .

واسم الإشارة (كذلك) تستعمل في المدح نحو "أولئك آبائي فجئني بمثلهم" أولئك جمع ذلك وهؤلاء جمع هذا ، ويستعمل للذم.

وأيضاً (ذلك) و(تلك) من أسماء الإشارة تستعملان للمدح نحو قوله تعالى : ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [يوسف:٣٢] وهذا تعظيم، وأحياناً يكون في الذم تقول : هذا البعيد ، ولا تريد أنْ تذكره فهنا الذي يميز بين ذلك الاستعمال والسياق.

٥ـ وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:٢] هنا إشارة إلى علوه وبُعد رتبته وبُعده عن الريب وأنه بعيد المنال لا يستطيع أنْ يؤتى بمثله ، ولفظة ﴿ذَٰلِكَ﴾ دلالة على

البعد . والله تعالى قال في نفس السورة :﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾ [البقرة:٢٣-٢٤] أي أنّ هذا الأمر بعيد عن المنال أنْ يؤتى بمثله، إذن ذلك الكتاب إشارة إلى بعده وعلو مرتبته.

٦ـ والقرآن يستعمل (هذا) لكن في مواطن، كقوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩] فعندما قال: (يهدي للتي هي أقوم) يجب أنْ يكون قريباً حتى نهتدي به، لكن لمّا قال: ذلك الكتاب هو عالٍ بعيد لا يستطاع أنْ يؤتى بمثله.

٧ـ ثم إنّ الله تعالى لم يذكر القرآن إلا بـ(هذا) ولم يقل (ذلك)، وكلما أراد أن يشير إلى القرآن يشير بـ (هذا)؛ لأنّ القرآن من القراءة وهو مصدر فعل قرأ وكلمة قرآن أصلاً مصدر، فالفعل (قرأ) له مصدران (قراءة وقرآناً)، وعندما تريد أنْ تقرأ تقرأ القريب ، إذن هذا هو القرآن، بينما الكتاب بعيد وهو في اللوح المحفوظ ويسمى كتاباً.

شواهد قرآنية :

ـ ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾[الأنعام:١٩].

ـ ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[يونس:٣٧].

ـ ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾[يوسف:٣].

ـ ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾[الإسراء:٨٨].

والسبب في ذلك أنّ القرآن من القراءة وهو مصدر فعل (قرأ) ولما تقرأ تقرأ القريب ، أمّا الكتاب فبعيد وليس قراءة وهو في اللوح المحفوظ يسمى كتاباً ، فالكتاب فيه بُعد التصور ، أمّا القرآن فيكون قريباً حتى يقرأ.

ولذا ربنا تعالى يستعمل مع كلمة الكتاب أنزلنا ، كقوله تعالى ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾[الأنعام:٩٢] دلالة إلى أنه نزل من مكان عالٍ من اللوح المحفوظ.

وقوله تعالى في تحديه للناس في الإتيان بمثله ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ [البقرة:٢٤] دلالة على أنه بعيد عليكم .

لذلك اسم الإشارة (ذلك) يدل على علو منزلته .

٨- و باختصار هناك فرق بين الكتاب والقرآن؛ فالكتاب فيه بُعدٌ مُتَصوّر، أما القرآن فيكون قريباً حتى يُقرأ.

وقوله تعالى في أول البقرة ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة:٢] يدل على بُعده وعلو منزلته ، وكونه بعيداً يجعل من المستحيل أنْ يؤتى بمثله؛ لذلك قال الله في السورة نفسها: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾[البقرة:٢٤] يعني بعيد عليكم فاسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ﴾ دل على علوِّهِ منزلة.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[البقرة:٢] ؟ وما إعراب ﴿لا﴾؟

الجواب:

١ـ جملة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[البقرة:٢] جعلت أحد الغربيين يُسلِمُ بمجرد أنْ سمعها، كيف؟

قال : إنه مهما بلغتْ فصاحةُ أيٍّ من البشر في اللغة والكتابة وتمكنُه منها، فإنه إذا كتب كتاباً أو رسالة ثم أعاد قراءتها فلا بدّ أنْ يُغير حرفاً أو كلمة أو جملة، وهذا يحدث في كل مرة يعيد قراءة ما كتب .

ولفظة (لا) في قوله تعالى ﴿لَارَيْبَۛ﴾ [البقرة:٢] هي نافية للجنس، أي: تنفي الريب بالكلية.

وفي قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَارَيْبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة:٢] دليل واضح لا يقبل الشك على أنه من عند الله تعالى، فمهما تكررت القراءة لا تجد ما قد تحتاجه من تنقيح أو تعديل ،وهذا من إعجازه ودليل على قدرة الله العظيم على إحكام آياته ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾[هود:١] .

٢ـ (لا) نافية للجنس و (ما) نافية كذلك فما الفرق بينهما ؟

يُقال : لا رجلَ في الدار ، ويقال : ما من رجلٍ في الدار ، فما الفرق بينهما علماً بأنّ التعبيرين نص في نفي الجنس ؟

آ ـ (لا) تستعمل لجواب سؤال حاصل أو مقدر هو : هل من ؟ نحو : من سأل عن وجود أحد في الدار ؟ فالجواب: لا ، ويكون الجواب كالإعلام.

ب ـ (ما) تستعمل كَرَدٍّ على قولٍ أو ما نُزِّلَ هذه المنزلة، نحو من قال : إنّ في الدار لرجلاً ، فيكون الرَّدُّ : ما من رجلٍ في الدار ، فهو رَدٌّ على قول وتصحيح ظن.

شواهد قرآنية على استعمال (ما) كرد على أقوالهم :

ـ ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[المائدة:٧٣] .

- ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [آل عمران:٦١-٦٢] .

- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨] .

- ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب:١٣] .

- ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٨] .

- ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ [التوبة:٥٦] .

شواهد قرآنية على استعمال (لا) كإعلام للمخاطب :

- ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة:٢].

- ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ [البقرة:٢٥٦].

- ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩] .

٣ـ وإنْ قيل: كيف الجمع بين قوله تعالى ﴿لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ﴾ وبين إخبار الله بشك الكفار وريبهم فيه، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة:٢٣]

وجوابه : أنه لظهور أدلته عند من نظر فيه لا ريب فيه عنده ، أمّا الريبة فيه فهي لعدم نظر الكفار والمشركين في أدلة صحته .

وقال الرازي : المراد أنه ليس محلاً للريب، أو هو نفيٌ معناه النهي، أي: لا ترتابوا أنه من عند الله تعالى.

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ ؟ وما معنى التقوى؟

الجواب:

١-التقوى هو : أنْ يحفظ الإنسان نفسه بشيء ويحمي نفسه من خطر ، والقرآن وقاية، وهذه الوقاية تكون بالأعمال الصالحة التي تقي المؤمن من النار.

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ ليس معناه أنْ نجعل بيننا وبين الله وقاية، ولكنّ المعنى أنْ نجعل بيننا وبين غضب الله وعذابه وقاية ، فنحن نتقي بصفات كمال الله (غافر الذنب والرحمن والرحيم والغفور) من صفات جلال الله (المنتقم والجبار والمتكبر).

وقد قال الحسن البصري في تعريف التقوى : التقوى هي الخوف من الجليل، والرضى بالقليل، والعمل بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل .

وقال غيره : التقوى أنْ لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفتقدك حيث أمرك .

وقال سيد قطب رحمه الله تعالى عن القرآن الكريم : الهدى حقيقته، والهدى طبيعته، والهدى كيانه، والهدى ماهيته ... ولكن للمتقين ..؛ لأنّ التقوى في القلب هي التي تؤهله للانتفاع بهذا الكتاب.

٢ـ الوقف على ﴿فِيهِ﴾ هو المشهور، وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على ﴿لَا رَيْبَ﴾ ، والقراءة الأولى أولى لأنه يكون في هذه الحالة الكتاب نفسه هدى ، وفي الثانية يكون الكتاب فيه هدى.

٣ـ في الآية تنبيه على أنه الكلام المتحدى به في قوله تعالى ﴿الٓمٓ ۝١﴾ ثم أُشير بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقرير جهة التحدي ، ثم نفى عنه الريب فكان شهادة بكماله ، ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين.

وفي الأولى حذف ورمز إلى الغرض بألطف وجه ، وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة ، وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف ، وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر ﴿هُدًى﴾ موضع الوصف الذي هو (هاد) وإيراده منكّراً ليفيد عموم الهدى. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[البقرة:٣] ؟

الجواب:

١- الغيب هو كل ما غاب عن العين ، ولذلك يقال :ليس مع العين أين؛ لأنّ ما تراه لا تريد عليه دليلاً ولكنّ الغيب لا تدركه الحواس إنما يُدرك بغيرها.

ومن المعروف أننا ندرك الأشياء بواسطة حواسنا الخمس (السمع،والبصر، والشم، والذوق واللمس) ولكنّ هناك أشياء تدرك بغير هذه الحواس.

أمثلة: حقيبتان لهما نفس الشكل واللون والحجم لا تستطيع بحواسك الظاهرة أنْ تدرك أيهما أثقل ، لكن عن طريق حاسة العضل تستطيع معرفة الأثقل.

كذلك الشعور بالجوع والعطش والاستيقاظ والنفس البشرية وغيرها كلها إدراكات متعددة تعمل بغير علم منا، وقد يكون لهذه الإدراكات مقدمات.

و الغيب هو الشيء الذي ليس له مقدمات، ولا يمكن أنْ يصل إليه علمُ خَلْقٍ من خلق الله حتى الملائكة والجن وحتى الرسل إلا ما يعلّمه الله لرسله بما يشاء من الغيب.

وقمة الغيب هي الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وكذلك الإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، كل هذه الأمور أمور غيبية أخبرنا الله عنها ، ولقد أراد الله تعالى رحمة بعقولنا أنْ يقرب لنا قضية الغيب فأعطانا من الكون المادي أدلة على أنّ وجود الشيء وإدراك هذا الوجود هما أمران منفصلان تماماً.

لهذا لا بدّ أنْ تعرف أنّ وجود الشيء مختلف تماماً عن إدراك هذا الشيء، فأنت لك روح لكن لا تدركها وإنما تشعر بأثرها في إحياء جسدك.

والله سبحانه قد أعطانا من آياته في الكون ما يجعلنا ندرك أنّ لهذا الكون خالقاً، وأنّ وراء كل ما في هذا الكون قوة هائلة هي التي خلقت وأبدعت ونظمت ، فإذا جاء رسولٌ يبلغنا أنّ الله هو الذي خلق هذا الكون فلا بدّ أن نصدقه.

٢ـ قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ﴾ إمّا موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة، أو منصوب على المدح بتقدير: أعني الذين يؤمنون ، أو منقطع مرفوع على الابتداء مخبر عنهم بـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ [البقرة:٥] .

٣ـ قيل : الغيب: مصدر أقيم مكان اسم المفعول.

٤ـ ذكر الله تعالى في آية النمل ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل:٦٥] ووصف المؤمنين بأنهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣] والسؤال : ما لا يُعلَمُ كيف يؤمن به ؟

والجواب: أنّ المراد هو الغيب الذي دلّ البرهان على صحته ووقوعه وذُكر في القرآن الكريم كالقيامة والجنة والنار .

السؤال الثاني:

ما معنى الصلاة لغة ؟

الجواب:

ذكروا في لفظ الصلاة لغة أنها بمعنى : الدعاء .

السؤال الثالث:

ما معنى الرزق ؟ وما دلالة الحرف (من) في الآية ؟ ولماذا قدّم مفعول الفعل ؟

الجواب:

١ـ الرزق في كلام العرب هو الحظُّ كما في قوله تعالى ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة:٨٢]. والحظُّ هو نصيب المرء وما هو خاص له دون غيره.

٢ـ أصل الإنفاق إخراج المال من اليد، ونفقت الدابة إذا ماتت أي: خرج روحها.

٣ـ أسند الرزق لله فهو المنعم.

٤ـ قدّم مفعول الفعل دلالة على أنه أهم.

٥ـ (من) للتبعيض، أي: بعض مالهم وليس كله صيانة لهم وتسهيلاً على النفس.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾

اللمسات البيانية لهذه الآية تتضح في السؤال التالي :

السؤال الأول :

المطلوب إجراء مقارنة بين آيات بداية سورة البقرة و آيات بداية سورة لقمان ؟

الجواب :

الجدول التالي يلخص لنا المقارنة المطلوبة :

مسلسل	سورة البقرة	رقم الآية	سورة لقمان	رقم الآية
١	﴿ ذَٰلِكَ ﴾	٢	﴿ تِلۡكَ ﴾	٢
٢	﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾	٢	﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	٢
٣	﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾	٢	﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾	٢
٤	﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾	٢	﴿ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴾	٣
٥	﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾	٣	-	
٦	﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾	٣	﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	٤
٧	﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾	٤	-	
٨	﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾	٤	﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾	٤
٩	﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾	٥	كررت نفس الآية	٥

الملاحظات البيانية حسب التسلسل :

١ـ قال في البقرة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة:٢] واسم الإشارة (ذا) للمفرد المذكر، وهو الكتاب واللام للبعد والكاف للخطاب ، بينما قال في لقمان: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ﴾ [لقمان:٢] لأنّ تلك للمؤنث، أي الآيات، ويشار بتلك إلى البعيد وتستعمل تلك للمفرد، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢] وللجمع على نحو ما مثّل سابقا .

٢ـ قال في البقرة:﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة:٢] بينما قال في لقمان: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [لقمان:٢] ولم يشر إلى الكتاب فقط ، والسبب- والله أعلم -:

آ ـ لو لاحظنا في سورة لقمان أنه تردد كثير من الآيات السمعية والكونية، مثلاً: قوله تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [لقمان:٧] والآيات الكونية مثل ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ [لقمان:١٠] ، إلقاء الرواسي وإخراج النبات وسمّاها آيات ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ۝٣٢﴾ [لقمان:٣٢] .

ب ـ ثم هنالك أمر آخر وهو أن كلمة الكتاب ومشتقات الكتابة في البقرة أكثر من الآيات، وفي لقمان كلمة الآيات أكثر من الكتابة، في البقرة مشتقات الكتاب والكتابة (٤٧) مرة والآيات (٢١) مرة وفي لقمان ذكر الكتاب مرتين والآيات خمس مرات، وهذه سمة تعبيرية أنّ التي بدأت بالكتاب ذكر فيها الكتاب أكثر، والتي بدأ فيها بالآيات ذكر فيها الآيات أكثر.

٣ـ قال في لقمان: ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [لقمان:٢] بينما في البقرة لم يصف الكتاب ، فلماذا؟ وما معنى الحكيم؟

الجواب:

آ ـ الحكيم قد يكون من الحِكمة أو من الحُكم، وهذا من باب التوسع في المعنى، ولو أراد تعالى معنى محدداً لخصّص.

ب ـ في سورة البقرة لم يصف الكتاب؛ لأنّ السورة فيها اتجاه آخر حيث قال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:٢] وهو ذكر التقوى والمتقين.

ففي البقرة قال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:٢] ثم قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾ [البقرة:٢٣-٢٤] اتقوا النار مقابل المتقين، فإذن هناك مناسبة بين هدى للمتقين وكلمة التقوى التي ترددت كثيراً في البقرة، كما أنّ قوله تعالى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:٢] متناسب مع قوله ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ [البقرة:٢٣].

ج ـ أمّا وصفه بالحكيم في سورة لقمان فهو مناسب لما ورد في السورة من ذكر الحكمة ﴿ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان:١٢] وذكر الحِكَم، وربنا وصف نفسه بأنه عزيز حكيم في سورة لقمان أكثر من مرة، فكلمة حكيم مناسبة لجو السورة وذكر الحكمة، لذلك قال في لقمان: ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [لقمان:٢]

٤ـ وفي البقرة قال فقط: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:٢] بينما قال في لقمان: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣﴾ [لقمان:٣] فما دلالة ذلك؟

آ ـ ما الفرق بين المتقي والمحسن؟

المتقي هو الذي يحفظ نفسه فيتقي الأشياء، أمّا المُحسِن فيحسن إلى نفسه وإلى غيره، كما قال تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [البقرة:٨٣] فالإحسان يكون إلى نفسه وإلى غيره، أمّا التقوى فتقتصر على النفس.

والإحسان إلى الآخرين هو من الرحمة، فلمّا رحموا الآخرين وتعدّى إحسانهم إلى غيرهم زادهم ربنا رحمة، أمّا التقوى فهي للنفس، وهؤلاء إحسان للنفس وإلى الآخرين، والإحسان إلى الآخرين هو الرحمة فلمّا زادوا هم زادهم ربهم، والجزاء من جنس العمل، حتى في الآخرة زاد لهم الجزاء، قال تعالى في الآخرة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] وهذه رحمة، فكما زاد الجزاء لهم في الآخرة زاد لهم في الدنيا ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:٢] و ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣﴾ [لقمان:٣].

ب ـ ولو لاحظنا أنّ هذه الأوصاف ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣﴾ [لقمان:٣] هي مناسبة لما ورد في عموم سورة لقمان وما شاع في جوِّها من هدى ورحمة وإحسان:

ـ فمن مظاهر الهدى المذكورة في سورة لقمان قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ [لقمان:١٥] والذي يسلك السبيل يبتغي الهداية، هذا هدى، وجوُّ الهداية في سورة لقمان شائع.

ـ والرحمة لمّا ذكر قوله تعالى ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان:١٠] هذا من الرحمة.

ـ ولمّا ذكر تسخير ما في السموات والأرض وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٢٠﴾ [لقمان:٢٠] هل هناك أعظم من هذه الرحمة؟

ـ ومن مظاهر الإحسان أيضاً إيتاء الزكاة ، وفي الوصية بالوالدين والإحسان إليهما، إذن جوُّ السورة كلها شائع فيه الهدى والرحمة والإحسان، وهذه ليست في البقرة، وإنما سورة البقرة ذكرت أموراً أخرى نحو: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة:٣-٤] وصف كثير ثم انتهى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة:٥] أمّا في لقمان فاختصر ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [لقمان:٤] .

والإيمان أعمّ من الإحسان، ولا يمكن للإنسان أنْ يكون متقياً حتى يكون مؤمناً، وورود كلمة المتقين، المؤمنين، المحسنين والمسلمين يعود إلى سياق الآيات في كل سورة.

٥ـ في البقرة قال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣] ولم يقلها في لقمان، وقال في البقرة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة:٤] ولم يقلها في لقمان ،فما دلالة ذلك ؟ ولماذا؟

آ ـ قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣] هذا متعلق بالسورة نفسها، ومفتتح السورة غالباً ما يكون له علاقة بطابع السورة من أولها إلى نهايتها.

ففي سورة البقرة قال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣] وبعدها قال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة:٨] هذا من الغيب : لم يؤمنوا لا بالله ولا باليوم الآخر، وقال على لسان بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:٥٥] إذن هم لا يؤمنون بالغيب وطلبهم عكس الغيب لذلك هو قال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣] وليس مثل هؤلاء الذين يقولون: آمنا وما هم بمؤمنين، ولا مثل هؤلاء الذين طلبوا أنْ يروا الله جهرة .

بينما في لقمان قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥] إذن هم مؤمنون بالغيب، وقال: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان:٣٢] إذن الطابع العام في سورة البقرة هو الإيمان بالغيب وطلب الإيمان أو الإنكار على عدم الإيمان بالغيب، بينما في لقمان الإيمان بالغيب حتى الذين كفروا قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥] إذن يؤمنون بجزء من الغيب بينما أولئك في سورة البقرة ينكرون ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:٥٥] هذه ليست إيماناً بالغيب وربنا يريد الإيمان بالغيب.

ب ـ قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣] ولم يقل: آمنوا بالغيب، مع أنّ إيمان المتقين بالغيب مؤكد في الآية، فلماذا ؟

والجواب أنّ قوله تعالى ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٣] بصيغة المضارع ولم يقل: آمنوا بصيغة الماضي؛ لأنّ الإيمان منا مستمر متجدد لا يطرأ عليه شك ولا ريبة.

٦ـ قال في لقمان: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [لقمان:٤] وفي البقرة قال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة:٣]. فما دلالة ذلك ولماذا ؟

آ ـ الإنفاق أعم من الزكاة، والزكاة من الإنفاق، فإذن مما ينفقون تحت طياتها الزكاة.

ب ـ ونلاحظ قوله تعالى في لقمان ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [لقمان:٤] وفي البقرة قال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة:٣] لأنه تكرر في البقرة ذكر الإنفاق (١٧) مرة وذكر الزكاة كذلك في عدة مواطن، ومن آيات ذكر الإنفاق قوله تعالى ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [البقرة:٢٦١].

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ﴾ [البقرة:٢٦٢] ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ [البقرة:٢٧٤] فتكرار الإنفاق في سورة البقرة عدا الأمر بالزكاة ناسب استعمال لفظة ـ ينفقون ـ لأنها أعم. أمّا في لقمان فما ذكر الإنفاق لأنّ طابع السورة يختلف عن طابع سورة البقرة .

٧ـ وكذلك قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [البقرة:٤] لم يقل هذا في سورة لقمان لأنه في البقرة جرى هذا ، وطُلِب من أهل الكتاب أنْ يؤمنوا بما أُنزل إليه وما أنزل من قبلك في آيات كثيرة جداً نحو قوله تعالى ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ [البقرة:٤١] إذن المؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ،وهؤلاء المشركون لم يؤمنوا ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ ﴾ [البقرة:٧٥] ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ [البقرة:٧٦] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:٩١] هم لا يؤمنون بما أُنزل إليه ، بينما طلب الله تعالى من المؤمنين أنْ يؤمنوا بما أنزل إلى الرسول عليه السلام وما أنزل على الرسل قبله ، وحتى في آخر البقرة قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٨٥] فطابع السورة هكذا، وأمّا في لقمان فلم يوجد مثل هذا أصلاً ، ولذلك مفتتح سورة البقرة فيها طابع السورة.

٨ـ قال تعالى في سورة لقمان: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [لقمان:٤] وفي آية البقرة قال ﴿ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [البقرة:٤] أي كرّر ﴿ هُمْ ﴾ قبل ﴿ بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ فما دلالة ذلك ؟ ولماذا قدّم الجار والمجرور على الفعل (يوقنون) ؟

آـ لو لاحظنا في سورة لقمان تردد في السورة ذكر الآخرة وأحوالها والتوعد بها في زهاء نصف عدد آيات السورة وفي أولها وآخرها ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦﴾ [لقمان:٦] ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾ [لقمان:٧] ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝٨﴾ [لقمان:٨] ﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٢٤﴾ [لقمان:٢٤] ﴿إِلَيَّ الْمَصِيرُ ۝١٤﴾ [لقمان:١٤] ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان:٢٨] ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾ [لقمان:٣٣] .

ب ـــ ثم هي بدأت بالآخرة ﴿يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة:٤] وانتهت بالآخرة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان:٣٤] فناسب زيادة ﴿هُمْ﴾ [البقرة:٤] توكيداً على طابع السورة وما جاء في السورة.

ج ـ إضافة إلى أنّ هؤلاء ذكر عنهم أنهم محسنون ، والمحسنون كما علمنا أنهم يحسنون إلى أنفسهم وإلى غيرهم ، وزاد فيهم هدى ورحمة ، وليس كما في البقرة ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة:٢] والمتقي هو الذي يحفظ نفسه، فزاد في وصف هؤلاء الذين يعبدون الله كأنهم يرونه، وهذا من الإحسان «**أن تعبد الله كأنك تراه**» ولذلك زاد في ذكر إيمانهم ويقينهم لمّا كانوا أعلى مرتبة وزاد لهم في الرحمة وزاد لهم في الآخرة ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] فزاد في ذكر إيمانهم فقال: ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [لقمان:٤] فهم أعلى في اليقين؛ لأنّ اليقين درجات والإيمان درجات ، فالإيمان يزيد، والاطمئنان درجات، واليقين درجات، والمحسنون يعبدون الله كأنهم يرونه ، إذن درجة يقينهم عالية، فأكّد هذا الأمر فقال: ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [لقمان:٤] فأكّدها على ما ذكر في سورة البقرة ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة:٤] لأنّ السورة والآية كلها تستدعي ذكر الزيادة.

د ـ لكنّ الملاحظ أنه في البقرة وفي لقمان قدّم الجار والمجرور على الفعل فقال: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة:٤] ولم يقل: وهم يوقنون بالآخرة.

والأصل في اللغة العربية أنْ يتقدم الفعل ثم تأتي المعمولات الفاعل والمفعول به والمتعلق من جار ومجرور، والتقديم لا بدّ أنْ يكون لسبب وهنا قدّم ﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾ [البقرة:٤] وكذلك في البقرة ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة:٤] لأنّ الإيقان بالآخرة صعب ومقتضاه شاق ، وأمّا الإيمان بالله فكثير من الناس يؤمنون بالله لكنّ قسماً منهم مع إيمانه بالله لا يؤمن بالآخرة؛ مثل كفار قريش ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ [الجاثية:٣٢] وهم مؤمنون بالله ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥] إذن هم مؤمنون بالله لكنْ غير مؤمنين بالآخرة، ولذلك هنا قدم الآخرة لأهميتها فقال: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة:٤] فالإيمان بالله كأنه متسع، لكنّ اليقين بالآخرة ليس متسعاً ، والتقديم هنا للاهتمام والقصر.

٩ـ النهاية واحدة في السورتين وبنفس رقم الآية رقم ٥ ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة:٥] فما دلالة ذلك ؟

آ ـ هؤلاء المذكورون بهذه الصفات قال الله سبحانه عنهم: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾ [البقرة:٥] واقتران لفظ الرب مع الهداية اقتران في غاية اللطف والدقة؛ لأنّ الرب هو المربي والموجه والمرشد والمعلم، هذا هو الرب في اللغة.

ب ـ لم يقل :(على هدى من الله) وإنما قال : ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾ وفي ذلك أمران:

الأول : يمكن أنْ يقال هدى من الله؛ لأنّ الله (لفظ الجلالة) اسم العلم وكل الأمور تنسب إليه، ويصح أنْ تُنسب إليه باسمه العلم وأحياناً تنسب إلى صفاته بما يناسب المقام، ولكن هناك أشياء من الجميل أنْ تنسب إلى صفاته سبحانه وتعالى مثل: أرحم الراحمين، الرحمن الرحيم ، وهنا قال: ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:٥] والرب في اللغة هو أصلاً المربي والموجه والمرشد فيناسب اللفظ مع الهداية .

واختيار لفظ الرب مع الهداية كثير في القرآن، وهو مناسب من حيث الترتيب اللغوي ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه:٥٠] ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء:٦٢] ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:١٦١] وكثيراً ما تقترن الهداية بالرب، وهو اقتران مناسب لوظيفة المربي.

الثاني : وهناك دلالة لطيفة بين الرب والهدى، وذلك بإضافة الضمير" هم " إلى ﴿رَّبِّهِمْ﴾ ، ولو استعمل اسم العلم فليس فيه علاقة بهم وإنما عامة، لكنْ ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:٥] لا شك أنّ ربهم هو أرحم بهم وأرأف بهم؛ لذا فاختيار كلمة (رب) مناسبة مع الهداية .

فالهدى مقترن بالرب وفيه من الحنو والإرشاد والخوف على العباد، ثم إضافة الضمير ﴿رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:٥] هذا فيه أنّ الله يحبهم ويقربهم إليه، وفيه من الحنو والنصح والإرشاد والتوجيه، ولا شك أنّ رب الإنسان أحنى عليه.

ج ـ في قوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:٥] يستعمل مع الهداية لفظ ﴿عَلَىٰ﴾ [البقرة:٥] بعكس الضلال يستعمل لها لفظ ﴿فِي﴾ ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾ [يوسف:٨] وهذا

ملاحظ في القرآن الكريم ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ [يس:٤] ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل:٧٩] ويستعمل في للضلال ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٤٧﴾ [يس:٤٧] وليس فقط في الضلال وإنما الذي يؤدي إلى الضلال ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة:٤٥] ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١١﴾ [يونس:١١] كأنّ المهتدي هو مستعلٍ يبصر ما حوله ومتمكن مما هو فيه وهو مستعلٍ على الشيء ثابت يعلم ما حوله ويعلم ما أمامه، أمّا الساقط في اللُّجَّة أو في الغَمرَةِ أو في الضلال لا يتبين ما حوله بصورة صحيحة سليمة؛ لذا يقولون: يستعمل ربنا تعالى مع الهداية (على) ومع الضلال (في).

د ـ ثم ختم الآية بقوله ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة:٥].

آ ـ أولاً جاء بضمير الفصل ﴿هُمُ﴾ وجاء بالتعريف ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ولم يقل: أولئك مفلحون، ولم يقل: هم مفلحون، وإنما حصر أنّ هؤلاء هم المفلحون حصراً ليس هنالك مفلح آخر.

ب ـ (أولئك) في الأصل اسم إشارة ، ومن الناحية الحسية إذا لم نرد المجاز نستعمل (أولئك) للبعيد و(هؤلاء) للقريب، هذا هوالأصل مثل هذا وذلك.

ج ـ ثم تأتي أمور أخرى مجازية؛ كأنّ هؤلاء أصحاب مرتبة عليا فيشار إليهم لعلوِّ مرتبتهم بفلاحهم بـــ (أولئك) إشارة إلى علوِّ منزلتهم وعلوِّ ما هم فيه، فالذي على هدى هو مستعلٍ فيما يسير وهو مستعلٍ أصلاً، فيشار إليهم بما هو بعيد وبما هو مرتفع وبما هو عالٍ، ثم حصر الفلاح فيهم قال: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:٥] حصراً .

د ـ قوله تعالى ﴿هُمُ﴾ هذا ضمير الفصل ويفيد في الغالب التوكيد والقصر، حتى إنه قيل في تسمية ضمير الفصل: أنه يفصل الخبر عن الصفة وهذا أصل التسمية، أي: أنّ أصل التسمية حتى يُعلم أن الذي بعده خبر وليس صفة؛ لأنه أحياناً يظن السائل أنّ هذا صفة وبعده خبر، ونحو ذلك قوله تعالى ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾[البقرة:٢٥٤] .

هـ ـ وذَكَرَ في هذه الآية ركنين أساسيين، الأول: في إصلاح النفس (إقامة الصلاة) ، والثاني: في الإحسان إلى الآخرين (إيتاءالزكاة)، وإقامة الصلاة هي أول ما يسأل عنه المرء يوم القيامة ؛ ولذلك لمّا قال الله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة:٥] أفاد الحصر أي لا فلاح في غير هؤلاء، ومن أراد الفلاح فليسلك هذا السبيل ليكون على هدى من ربه، وليس وراء ذلك أي فلاح آخر.

❁❁❁❁

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالات هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى ﴿إِنَّ﴾ تفيد التوكيد .

٢ـ الكافرون صنفان :

آ ـ صنف كفر بالله، وعندما جاء الهدى حكّم عقله وعرف الحق فآمن.

ب ـ وصنف آخر مستفيد من الكفر؛ ولذلك هو متشبِّثٌ به،ومهما جاءه من الإيمان والأدلة فإنه سوف يعاند ويكفر؛ لأنه يريد أنْ يحتفظ بسلطاته الدنيوية ونفوذه

القائم ولا يقبل أنْ يُجرد منهما ولو بالحق ، هذا الصنف هو الذي قال الله عنه :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة:٦] .

هذا الكافر الذي اتخذ الكفر طريقاً لجاه الدنيا لن يؤمن سواء أنذرته أم لم تنذره، بل إنّ هؤلاء هم الذين يقاومون الدين ويحاربون كل من أسلم وآمن ، ولذلك فإنّ عدم إيمانهم ليس عن أنّ منهج الإيمان لم يبلغهم، ولكنْ لأنّ حياتهم قائمة ومبنية على الكفر.

٣ـ قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة:٦] صيغة جمع، وقوله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة:٦] صيغة جمع، والجمع إذا قوبل بالجمع توزع الفرد على الفرد، فمعناه أنّ كل واحد منهم لا يؤمن ، ومثال ذلك قول المعلم للطلاب : "أخرجوا دفاتركم" أي: ليخرج كل طالب دفتره.

السؤال الثاني:

ما معنى ﴿سَوَآءٌ﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى في الآية ﴿سَوَآءٌ﴾ بمعنى الاستواء، فكأنه قيل : إنّ الذين كفروا مستوٍ عليهم إنذارك وعدمه .

٢ـ جاءت لفظة ﴿سَوَآءٌ﴾ هنا وبدون واو (حرف عطف)؛ لأنها جاءت ضمن جملة اسمية، بينما جاءت لفظة ﴿وَسَوَآءٌ﴾ [يس:١٠] في آية يس وهي قوله تعالى ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾ [يس:١٠] لأنها جملة مستقلة معطوفة على جملة سابقة فجاءت بواو العطف.

السؤال الثالث:

هل هناك أكثر من قراءة في قوله تعالى ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ ؟ ولماذا ذُكر الإنذار دون البشارة؟

الجواب:

١ـ الإنذار هو التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي، وإنما ذُكر الإنذار دون البشارة؛ لأنّ تأثير الإنذار في الفعل والترك أقوى من تأثير البشارة، واشتغال الإنسان بدفع الضرر أشد من اشتغاله بجلب المنفعة ، فكان ذكر الإنذار أولى .

٢ـ في قوله تعالى ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ ست قراءات :

آ ـ إمّا بهمزتين محققتين بينهما ألف ، أو لا ألف بينهما.

ب ـ أو أنّ تكون الهمزة الأولى قوية والثانية أقل قوة بينهما ألف ، أو لا ألف بينهما.

ج ـ مع حذف حرف الاستفهام ، أو بحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرىء ﴿ قد أفلح ﴾ .

السؤال الرابع:

ما القول في جملة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة:٦] ؟

الجواب:

هذه إما أنْ تكون جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبراً لـ ﴿إِنَّ﴾ .

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧ ﴾

السؤال الأول:

ما معنى الختم ؟ولماذا تم الختم على القلوب والسمع والبصر ؟

الجواب:

آ ـ الختم والكتم أخوان ، ومن الألفاظ الواردة في القرآن في معنى الختم : الطبع ـ الكنان ـ الرين على القلب ـ الوقر في الأذن ـ الغشاوة في البصر .

ب ـ هذه هي الآية الثانية في الكلام عن الكفار في أول سورة البقرة ، وهؤلاء كانوا من عتاة الكفرة من الذين علم الله سبحانه وتعالى أنهم قد أقفلوا قلوبهم .

وقوله تعالى في الآية السابقة ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ [البقرة:٦] هذه التصريحات في القرآن تجاه أناس معينين هو من دلائل النبوة، ولا يكون من كلام بشر؛ لأنه ما يكون موقفك لو أنّ هؤلاء تظاهروا بالإسلام وقالوا: نحن أسلمنا؟ إذن هذا علم الله سبحانه وتعالى، و هؤلاء عتاة الكفر أغلقوا قلوبهم.

ج ـ الختم هو الطابَع من الطين،والأصل أنّ العربي كان يغلق فوهة شيء من الأشياء إذا أراد أنْ يحفظها ويأتي بشيء من الطين يضعه على مكان عقدة الخيط ويختم بخاتِمه (خاتَم وخاتِم)، والآن مستعمل هذا الختم بالشمع الأحمر.

إذن هم أغلقوا قلوبهم أولاً فختم الله سبحانه وتعالى عليها، ولا يحتج أنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي ختم فهم مسيّرون ؛ لأنهم هم أغلقوا قلوبهم أولاً؛ لأنّ الختم لا يكون إلا على شيء مغلق، فهم أغلقوا قلوبهم وما عادوا مستعدين للاستماع ولا للتقبّل؛ لذا قيل للرسول ﷺ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ فهؤلاء لا يؤمنون، أي: انتهى حالهم، وهذا الأمر لا يكون لعموم الناس ، إذن الختم لا يكون إلا بعد الإغلاق، هم أغلقوا قلوبهم فختم الله عليها.

د ـ والقلب عند العرب هو موطن العقل والتفكير وهم هكذا يستعملونه، والدماغ عندهم حشو الجمجمة، وفي لغة العرب أنّ الإنسان يعقل ويفكر ويتأثر بالعاطفة وكلها في القلب، والقرآن كلّم الناس أنّ موطن العقل وموطن التفكير هو في القلب .

وبماذا يتدبر الإنسان؟ يتدبر بما يسمعه؛ لأنّ الأصل أنّ الآيات تلقى إلقاء على الناس، الدعوة شفاهاً، والكلام شفاهاً، والرسول ﷺ كان يكلمهم ، فهم إذا أغلقوا قلوبهم ما الفائدة ؟!!!! كأنهم لا يحتاجون إلى آذانهم.

والسمع هو الوسيلة الأولى التي تدعوك إلى أنْ تنظر، بعد أنْ يقال لك :انظر فتنظر، وهم :

١ـ أولاً أغلقوا قلوبهم فخُتم عليها.

٢ـ والطريق إلى القلوب هو السمع وما عاد ينفع فختم عليها أيضاً .

٣ـ والسمع وسيلة التذكير بالإبصار فغشّيت الأبصار ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ .

لذلك جاء هذا الترتيب الطبيعي، ولا يمكنْ أن يتغير إلا في ظرف معين كما في سورة الإسراء ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ﴿٩٧﴾﴾[الإسراء:٩٧] .

السؤال الثاني:

لماذا ترد كلمة (السمع) بصيغة المفرد، والأبصار ثم القلوب بالجمع كما في هذه الآية ؟

الجواب:

آ ـ القلوب ما يحوك فيها التفكير، وهذا شيء واسع مطلق وليس له حدود حتى لو كان الإنسان ساكتاً؛ لأنّ فكره وقلبه و تفكيره ليس له حدود.

كذلك النظر أيضاً واسع لكنه لا شك أقل من القلب، فأنت تنظر إلى مكان محدود النظر يأتي في الدرجة الثانية في السعة، متنوع، يعني ترى أشياء كثيرة.

أمّا السمع فيستقبل الصوت فقط لا يستقبل شيئاً آخر، فالسمع يتعامل مع شيء واحد وهو الصوت اللغوي، والبصر يتعامل مع أشياء كثيرة والقلب يتعامل مع أشياء كثيرة أكثر ، فالذي يتعامل مع الكثير استعمل له الجمع، والذي يتعامل مع الواحد استعمل له المفرد (السمع).

ب ـ لو أنّ مجموعة من الناس ألقي عليهم آية من الآيات، هم كلهم ستدخل في آذانهم بصورة واحدة لا تختلف ، وستدخل هذه الذبذبات وتترجم في رؤوسهم ، فإذن المستقبَل في السمع واحد ، لكنْ لّما استقبلوه كلٌّ سيفكر فيه بطريقة خاصة وليس بصورة واحدة، فهذا يقتضي توحيد السمع وجمع القلوب.

ج ـ القلوب جمع قلب، والأبصار جمع بصر، ليس عندنا جمع آخر ، وقلوب جمع كثرة، وأبصار جمع قِلّة، وطبعاً كلاهما يستعمل للكثرة والقلة، والقرآن جاء بلغة العرب، والعرب جمعوا القلب على قلوب، وجمعوا البصر على أبصار.

د ـ بعض علمائنا يقولون: وحّدَ كلمة السمع؛ لأنّ صورتها صورة المصدر، والمصدر عادة لا يُجمع؛ لأنه يدل على الحدث المطلق؛ لأنّ مدركات السمع واحد وهو الصوت، بينما مدركات القلوب ومدركات الأبصار متعددة، أي: ما يدركه السمع

واحد وهو الصوت اللغوي، والترجمة تكون في الذهن أي: في القلب ، بينما النظر مدركاته كثيرة فالقلب مدركاته كثيرة، ومدركات السمع هو الصوت اللغوي، وهو هذه الموجة. (لكن العرب جمعت السمع على أسماع).

السؤال الثالث:

استعمل الختم على القلب والسمع، واستعمل الغشاوة مع البصر فلماذا ؟ وما فائدة تكرار حرف الجر (على) في الآية ؟

الجواب:

آ ـ هنا استخدم القرآن الختم على القلب وعلى السمع مع العطف؛ لأنه أراد أنْ يجمع بختم واحد القلوب والسمع لارتباط الموضوع، حيث إنّ موضوع التفكر يكون عن طريق السماع، فلمّا أغلقوا قلوبهم لم يعد هناك فائدة للسمع، فختم على الاثنين: ختم على قلوبهم وعلى سمعهم بختمين وليس بختم واحد؛ لأنّ القلب شيء والسمع شيء آخر.

أمّا قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ﴾[البقرة:٧] فهذه جملة جديدة وليست معطوفة، ولو أردنا أن نقف على سمعهم، ثم نقول: وعلى أبصارهم غشاوة.

والبصر يحتاج لتغطية، أمّا السمع فيحتاج إلى ختم؛ لأنه ليس هناك شيء يغطيه.

ب ـ كرر حرف الجر (على) ليدل على شدة الختم في الموضعين : القلوب والسمع.

السؤال الرابع:

ما دلالة تقديم السمع على البصر في الآية ؟

الجواب:

آ ـ قدّم السمع على البصر للتفضيل، وهذا التفضيل عام في جميع القرآن عدا آيتين هما : الكهف [٢٦] والسجدة [١٢] وسوف نتكلم عنهما في موضعيهما إن شاء الله.

ب ـ السمع شرط النبوة بخلاف البصر، ولذلك ما بعث الله نبياً أصم، وقد كان فيهم من كان مبتلى بالعمى كيعقوب عليه السلام .

ج ـ حاسة السمع عند الطفل الوليد أسبق بالعمل من حاسة البصر.

د ـ تستطيع بالسمع استكمال معارف العقل، بينما البصر لا يوقفك إلا على المحسوسات.

السؤال الخامس :

ما دلالة تنكير ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ و ﴿عَذَابٌ﴾ في الآية ؟

الجواب:

نكَّرَ ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ للتعميم ، ونكّر ﴿عَذَابٌ﴾ ليشمل كل أنواع العذاب .

والعذاب العظيم نقيض الحقير، والعذاب الكبير نقيض الصغير، فكأنّ العذاب العظيم فوق العذاب الكبير ، والله أعلم.

السؤال السادس:

جعل الله تعالى السَّدَّ للكفرة في آية يس ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ [يس:٩] دون آية البقرة هذه، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

١ـ وصف الله تعالى في أول البقرة الكتاب بأنه لا ريب فيه وهو هدى للمتقين ، وبيّن صفات المتقين فذكر ما يتعلق بالإيمان والتقوى والهدى، ثم ذكر الكفرة فذكر أنه مختوم على قلوبهم وعلى سمعهم وأنّ على أبصارهم غشاوة فانسدت منافذ الإيمان والتقوى والهدى .

٢ـ بينما ذكر في يس ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [يس:٣-٤] والصراط إنما يكون للسير فيه وسلوكه، فذكر ما يمنع الكفرة من سلوك الصراط المستقيم وهو الأغلال في أعناقهم والسد من بين أيديهم ومن خلفهم.

أمّا المؤمنون فإنهم على الصراط المستقيم يسلكونه ويتخذونه سبيلاً، ولم يذكر مثل ذلك في البقرة فكان ذكر السد مناسباً في ﴿يسٓ﴾ ، فناسب كل تعبير مكانه الذي هو أليق به. والله أعلم.

السؤال السابع:

في آية البقرة قدّم القلوب على السمع ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ ، وفي آية الجاثية ٢٣ قدّم السمع على القلب وعلى البصر﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ فما دلالة هذا التقديم والتأخير ؟

الجواب:

في آية البقرة قدّم القلوب على السمع ، وفي آية الجاثية قدّم السمع على القلب وذلك للأسباب التالية :

١ـ في آية البقرة :

ـ ذكر القلوب المريضة « آية البقرة:١٠ » فقدّم القلوب لذلك .

ـ آية البقرة ذكرت من أصناف الكافرين من هم أشد ضلالاً وكفراً ممن ذكرتهم آية ٢٣ الجاثية انظر آيات البقرة [٦] و [٧].

ـ أنّ الإنذار وعدمه لهذه الأصناف سواء ، وأنهم ميؤوس من إيمانهم ، ولم يقل مثل ذلك في آية الجاثية.

ـ كرّر حرف الجر ﴿عَلَىٰ﴾ مع القلوب والأسماع مما يفيد التوكيد ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة:٧] ولم يكرر في الجاثية ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الجاثية:٢٣] .

ـ قال في البقرة ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ﴾ [البقرة:٧] بالجملة الاسمية التي تفيد الدوام والثبات، أي : أنّ هؤلاء شأنهم دائماً فلا أمل في إبصارهم في يوم من الأيام.

ـ ختم الآية بقوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ [البقرة:٧] ولم يقل ذلك في الجاثية، فدلّ على أنّ صفات الكفر في البقرة أشد تمكنا فيهم .

٢ ـ في آية الجاثية : إضافة إلى ما ذكر أعلاه :

ـ ذكر الأسماع المعطلة ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [الجاثية:٨] فقدّم السمع .

ـ قال: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً﴾ [الجاثية:٢٣] بالجملة الفعلية التي تفيد الحدوث ﴿وَجَعَلَ﴾ فعل ماض ، ومعنى ذلك أنّ الغشاوة لم تكن قبل الجعل، يدلك على ذلك قوله تعالى ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣] مما يدلّ على أنه كان مبصراً قبل ترديه .

٣ ـ لذلك قدّم ختم القلب على ما سواه؛ لأنه هو الأهم، فإنّ القلب هو محل الهدى والضلال ،وإذا ختم عليه فلا ينفع سمع ولا بصر، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحج:٤٦] وقال ﷺ : « **ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**» فكان تقديم القلب في البقرة أولى وأنسب وتقديم السمع في الجاثية أنسب، والله أعلم .

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨] الضمير ﴿هُم﴾ جمع و﴿مَن﴾ للمفرد فما دلالة الجمع بين الصيغتين؟

الجواب:

(من) و(ما) في اللفظ مذكران صالحان للمفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث، والأصل في (من) إذا ذكرت أنْ يُبدأ بدلالة لفظها ثم ينصرف إلى المعنى، فدلالة اللفظ مفرد مذكر ثم يصرف إلى المعنى الذي يحدده السياق.

وفي الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨] (هم) جمع و﴿مَن يَقُولُ﴾ مفرد، فيبدأ بالمفرد.

وكذلك في الآية: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ﴾ [التوبة:٤٩] ﴿مَن يَقُولُ﴾ مفرد، ﴿سَقَطُوا۟ ۗ﴾ جمع، فيبدأ بالمفرد.

وفي الآية: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الأحزاب:٣٠] ﴿مَن يَأْتِ﴾ مفرد و (من) و(ما) عندما يبدأ بلفظهما تكونان للمفرد والمثنى والجمع (مذكر أو مؤنث)، وأكثر الكلام عند العرب يبدءونه بـ(من) حتى لو كان جمعاً، ولذلك (من) لها لفظ ولها معنى، لفظها المفرد المذكر ومعناها يختلف باختلاف السياق .

وفي الآية: ﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الأحزاب:٣١] مع ﴿يَقْنُتْ﴾ [الأحزاب:٣١] أعاد الضمير على لفظ (من) وهو الإفراد والتذكير، ومع ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ أعاد الضمير على معناه وهو الإفراد والتأنيث .

السؤال الثاني:

لماذا كرر حرف الباء مع حرف العطف في الآية ؟

الجواب:

الآية حكاية قول المنافق أنه أكّد ذلك بالباء مرتين ﴿بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة:٨] نفياً للتهمة عن نفسه وبالصيغة الفعلية ﴿ءَامَنَّا﴾ فكذَّبهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ فأكده بالباء ، وبالصيغة الاسمية .

❁❁❁❁

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق في استعمال ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة:٩] ﴿لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة:١٢] ﴿لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة:١٣] في آيات البقرة :

﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة:٩] ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة:١٢] و ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة:١٣] ؟

الجواب:

هذه الآيات في الكلام عن المنافقين وهم لمّا يعلنوا أنهم قد آمنوا كأنما يعتقدون أنهم يخادعون الله سبحانه وتعالى .

١ـ الفعل المضارع (يشعرون) يدل على الحال أو الاستقبال، أي: الاستمرار، نحو: فلان ينظم الشعر ، أي: هذه حاله.

٢ـ العرب تستعمل لنفي الفعل أدوات؛ ومنها :

آ ـ استعملوا (ما) لنفي الحاضر.

ب ـ واستعملوا (لا) لنفي المستقبل.

ج ـ واستعملوا (لن) للتأبيد.

ولذلك الصيغتان ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ و﴿لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾ هي لنفي الإحساس والشعور عنهم الآن وفي المستقبل.

٣ـ استعمل القرآن ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ في القضايا الظاهرة وعلى الأحاسيس الواضحة ، فالمنافقون يخادعون، وهو عمل ظاهر، ويقولون ويتصرفون بالكلام وهذا في الحركة الظاهرة التي فيها معنى الإحساس فاستعمل هنا ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ .

واستعمل ﴿لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾ في الآية ١٢؛ لأنّ الإفساد واضح .

٤ـ بينما استعمل ﴿لَّا يَعْلَمُونَ﴾ مع القضايا القلبية والمعنوية كما في الآية ١٣؛ لأنّ العلم في الداخل؛ ولأنّ الإيمان ليس شعوراً ظاهراً، وإنما هو علم الباطن.

❁❁❁❁

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤﴾

السؤال الأول:

عن كيفية ضبط واو الجماعة في (لَقُوا) و(خَلَوا) في الآية وفي الأفعال بشكل عام ؟ ومتى تُفتَحُ الواو وتُضَمُّ ؟

الجواب:

أولاً ـ في الآية :

١ـ الواو ليست مفتوحة ولا مضمومة، وإنما هي ساكنة في الحالتين، وإنما هذا يتعلق بما قبلها.

٢ـ واو الجماعة إذا كان الفعل منتهياً بياء أو واو تُحذف ويُضَمُّ ما قبل واو الجماعة وتبقى واو الجماعة ساكنة .

٣ـ واو الجماعة إذا سبقت بألف يفتح ما قبلها، نحو : خلا خَلَوا ، وتبقى واو الجماعة ساكنة.

أمثلة :

(لَقِيَ - لَقَوا، نَسِيَ - نَسُوا، خَشِيَ - خَشَوا)

(يدعو يدعُون، خَفِي خَفُوا، خَشِيَ خَشُوا، رَمَى رَمَوا، دعا دَعَوا، مَشَى مَشَوا، قَضَى قَضَوا، رضي رضُوا، يرضى يرضَون، يمشي يمشُون، يسعى يسعَون)

ثانياً ـ تصريف الأفعال المعتلة الآخر مع واو الجماعة :

القواعد العامــــة :

الأفعال من ناحية الزمن ثلاثة هي : ماضٍ ـ مضارع ـ أمر.

ومن ناحية البنية تنقسم الأفعال إلى : صحيح ومُعتَلٍّ.

والفعل الصحيح ينقسم إلى : سالمٍ، ومهموزٍ، ومضعَّفٍ، نحو : شكر ـ أخذ ـ مدّ .

والفعل المعتل ينقسم إلى : مثال، وأجوف، وناقص ، نحو : وعد ـ قال ـ رمى .

- الفعل الماضي المعتل مع واو الجماعة :

١ـ إذا أُسند الفعل الماضي المعتل إلى واو الجماعة يُحذف حرف العلة وتبقى الفتحة قبل الواو إذا كان المحذوف ألفاً نحو : رمى رمَوْا ، وخلا خلَوْا ، ويضم ما قبلها إذا لم يكن ألفاً نحو : خَشِيَ خشُوْا، وقال قالُوا .

٢ـ إذا أُسند الفعل المضارع المعتل إلى واو الجماعة أو ياء المخاطبة يُحذف حرف العلة وتبقى الفتحة قبل الواو إذا كان المحذوف ألفاً نحو: يخشى يخشَون .

وملخّص ذلك في الجدول التالي :

الفعل	النوع	إسناده إلى واو الجماعة	الملاحظة
وعد	ماض مثال	وعدُوا	ضم ما قبل واو الجماعة
قال	ماض أجوف	قالُوا	ضم ما قبل واو الجماعة
رَمى	ماض ناقص	رَمَوْا	فتح ما قبل واو الجماعة
وعد ـ يعِدُ	مضارع مثال	يعدُون	ضم ما قبل واو الجماعة
قال ـ يقول	مضارع أجوف	يقولُون	ضم ما قبل واو الجماعة
رمى ـ يرمي	مضارع ناقص	يرمُون	ضم ما قبل واو الجماعة
دعا ـ يدعو	مضارع ناقص	يدعُون	ضم ما قبل واو الجماعة
يخشى	مضارع ناقص	يخشَون	فتح ما قبل واو الجماعة

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ﴿خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [البقرة:١٤] و﴿خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:٧٦] في سورة البقرة؟

الجواب:

في قوله تعالى ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:٧٦] أي الشياطين مع بعض أو الكفار مع بعض، أما قوله ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾[البقرة:١٤] أي خلوا إلى رؤسائهم وإلى قادتهم .

السؤال الثالث:

ما دلالة الفرق في الخطاب في الآية بين الجملة الفعلية ﴿ءَامَنَّا﴾، والجملة الاسمية ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ ؟

الجواب:

هذا في وصف المنافقين ، وقد فرّق القرآن بين قولهم للمؤمنين بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث﴿ءَامَنَّا﴾ وبين مخاطبتهم جماعتهم بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ ولم يسوِّ بينهما، فلم يقولوا: ﴿إنا مؤمنون﴾ كما قالوا: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ لعدم وجود باعثٍ ومحركٍ في عقائدهم، أمّا مخاطبة إخوانهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر فهو عن صدق رغبةٍ وارتياحٍ للمتكلم فكان مظنةً للتحقيق وللتوكيد .

❊❊❊❊

﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

لِمَ قال: ﴿يَعْمَهُونَ﴾ ولم يقل: (يعمون)؟ وما دلالة ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ ؟

الجواب:

١ـ العمى فقد البصر وذهاب نور العين ،أمّا العَمَه فهو الخطأ في الرأي، والمنافقون لم يفقدوا بصرهم وإنما فقدوا المنطق السليم، فهم في طغيانهم يعمهون.

٢ـ أسند المَدَّ إليه سبحانه فالله يمدّهم في طغيانهم هم ، ولا يمدّهم في طغيان جديد لم يفعلوه.

بينما أسند المَدَّ في آية الأعراف[٢٠٢] إلى الشياطين فذكرَ أنهم يمدونهم في غيٍّ جديد، قال تعالى: ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾[الأعراف:٢٠٢] .

❁❁❁❁

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾[البقرة:١٦] في سورة البقرة؟

الجواب:

السؤال يعني: لماذا جاءت الَضلالة بالهدى ولم تأت الهدى بالضلالة ؟ فنقول: إنّ هناك قاعدة تقول: إنّ الباء تكون مع المتروك، كما في قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[البقرة:١٦] .

السؤال الثاني:

لماذا ذكر عدم الربح ولم يذكر الخسارة، علماً أنّ الخسارة أبلغ في التوبيخ ؟

الجواب:

إنّ هَمَّ المشتري للتجارة هو حصول الربح وسلامة رأس المال، فبدأ بالأهم وهو نفي الربح ثم أتى بما يدل على الخسران بقوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة:١٦] فنفى ما هما مقصودان بالتجارة.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الفسق والضلالة؟

الجواب:

١ـ الضلال هو نقيض الهداية ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾[البقرة:١٦] .

٢ـ الفرق بين الفسق والضلال أنّ الضلال قد يكون عن غير قصد وعن غير علم:

آـ الضلال هو عدم تبيّن الأمر، تقول : ضلّ الطريق قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٤] هذا من دون معرفة بحيث ضلّ عن غير قصد.

ب ـ وقد يُضلّ بغير علم ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الأنعام:١١٩] .

٣ـ و أمّا الفسق فهو بعد العلم تحديداً، وحتى يكون فاسقاً ينبغي أنْ يكون مبلَّغاً حتى يكون فسق عن أمر ربه، إذن هنا زيادة أنهم مبلّغون ثم خرجوا فإذن هم فاسقون، ولو قال: ضالون، قد يعطيهم بعض العذر أنهم عن غير قصد، لكنهم فاسقون بعد المعرفة وبعد التبليغ فسقوا.

٤ـ في قوله تعالى ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ هذه عامة؛ لأنّ الضلال عام واليهود والنصارى منهم وليس حصراً عليهم، وقوله تعالى ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم:٢] نفى عنه الضلال بعلم أو بغير علم، أمّا الفسق فلا يكون إلا بعد علم، فينبغي أنْ يعلم أولاً حتى يقال عنه: فاسق . قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [الحديد:٢٦] فهذا بعد التبليغ ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٢٦﴾ [الحديد:٢٦] تنكّبوا الصراط بعد المعرفة، وأصل الفسق هو الخروج عن الطريق يُقال: فسقت الرطبة، أي: خرجت من قشرتها.

❋❋❋❋

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝١٧﴾

السؤال الأول:

ما دلالة المثل في هذه الآية؟ ولماذا ذهب بنورهم وليس بنارهم؟وما الفرق بين الضوء والنور؟

الجواب:

١ـ هذه الآية الكريمة من مجموعة آيات تكلمت عن المنافقين، ومعلوم أنّ المنافقين إنما سُمُّوا بهذه التسمية؛ لأنّ ظاهرهم مع المسلمين وباطنهم في حقيقة الأمر أنهم مع الكفار، حتى قيل إنّ الكفار خير منهم؛ لأنّ الكافر صريح يقول: هو كافر، لكنّ المنافق يقول لك : هو مؤمن مسلم ولكنه يهدم ويخرّب من داخل المجتمع المسلم.

فضرب الله عز وجل لهم هذا المثل ، ووجود النار في الصحراء عند العرب مثال معروف على الظهور والانكشاف وهداية الضالّ ،والأمثال تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه .

٢ـ الآية تتحدث عن شخص أوقد هذه النار ولمّا أوقدها وتعالى لهيبُها أضاءت ما حوله، وامتدت هذه الإضاءة إلى مسافات بعيدة واستناروا بها. ونحن نقول: إنّ هذا المثل يمكن أنْ يحمل أنّ الرسول ﷺ هو مثل الموقِدِ لهذه النار الهادية، فلمّا جاءوا من حولها ورأوا هذا النور وتذوقوا حلاوة إيمان طمسوا بأنفسهم على قلوبهم ولم يستفيدوا شيئاً من ذاك النور الذي علا ضوؤه .

و نلاحظ أنّ مضمون ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة:١٧] هنا فرد، ومضمون ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ [البقرة:١٧] هو حوله أناس، فالعربي لا يعيش وحده، فلمّا يوقد النار تكون قبيلته حوله، فهم أيضاً يستضيؤون بهذه النار وكذلك الأغراب البعداء يهتدون لهذه النار ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة:١٧] هم عاشوا في ضوء ولو لحقبة يسيرة، اطلعوا على الإسلام بخلاف الكافر الذي كان يضع إصبعيه في أذنيه ويقول: لا أسمع.

٣ـ والمثل هو لبيان صفة المنافقين ، ومُثلت الجماعة بالواحد؛ لأنه يجوز في اللغة وضع (الذي) موضع (الذين) كقوله سبحانه و تعالى :﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ﴾ [التوبة:٦٩] أي المراد جنس المستوقدين أو الفوج الذي استوقد ناراً .

٤ـ والفرق بين النور والضوء، أنّ النور لا يكون فيه حرارة ، أمّا الضوء ففيه حرارة ومرتبط بالنار، والإنسان يمكن أنْ تأتيه حرارة الضوء، فالنار المضيئة إذا خفتت وخمدت يبقى الجمر، وهو من مخلفات النار، وهو بصيص يُرى من مسافات بعيدة، فلمّا يقول تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة:١٧] يعني أصغر الأمور التي فيها هداية زالت عنهم، ولو قال في غير القرآن: ذهب الله بضوئهم، فتعني أنه ذهب الضوء لكنْ بقيت الجمرات، لكنّ يريد القرآن أنْ يبين أنّ هؤلاء بعد أنْ أغلقوا قلوبهم ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة:١٧] لا يبصرون شيئاً حتى الجمر الصغير ما بقي عندهم.

السؤال الثاني:

ما الفارق بين أذهب نورهم، وذهب بنورهم؟

الجواب:

أذهبت هذا الشيء، أي: جعلته يذهب أذهبته فذهب، أنت فعلت وهو أيضاً استجاب للفعل، فلو قال: أذهب الله نورهم، كأنها تعني أنّ الله أمر النور أنْ يذهب فاستجاب وذهب، لكنّ هذا الذي ذهب قد يعود.

أما صورة ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة:١٧] كأنّ الله تعالى اصطحب نورهم بعيداً عنهم، وما اصطحبه الله عز وجل لا أحد يملك أنْ يعيده، وهذا نوع من تيئيس الرسول ﷺ من المنافقين؛ لأنّ الجهد معهم ضائع .

فقوله تعالى : ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة:١٧] يعني مضى به واستصحبه، وهذا يدلك أنه لم يبق لهم مطمع في عودة النور الذي افتقدوه.

وهذه خصوصية للرسول ﷺ ، فلا يقولن إنسان: إنّ هذا الشخص لا نفع من ورائه فلا داعي لوعظه وتذكيره، إذ إن الله سبحانه خصّ الرسول ﷺ بهذا الأمر، وهو أنّ هؤلاء المنافقين قد انتهى أمرهم.

السؤال الثالث:

ما سبب استخدام المفرد والجمع في قوله تعالى في سورة البقرة ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة:١٧] ؟

الجواب:

١. من الممكن ضرب المثل للجماعة بالمفرد، كما في قوله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ [النحل:٩٢] .

٢. اسم الموصول (الذي) قد يستعمل للفريق وليس للواحد فقط والمقصود بـ(الذي) في الآية ليس الشخص إنما قد تدل على الفريق، ويقال عادة: الفريق الذي فعل كذا ولا يقال: (الفريق الذين).

٣. كما يمكن الإخبار عن الفريق بالمفرد والجمع ﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [النمل:٤٥] .

٤. لفظة (الذي) نفسها يمكن أنْ تستعمل للمفرد والجمع، كما جاء في الشعر العربي:

وإنّ الـــذي حانـــت بِفَلْـــجٍ دِمـــاؤُهم هـــمُ القـــومُ كُـــلُّ القـــومِ يـــا أُمَّ خالـــدِ

السؤال الرابع:

لماذا استعمل التأنيث في قوله تعالى ﴿أَضَآءَتۡ﴾؟

الجواب:

قوله تعالى ﴿أَضَآءَتۡ﴾ التأنيث في الفعل للحمل على المعنى؛ لأنّ ما حول المستوقد أماكن وأشياء، ويعضد ذلك قراءة ابن أبي عقلة (ضاء).

والفعل (أضاء) قد يكون لازماً أو متعدياً يُقال: أضاءت النار بنفسها وأضاءت غيرها.

السؤال الخامس:

ما دلالة حذف المفعول به في قوله تعالى ﴿يُبۡصِرُونَ﴾؟

الجواب:

كأنه من قبيل المتروك الذي لا يلتفت إليه، كأنّ الفعل غير متعدٍّ أصلاً.

❋❋❋❋

﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تكرار صفة ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ﴾ [البقرة:١٨] بنفس الترتيب في القرآن؟ ولماذا اختلاف الخاتمة بين الآيتين ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ [البقرة:١٨] و﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [البقرة:١٧١] في سورة البقرة؟

الجواب:

١ـ صفة ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ﴾ تكررت مرتين بهذه الصيغة في القرآن في سورة البقرة في الآيتين(١٨) و(١٧١) وهي في المنافقين.

واعلم أنه لّما كان المعلوم من حالهم أنهم يسمعون وينطقون ويبصرون امتنع حمل ذلك على الحقيقة، فلم يبق إلا تشبيه حالهم لشدة تمسكهم بالعناد وإعراضهم عما يطرق سمعهم من القرآن وما يظهره الرسول ﷺ من الأدلة والآيات بمن هو أصمٌّ فلا يسمع، وإذا لم يسمع لم يتمكن من الجواب فلذلك جعله بمنزلة الأبكم، وإذا لم ينتفع بالأدلة ولم يبصر طريق الرشد فهو بمنزلة الأعمى.

٢ـ في آية البقرة رقم (١٨) قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة:١٧-١٨] وهذه الآيات نزلت في المنافقين، والمنافقون الذين رأوا الإيمان وسمعوا كلام رسول الله ﷺ ومن كلام الله عز وجل وكان يُفترض أنهم تذوقوا شيئاً من الإيمان، عُرِض عليهم الإيمان ثم انتكسوا بعد ذلك، يعني أنهم تحولوا من الإيمان إلى الضلال، فإذن مَثَلُهم كمثل الذي استوقد ناراً، كأنه أُضيءَ أمامهم هذا الدين لكنهم لم ينتفعوا بذلك ﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة:١٨] أي: لا مجال لهم للرجوع إلى الهدى بعد أنْ باعوه، وعن الضلالة بعد أن اشتروها، ولا إلى النور الذي فقدوه؛ لأنهم نافقوا وطُبع على قلوبهم والعياذ بالله فلا مجال للرجوع؛ و لذلك استعمل كلمة ﴿لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة:١٨].

٣ـ وفي الآية الثانية قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ١٧٠ - ١٧١].

آ ـ هنا تكلّم عن آبائهم قال: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ [البقرة:١٧٠] أي: أنّ آباءهم لا يعقلون، فالمناسب أنْ تختم الآية الثانية ﴿لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة:١٧١] فكما أن آباءهم لا يعقلون هم لا يعقلون.

ب ـ أنّ المثال الذي ضُرِب : ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة:١٧١] يمثل صورتهم ، صورة هؤلاء وهم يُلقى عليهم كلام الله سبحانه وتعالى كمَثَلِ الذي ينعِقُ بها لا يسمع إلا دعاء، أي مثل مجموعة أغنام ينعق فيها الراعي؛ أي: يصيح فيها، وهذه الأغنام تسمع أصواتاً لكنها لا تستطيع أنْ تعقلها؛ لأنها لا تفهم ، فكأنّ هؤلاء وهم يستمعون إلى كلام الله سبحانه وتعالى كالأغنام فناسب ﴿لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة:١٧١].

ج ـ وفي آية آخرى ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩] مثّلهم بهذا؛ لأنهم لا يعقلون كلام الله سبحانه وتعالى ولا يستعملون عقولهم في إدراكه؛ فجعلهم مثل الأغنام والبهائم؛ ولذلك هذه الصورة هي التي يناسبها كلمة ﴿لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة:١٧١].

السؤال الثاني:

ما دلالة الواو في الآية ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [الأنعام:٣٩]، وفي البقرة لم يستخدم الواو ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾[البقرة:١٨] ؟

الجواب:

الأصم الذي لا يسمع، والأبكم الذي لا يتكلم.

١ـ في البقرة لمّا قال: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ﴾ [البقرة:١٨] هم في جماعة واحدة، وعندما تقول: هؤلاء شعراء فقهاء كتاب ، فالصفات الثلاث موجودة في فئة واحدة ، و عندما تقول : هؤلاء شعراء وفقهاء وكتاب ، فيحتمل أنّ المجموعة فيها ثلاث فئات؛ ولذلك عندما قال : ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ﴾[البقرة:١٨] فالكلام في فئة واحدة.

٢ـ وعندما قال: ﴿صُمٌّ وَبُكۡمٌ﴾[الأنعام:٣٩] فهناك احتمالان :

آ ـ احتمال أنْ تكون جماعة واحدة وكلهم جميعاً صُمٌّ وبُكمٌ .

ب ـ واحتمال أنْ يكون جماعات متعددة ، أي: قسم صُمٌّ وقسم بُكمٌ.

٣ـ وذكر في القرآن من يتكلم ولا يبصر:﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا﴾ [طه:١٢٥] فهو أعمى وليس أبكم.

السؤال الثالث:

لماذا هذه المغايرة بين آيتي البقرة (١٨) والأنعام (٣٩) ؟

الجواب:

١ـ أنّ آية البقرة أشدّ؛ لأنها في جماعة واحدة فذكر العمى والصَّمَمَ والبكم ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ﴾ [البقرة:١٨] وقال أيضاً في الظلمات: ﴿وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧﴾ [البقرة:١٧] ،

بينما آية الأنعام أقلّ فلم يذكر العمى، وإنما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ﴾ [الأنعام:٣٩] .

٢ـ في البقرة الكلام عن المنافقين طويل في تسع آيات من الآية [٨] إلى الآية [٢٠] ووصفهم بصفات متعددة، فذكر الإفساد ومخادعة الله والذين آمنوا، والاستهزاء وشراء الضلالة بالهدى إضافة إلى صفة التكذيب، أمّا في الأنعام ففي آية واحدة فقط، وذكر فيها صفة التكذيب بالآيات، وهي صفة واحدة: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام:٣٩] .

فأيهما الأولى بالذمّ وكثرة الصفات السيئة؟ الذين في سورة البقرة الذين هم ليسوا جماعتين وإنما جماعة واحدة ، وهؤلاء (صمٌّ بكمٌ عميٌ) وهم (في الظلمات)، فلا يمكن من الناحية البيانية وضع إحداهما مكان الأخرى ولا يصح؛ فهذا قانون بياني بلاغي.

السؤال الرابع:

ما دلالة الاختلاف في الترتيب بين آيتي البقرة [١٨] و [١٧١] ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [البقرة:١٨] وآية الإسراء ٩٧ ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ﴾ [الإسراء:٩٧] ؟

الجواب:

١ـ في آيتي البقرة كان الترتيب ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [البقرة:١٨] وفي الإسراء كان الترتيب ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ﴾ [الإسراء:٩٧] مع وجود واو العطف بين الصفات في سورة الإسراء بخلاف سورة البقرة، فلا يوجد واو .

٢ـ آيتا البقرة ١٨ – ١٧١ نزلتا في المنافقين الذين رأوا الإيمان ورأوا الرسول ﷺ وعُرض عليهم الإيمان ثم انتكسوا وتحولوا إلى الضلال؛ لذلك مثلهم كمثل الذي

استوقد ناراً لكنهم لم ينتفعوا بذلك، وشرْعُ الله قُدِّم إليهم منطوقاً لكنهم لم يستفيدوا مما سمعوه وكأنهم لم يشهدوه، علماً أنهم في الواقع شهدوه لكنهم لم ينظروا في آيات الله التي دُعوا للنظر فيها، فهم قد ابتعدوا عن الدين كثيراً لذلك استعمل معهم في ختام الآية ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة:١٨] أي: لا يرجعون إلى النور الذي فقدوه.

وأما الآية ١٧، فهي تتحدث عن الظلمة، والمنافق كان في ظلمات فناسب ﴿لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة:١٧].

٣ـ آية الإسراء تتحدث عن أُناس في المحشر وليس في الدنيا ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [الإسراء:٩٧].

وقد سُئِلَ النبي ﷺ عن ذلك فقال: «**إنّ الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أنْ يمشيهم على وجوههم**».

وإذا كان وضع التائه أنّ وجهه في التراب فمعنى ذلك أنه لا يبصر، وعندما يفقد البصر يبدأ بالصراخ لعل أحداً يسمعه فيرشده، فإذا فقد الكلام أو كان أبكم عند ذلك يعتمد على أُذنيه لعله يسمع صوتاً فيتجه نحوه، وهذا هو الترتيب الطبيعي فجاءت الآية ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧].

٤ـ السحب والوجه على التراب يفقد البصر أولاً، ثم يدخل التراب في فمه فيفقد الكلام، ثم يدخل التراب في أُذنيه فيفقد السمع.

٥ـ الواو في آية الإسراء تفيد تكرار العامل، أي: نحشرهم عمياً، ونحشرهم صماً، ونحشرهم بكماً، فيكون فيها نوع من التميز لتركيز المعنى.

٦ـ في آية البقرة ١٧١ ، تكلم القرآن في الآية التي سبقتها عن آبائهم فقال تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة:١٧٠] فناسب أن تختم الآية ١٧١ ﴿لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة:١٧١] فكما أنّ آباءهم لا يعقلون فهم لا يعقلون أيضاً.

٧ـ الآية ١٧١ تمثل صورة هؤلاء الكفار وهم يُلقى عليهم كلام الله كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء، أي: كمجوعة أغنام والراعي يصيح فيها والأغنام تسمعه لكنها لا تفهم معانيه مهما صرخ فيها، وهذه الصورة لا يناسبها إلا (فهم لا يعقلون)؛ لأنه شبههم بالغنم التي تسمع أصواتاً ولا تدرك معناها، وهم يسمعون القرآن ولكنهم لا يفكرون فيه ولا يستخدمون عقولهم لفهمه مثل آبائهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة:١٧٠].

٨ ـ قوله تعالى : ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة:١٨]؛ لأنهم صاروا بمنزلة الصُمِّ في أنّ الذي سمعوه كأنهم لم يسمعوه، وبمنزلة البُكمِ في أنهم لا يستجيبون لما دعوا إليه، وبمنزلة العُميِ من حيث أعرضوا عن الدلائل فصاروا كأنهم لم يشاهدوها.

❁❁❁❁

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ الصَّوَٰعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌۢ بِالْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾

السؤال الأول:

هذا هو المثل الثاني للمنافقين فما علاقته بالمثل الأول ؟

الجواب:

١ـ شبّه الله المنافقين في حيرتهم وجهلهم بالدين بهؤلاء الذين وصفهم؛ لأنّ من أصابه البرق في هذه الظلمات الثلاث (السحاب والمطر والليل)، ثم ذهب عنه بقي في ظلمة وحيرة.

٢ـ هذا هو المثل الثاني للمنافقين، وسبقه المثل الأول في قوله تعالى في الآية ١٧] ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة:١٧] .

٣ـ التمثيل الثاني أبلغ؛ لأنه أدل على شدة الحيرة وفرط الأغاليط .

السؤال الثاني:

لِمَ عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك (أو) ؟

الجواب:

١ـ الحرف (أو) في أصلها تساوي شيئين فصاعداً في الشك، ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك، كقوله تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإنسان:٢٤] أي: أنّ الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما.

٢ ـ وكذا قوله تعالى ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة:١٩] معناه أنّ كيفية المنافقين شبيهة بهذين التمثيلين، فبأيِّهما مثلتها فأنت مصيب، وإنْ مثلتها بهما جميعاً فكذلك .

٣ ـ الصَّيِّبُ هو المطر، ونُكِّرَ لأنه أريد نوع من المطر شديد هائل، كما نُكِّرَت النار في التمثيل الأول.

وقوله تعالى : ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:١٩] دل على أنه عامٌّ آخذ بآفاق السماء، وههنا شَبَّه دينَ الإسلام بالصَّيِّبِ.

٤ ـ قوله تعالى ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾ [البقرة:١٩] هي ظلمة كثافة السحب وظلمة المطر المتتابع إضافة إلى ظلمة الليل ، وههنا شبّه شبهات الكفار وما لم يفهموه من القرآن.

٥ ـ جاءت هذه الأشياء منكّرة؛ لأنّ المراد أنواع منها، كأنه قيل: فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف.

السؤال الثالث:

لماذا جمع الظلمات وأفرد الرعد والبرق؟ وعلى من يرجع الضمير في قوله تعالى ﴿يَجْعَلُونَ﴾ [البقرة:١٩] ؟

الجواب:

الرعد نوع واحد وكذلك البرق، ومقتضى اجتماع أنواع الرعد والبرق هو في السحاب الواحد، وأمّا مقتضى الظلمات فهو متعدد وهو الليل والسحاب والمطر، فجمع لذلك .

وللعلم فإن الضمير في ﴿يَجْعَلُونَ﴾ يعود إلى أصحاب الصَّيِّب.

السؤال الرابع:

رؤوس الأصابع هي التي تجعل في الآذان فهلا قيل : أناملهم ؟

الجواب:

المذكور وإنْ كان هو الأصبع، لكن المراد بعضه، كما في قوله تعالى ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨] وفي هذا تمثيل لشدة خوفهم من الصواعق، فأرادوا إدخال أصابعهم كلها لا رؤوسها فقط.

السؤال الخامس:

ما معنى الإحاطة بالشيء ؟

الجواب:

١ـ أصل المحيط هو الإحاطة بالشيء من حوله، كالسور الدائر عليه يمنعه أنْ يخرج عنه ما هو منه ويدخل فيه ما ليس فيه ، ويكون من قبيل العلم وقبيل القدرة مجازاً.

٢ـ إذا أطلق لفظ الإحاطة يكون من جهة المقدور أو من جهة العلم والقدرة ، أمّا إذا قيد بالعلم فهو من جهة المعلوم لا غير.

٣ـ ويكون معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾[البقرة:١٩] هو :

آـ أي عالم بهم .

ب ـ وقدرته مستولية عليهم، كقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾[البروج:٢٠].

ج ـ يهلكهم متى شاء فلا يستطيعون الفوت، كقوله تعالى ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾ [يوسف:٦٦] .

والله أعلم.

شواهد قرآنية :

ـ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ١٢٦﴾ [النساء:١٢٦] أي: يعلم بجميع الأشياء من جميع وجوهها، وهي تحت مقدوره وتصرفه.

ـ ﴿قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[الطلاق:١٢] أي: علمه من جميع وجوهه.

ـ ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾[الجن:٢٨] أي : في العلم والقدرة.

ـ ﴿قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ﴾[الفتح:٢١] أي : أحاط الله بها لكم لتمليكها إياكم.

ـ ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾ [البقرة:١٩] أي : يعلم أعمالهم كلها ولا يفوتونه، وهو نوع من التخويف.

﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ [البقرة:٢٠] ثم قال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة:١٧] ولم يقل بضيائهم، فلماذا؟

الجواب:

الضياء أبلغ من النور، ولا يلزم من ذهابه ذهاب النور، بخلاف عكسه فذهاب النور أبلغ في نفي ذلك .

السؤال الثاني:

أين المفعول به لفعل ﴿شَآءَ﴾ [البقرة:٢٠] في الآية ؟ وهل مفعول الفعل ﴿أَرَادَ﴾ يكثر حذفه في القرآن ؟

الجواب:

حذف المفعول به لفعل المشيئة ﴿شَآءَ﴾ [البقرة:٢٠] كثير في كلام العرب، وفي القرآن يقول الله تعالى :

- ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ﴾ [البقرة:٢٠] أي: لو شاء الله أنْ يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بسمعهم وأبصارهم.

- ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ﴾ [الأنعام:١١٢] والتقدير: لو شاء ربك أنْ لا يفعلوه ما فعلوه.

- ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة:٦٤].

- ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[آل عمران:٦]

- ﴿ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾[الزُّمَر:٧٤]

- ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾[الانفطار:٨]

ولقد كثر حذف المفعول به في الفعل ﴿شَآءَ﴾ [الانفطار:٨] والفعل ﴿أَرَادَ﴾ [الرعد:١١] ولا يكادون يبرزون المفعول به إلا في الشيء المستغرب نحو :

فلو شئتُ أنْ أبكي دماً لبكيتُه عليه ولكنْ ساحةَ الصَّبرِ أوسَعُ

من الآياتِ التي ورد مذكوراً معه مفعولُ المشيئةِ الآياتُ التالية :

- ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ ﴾[الأنبياء:١٧] .

- ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾[الزُّمَر:٤].

- ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾[المدَّثر:٣٧].

- ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ﴾[الأنعام:٨٠].

نقاط للعلم في الفعل ﴿أَرَادَ﴾[الرعد:١١] :

ورد الفعل ﴿أَرَادَ﴾ [الرعد:١١] بصيغه المختلفة في القرآن الكريم في ١٣٦ موطناً لم يحذف مفعوله في واحد منها إلا في عائد الصلة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود:١٠٧] وقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾ [هود:٧٩] وهذا غير مختص بفعل دون فعل، فحذف عائد الصلة المنصوب كثير في عموم الأفعال، كقوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ [الفرقان:٤١] أي: بعثه، وقوله: ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ [المدَّثر:١١] أي: خلقته.

وهذا الحذف في عائد الصلة ورد في فعل الإرادة في (٧) مواطن ، والباقي (١٢٩) موطنٌ من فعل الإرادة لم يحذف في واحد منها كقوله تعالى:

- ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾[الرعد:١١].

- ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف:٨٢].

- ﴿قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب:١٧].

- ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الزُّمر:٤].

❁❁❁❁

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين البناء والبنيان في الاستعمال القرآني ؟

الجواب:

استعمل القران الكريم البناء للسماء، كما في هذه الآية وآية غافر[٦٤]، واستعمل البنيان لما بناه البشر كما في آيات : الكهف [٢١] الصافات [٩٧] التوبة [١٠٩].

❁❁❁❁

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق في آيات التحدي في قوله تعالى بين ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة:٢٣] و ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس:٣٨] و﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود:١٣] ؟

الجواب:

التحدي كان بأكثر من صورة ، وكان هناك تحدٍّ في مكة وتحدٍّ في المدينة.

١ـ السور المكية جميعاً جاءت من غير (من) :

آ ـ ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الطور:٣٤] ، والحديث يمكن أنْ يكون آية أو عشر آيات أو سورة كاملة، بحديثٍ مثله، أي: الحديث مطلق .

ب ـ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس:٣٨] بسورة مثله.

ج ـ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [هود:١٣] بعشر سور.

د ـ ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨] حكاية حالهم بأسلوب القرآن الكريم، فكان أحياناً يطالبهم بحديث ، فأحياناً يقول لهم: فأتوا بقرآن مثله، أحياناً عشر سور، أحياناً سورة واحدة مثل الكوثر أو الإخلاص، هذا كان في مكة فكان يقول: (مثلِه) بدون (من).

٢ـ في المدينة (في سورة البقرة) المكان الوحيد الذي قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة:٢٣] هنا القرآن انتشر وأسلوبه صار معروفاً، الآن يقول لهم: ﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[البقرة:٢٣].

٣ـ لو قال : بسورة مثله، كما قال سابقاً يعني سورة مثل سور القرآن الكريم، بينما (من) هذه للتبعيض ، والقرآن هل له مثل حتى يطالَبون ببعض مماثله؟ هو لم يقل : فأتوا بمثله وإنما ببعض ما يماثله أو بعض ما تتخيلونه مماثلاً ولا يوجد ما يماثله فما معناه؟ هذا معناه زيادة التوكيد.

ومعناه: أنه لو تخيلتم أو أنّ تصوّركم أنجَدَكم بأنْ تتخيلوا مثالاً لهذا القرآن فحاولوا أنْ تأتوا بمثل ذلك المثال، حتى بجزء من ذلك المثال الذي تخيلتموه، فهذا أبعد في التيئيس من قوله ﴿مِّثۡلِهِۦ﴾ مباشرة.

وهذا إمعان في التحدي وأبعد؛ لأنّ القرآن صار منتشراً، وهذا غير ممكن؛ لأنّ الله تعالى قضى بأنهم : ﴿لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ﴾ [الإسراء:٨٨] فأتوا ليس بمثله وإنما بجزء مما تتخيلونه مماثلاً له.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣] و﴿مِّثۡلِهِۦ﴾ في آيات الإسراء [٨٨] يونس[٣٨] هود[١٣] الطور[٣٤]؟

الجواب:

من الناحية اللغوية هناك فرق بين التعبيرين ، فعندما تقول : ائتني بشيءمن مثل هذا ، فهذا يعني أننا نفترض وجود أمثال لهذا الشيء.

أمّا عندما نقول : ائتني بشيء مثل هذا، فهذا لا يفترض وجود أمثال لكنه محتمل أنْ يكون لهذا الشيء مثيل وقد لا يكون، فإنْ كان موجوداً ائتني به وإنْ لم يكن موجوداً فافعل مثله.

هذا هو الفرق الرئيس بينهما، وهذا الأمر طبع كل الآيات الواردة في هذا المجال؛ حيث إننا نعرف أنّ الله تحدى الكفار والمشركين بالقرآن في أكثر من موضع.

جدول مقارنة بين الآيات الثلاث

آية البقرة٢٣	آية يونس٣٨	آية هود١٣
﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾	﴿افْتَرَاهُ﴾	﴿افْتَرَاهُ﴾
﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾	﴿مِّثْلِهِ﴾	﴿مِّثْلِهِ﴾
﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾	-	-
﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم﴾	﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾	﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾
﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾	-	-

التعليق :

١ـ أمور الريب أعمُّ وأشمل وأهم من الافتراء ، والافتراء واحد من أمور الريب.

٢ـ قال المفسرون: إنّ معنى ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ أي من مثل القرآن ومن مثل رجل أُميٍّ كالرسول ﷺ لا يكتب ولا يقرأ فهي تحتمل المعنيين، بينما لفظ ﴿مِّثْلِهِ﴾ لا يحتمل إلا معنى واحداً وهو مثل القرآن ، لذلك فصيغة ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة:٢٣] أعم من ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس:٣٨] للسببين أعلاه.

٣ـ حذف مفعولي الفعلين (تفعلوا) و(لن تفعلوا) والحذف في اللغة قد يكون للإطلاق عموماً، كأنْ تقول : قد كان منك ما يؤذيني، و قد كان منك ما يؤذي، وهذا عام.

٤ـ لا يمكن افتراضاً أنْ نضيف كلمة (مفتراة) في آية سورة البقرة فيقول مثلاً : فأتوا بسورة من مثله مفتراة؛ وذلك لسببين :

آ ـ هم لم يقولوا (افتراه)، كما قالوا في سورة يونس وهود .

ب ـ لا يحسن أنْ يأتي بعد (من مثله) بكلمة (مفتراة) ؛ لأنه عندما قال: (من مثله) افترض وجود مثيل له، فإذن هو ليس مفترى ولا يكون مفترى إذا كان له مثيل.

٥ـ كذلك لا يصح أنْ يقول في سورتي يونس وهود مثلاً: (فأتوا بسورة من مثله) بإضافة (من)؛ لأنّ استخدام (من مثله) تفترض أنّ له مِثْلاً، إذن هو ليس بمفترى، لذلك لا يمكن استبدال إحداهما بالأخرى.

٦ـ قال في البقرة: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة:٢٣] وقال في يونس وهود: ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾؛ والسبب أنه في سورة البقرة قال: ﴿مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ أي: افترض أنّ له مثلاً وهناك من استطاع أنْ يأتي بهذا المثل ، فلماذا تدعو المستطيع !!! وإنما صح أن يأتي ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة:٢٣] ليشهدوا إنْ كان هذا القول مثل هذا القرآن، فالموقف يحتاج إلى شاهد محكَّم ليشهد بما جاءوا به وليحكم بين القولين .

أمّا في سورة يونس وهود؛ فالآية تقتضي أنْ يقول: ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾ ليفتري مثله .

لذلك فقوله تعالى ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة:٢٣] أعمُّ وأوسع؛ لأنه تعالى في آية البقرة طلب أمرين : دعوة الشهداء ودعوة المستطيع، أمّا في آية يونس وهود فالدعوة للمستطيع فقط .

٧ـ مما سبق نلاحظ أنّ آية البقرة بنيت على العموم أصلاً ﴿فِي رَيْبٍ﴾ ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم﴾ وجاءت هذه الآية ﴿فِي رَيْبٍ﴾ مناسبة لأول سورة البقرة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[البقرة:٢].

٨ ـ ثم نسأل : لماذا قال الله في آية البقرة ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ نقول:

إنّ قوله تعالى ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ هو الشرط، وقوله تعالى ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ هو جملة اعتراضية بغرض القطع بعدم الفعل، وهذا يناسب قوله تعالى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في أول سورة البقرة.

كما ناسب أنْ يقطع بعدم الاستطاعة على الفعل بقوله ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾؛ لأنه ذكر ابتداء أنه لا ريب فيه.

٩ـ استخدم ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة:٢] في أول سورة البقرة و﴿ذَٰلِكَ﴾ [البقرة:٢] اسم إشارة للبعيد ، بينما في آيات أخرى جاء اسم الإشارة (هذا) للقريب، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]؛ والسبب أنه تعالى عندما قال : ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾[البقرة:٢] دعا من يستطيع أنْ يأتي بمثله وهذا أمر بعيد الحصول، وفيه إشارة إلى أنهم لن يستطيعوا إليه سبيلاً .

أمّا استخدام اسم الإشارة (هذا) فجاء مع الهدى؛ لأنّ الهداية ينبغي أنْ تكون قريبة من أفهام الناس حتى يفهموا ويعملوا.

١٠ـ حدد القرآن التحدي في سورة هود بعشر سور؛ لأنّ هذا من طبيعة التدرج في التحدي؛ حيث يبدأ بالكل ثم الأقل فالأقل ، والله أعلم.

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾

السؤال الأول:

مادلالة قوله تعالى ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ ؟

الجواب:

قوله تعالى ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ هو الشرط، وقوله تعالى ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ جملة اعتراضية بغرض القطع بعدم الفعل، وهذا يناسب قوله تعالى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ .

والقرآن تحدى البشر أولاً بأنْ يأتوا بمثل القرآن، ثم تحداهم بأنْ يأتوا بعشر سور مثله مفتريات؛ لأنهم أشاعوا في أوساط الناس أنّ القرآن مفترى، ثم تحداهم بأنْ يأتوا بسورة واحدة من مثله في البقرة [٢٣].

ومع هذا التحدي الأخير لم يكتفِ بذلك بل بين أنهم لم يفعلوا ولن يفعلوا ذلك!!!

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ تيئيس للبشر على مدى الزمن ، والتأكيد على عجزهم التام .

إنه تحدٍّ، وأي إنسان في الدنيا يمكن أنْ يقول أو يُصدر هذا الحكم، هل يجرؤ محمد ﷺ وبخاصة أنه في أول الدعوة لمّا يجهر بها بعد؟ هل يجرؤ أنْ يواجه أعداءه بهذا الحكم ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ ؟

من الذي يضمن صحة هذا الحكم واستمراره ؟؟؟ وأين تذهب هيبة النبيِّ وقوته وصدقه؟؟

إنها النبوة إذن و ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم:٤] إنه الله العليم القادر.

ونحن الآن نتحدث بعد نيف وأربعة عشر قرناً من نزول القرآن وما زال الحكم قائماً !!!!

السؤال الثاني:

أين مفعول ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾ ؟

الجواب:

هو محذوف لفظاً لكنه مُراد معنى ، أي: هو محذوف للاختصار ، ولا يحذف إلا لدليل ، والتقدير : فإن لم تفعلوا الإتيان ولن تفعلوه ، وقد حُذف للعلم به.

السؤال الثالث:

قوله تعالى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ كيف نتقيه بينما نحن نطلب من الله كل النعم وكل الخير، كيف يتم هذا ؟ وكيف نتقي من نحب ؟

الجواب:

إن لله تعالى صفات جلال وصفات جمال، صفات جلال تجدها في القهار والجبار والمذل والمنتقم والضار.

أمّا صفات الجمال فتجدها في الغفار والرحمن والرحيم .

فإذا كنت تقي نفسك من النار وهي من صفات الجلال فلا بدّ أنْ تقي نفسك من صفات الجلال كلها؛ لأنه قد يكون من متعلقاتها ما هو أشد عذاباً وإيلاماً من النار.

فكأن الحق سبحانه وتعالى حين يقول : (اتقوا النار) ـ و(اتقوا الله) يعني أنْ نتقي غضب الله الذي يؤدي بنا إلى أنْ نتقي كل صفات جلاله ونجعل بيننا وبينها وقاية، فمن اتقى صفات جلال الله أخذ صفات جماله .

ولذلك يقول الرسول ﷺ : « **إذا كانت آخر ليلة من رمضان تجلى الجبار بالمغفرة**» وكان المنطق حسب تقدير البشر أنْ يقول الرسول ﷺ : (تجلى الرحمن بالمغفرة) ولكن ما دامت هناك ذنوب فالمقام لصفة الجبار الذي يعذب خلقه بذنوبهم فكأنّ صفة الغفار تشفع عند صفة الجبار، وصفة الجبار للعاصين فتأتي صفة الغفار لتشفع عندها فيغفر الله للعاصين ذنوبهم.

وجمال المقابلة هنا حينما تسمع أنّ الجبار يتجلى بجبروته تشعر بالفزع والخوف والرعب لكنْ عندما تسمع «**تجلى الجبار بالمغفرة**» فإنّ السعادة تدخل إلى قلبك؛ لأنك تعرف أنّ صاحب العقوبة وهو قادر عليها قد غفر لك.

والنار ليست آمرة ولا فاعلة بذاتها ولكنها مأمورة ، إذن فاستعذ منها بالآمر أو بصفات الجمال في الأمر.

من جهة ثانية عرّف النار هنا فقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ [البقرة:٢٤] ونّكرها في آية التحريم [٦] بقوله: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم:٦]؛ لأنّ الخطاب في البقرة مع المنافقين وهم في أسفل النار فعرّفت بلام الاستغراق.

أما في آية سورة التحريم فالنار مع المؤمنين والذي يُعَذَّبُ من عصاتهم بالنار يكون في جزء من أعلاها، فناسب تنكيرها لتقللها.

السؤال الرابع:

ما الوَقود ؟

الجواب:

الوَقود : - بفتح الواو- هو الأشياء التي توضع في النار لكي تتقد من حجارة أو بشر أو قطران.

الوُقود : - بضم الواو- فتُطلق على عملية الاشتعال.

وهناك في القرآن كلمات تعتبر منظومة الوقود مثل : حطب ـ حصب ـ قطران.

انظر الآيات : إبراهيم [٥٠] الأنبياء [٩٨] الجن[١٥].

❊❊❊❊

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

في آية سورة البقرة يقول تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٥] وفي آيةالكهف يقول: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الكهف:٣١] فما الفرق ؟

الجواب:

فى سورة البقرة ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ [البقرة:٢٥] الكلام عن الجنة، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥] وفى سورة الكهف: ﴿مِن تَحْتِهِمُ﴾ [الكهف:٣١] يتكلم عن ساكني الجنة المؤمنين

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرًا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ [الكهف:٣٠-٣١] .

فإذا كان الكلام عن المؤمنين يقول: ﴿مِن تَحۡتِهِمُ﴾ [الكهف:٣١] وإذا كان الكلام عن الجنة يقول: ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ [البقرة:٢٥] .

وقد يقول بعض المستشرقين : إنّ في القرآن تعارضاً، مرةً تجري من تحتها، ومرةً من تحتهم لكنا نقول: إنّ الأنهار تجري من تحت الجنة ومن تحت المؤمنين فليس فيها إشكال ولا تعارض، ولكنّ الأمر مرتبط بالسياق.

السؤال الثاني:

قال تعالى في سورة النساء: ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ [النساء:١٣٨] وفي سورة البقرة ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥] ذكر الباء في الآية الأولى ﴿بِأَنَّ﴾ [النساء:١٣٨] وحذفها في الثانية ﴿أَنَّ﴾ [البقرة:٢٥] مع أنّ التقدير هو ﴿بأنّ﴾ فلماذا؟

الجواب:

١ـ لفظة ﴿بِأَنَّ﴾ [النساء:١٣٨] أكثر من ﴿أَنَّ﴾ [البقرة:٢٥] فالباء الزائدة تناسب الزيادة في ذكر المنافقين وجزائهم.

٢ـ إنّ تبشير المنافقين في سورة النساء آكد من تبشير المؤمنين في سورة البقرة، ففي سورة النساء أكّد وفصّل في عذاب المنافقين في عشر آيات ابتداء من قوله في الآية [١٣٦] ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ﴾[النساء:١٣٦] وحتى ما بعد الآية[١٤٥].

أمّا في آية البقرة فهي الآية الوحيدة في تلك السورة التي ذكر فيها كلاماً عن الجزاء وصفات المؤمنين.

٣ـ وكذلك جاء بـ (بأنّ) في قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾[الأحزاب:٤٧]؛ لأنه تعالى فصّل في السورة جزاء المؤمنين وصفاتهم.

السؤال الثالث:

ما دلالة (المطهّرون)و (المتطهرون)؟

الجواب:

١ـ الذي يبدو ـ والله أعلم ـ أنّ (المطهّرون) هم الملائكة؛ لأنه لم ترد في القرآن كلمة المطهّرين لغير الملائكة، والمُطهَّر اسم مفعول وهي تعني مُطهَّر من قِبَل الله تعالى.

٢ـ وبالنسبة للمسلمين يقال لهم: متطهرين أو مطّهِّرين، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢٢] و ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة:١٠٨] و(متطهرين) أو (مطّهّرين) هي بفعل أنفسهم، أي: هم يطهرون أنفسهم.

٣ـ ولمّا وصف الله تعالى نساء الجنة وصفهم بقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾[البقرة:٢٥] فلم ترد إذن مطهّرون إلا للملائكة .

ولذلك فإن هذا المعنى يقوّي القول بأنّ المقصود في الآية ﴿ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ ﴾ [الواقعة:٧٨] هو الذي في اللوح المحفوظ، وليس القرآن الذي بين أيدينا لأكثر من سبب، والله أعلم.

السؤال الرابع:

ما دلالة البناء للمجهول فى قوله تعالى ﴿رُزِقُواْ﴾ [البقرة:٢٥] ؟

الجواب:

الله تعالى ينسب النعمة والخير إلى نفسه ولا ينسب الشر لنفسه ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣ ﴾ [الإسراء:٨٣]، أمّا في الجنة فإنه لا حساب ولا عقاب يقول تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ﴾ [البقرة:٢٥].

السؤال الخامس:

لماذا لم تذكر الحور العين في هذه الآية مع نعيم الجنة ؟

الجواب:

كثير من السور لم يذكر فيها الحور العين بالرغم من ذكر الجنات، وللعلم فقد وردت الكلمات التالية في القرآن الكريم :

ـ الحور : أربع مرات في الآيات : الدخان[٥٤] الطور [٢٠] الواقعة [٢٢] الرحمن [٧٢].

ـ عين : أربع مرات في الآيات : الدخان [٥٤] الطور [٢٠] الواقعة[٢٢] الصافات[٤٨]

ـ ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ ٦٦ مرة.

ـ ﴿جَنَّٰتٌ﴾ ٦٩ مرة.

ـ ﴿جَنَّتَكَ﴾ مرتان .

ـ ﴿جَنَّتَهُۥ﴾ مرة واحدة .

ـ ﴿جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ مرة واحدة .

ـ ﴿جَنَّتَانِ﴾ ٣ مرات.

ـ ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ ٤ مرات.

ونلاحظ أنه عندما يذكر القرآن الكريم أزواج أهل الجنة لا يذكر معها الحور العين مراعاة لنفسية المرأة ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾[البقرة:٢٥] كما في الآيات : البقرة [٢٥] آل عمران [١٥] النساء [٥٧] فلم يذكر الحور العين مع الأزواج.

السؤال السادس:

لماذا جاء الظرف ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الآية مبنياً على الضم ؟

الجواب:

هناك ظروف يسميها النحويون (الظروف المقصودة) منها : قبل ، بعد، فوق ، تحت، أمام ، خلف ، ويذكر النحاة أنّ لها أربعة أحوال :

١ـ ألاّ تضاف وهي في ذلك نكرات كقول الشاعر :

فساغ لي الشراب وكنت قبلاً   أكاد أغص بالماء الفرات

فمعنى (قبلاً) : فيما مضى من الزمان.

٢ـ أنْ تضاف ، نحو قوله تعالى : ﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ﴾[النور:٥٨] و﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ﴾[آل عمران:١٤٤] .

٣ـ أنْ يحذف المضاف إليه ويُنوى لفظه ، وهذا قليل كقوله :

ومن قبلِ نادى كلُ مولى قرابة   فما عطفت مولى عليه العواطف

أي : ومن قبل ذلك ، ويعامل المضاف كأنّ المضاف إليه مذكور .

٤ـ أنْ يحذف المضاف ويُنوى معناه ، وتكون عند ذاك مبنية على الضم ، وتكون في هذه الحالة معرفة من دون معرّف لفظي، وإنما هي معرفة بمعرّف معنوي ، وهو القصد إليها ، فبنيت على الضم لمخالفة حالاتها الإعرابية الأخرى التي تكون فيه نكرة أو معرّفة بالإضافة .

شواهد قرآنية :

﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾[الروم:٤] .

﴿وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ﴾[يوسف:٨٠].

﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾[مريم:٩] .

﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾[يوسف:٧٧] .

﴿أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ﴾[القصص:٤٨] .

وقد ورد التعبير ﴿مِن قَبۡلُ﴾ كثيراً في القرآن الكريم . وإعراب

﴿من قبل﴾ من : حرف جر . و﴿قبلُ﴾ ظرف مبني على الضم في محل جر .

❁❁❁❁

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما المعلومات المتوفرة عن بنية البعوضة ؟

الجواب:

البعوضة هذا المخلوق الضعيف العجيب، يضرب الله سبحانه مثلاً به ليبين للناس أنّ هذا المخلوق الصغير في حجمه هو عظيم في خلقه .

واليكم بعضاً من أسراره :

١ـ البعوضة أنثى .

٢ـ لها مائة عين في رأسها.

٣ـ لها ٤٨ سن في فمها .

٤ـ لها ثلاثة قلوب كاملة في جوفها.

٥ـ لها ست سكاكين في خرطومها ولكل واحد منها وظيفته.

٦ـ لها ثلاثة أجنحة في كل طرف من أطرافها.

٧ ـ مزودة بجهاز حرارة يعمل مثل نظام الأشعة تحت الحمراء يعكس لها لون الجلد البشري في الظلمة إلى لون بنفسجي حتى تراه (رؤية ليلية) .

٨ـ مزودة بجهاز تخدير موضعي يساعدها على غرز إبرتها في جسم الإنسان دون أن يشعر، وما يحس به من قرصة هو نتيجة مص الدم.

٩ـ مزودة بجهاز تحليل للدم فهي لا تستسيغ أية دماء.

١٠ـ مزودة بجهاز لتمييع الدم حتى يسري في خرطومها الدقيق جداً أثناء عملية المص .

١١ـ مزودة بجهاز للشم تستطيع من خلاله شم رائحة عرق الإنسان من مسافة ٦٠ كم .

١٢ ـ وأغرب من هذا، فإن العلم الحديث اكتشف حشرة صغيرة جداً تعيش فوق ظهر البعوضة لا ترى إلا بالمجهر، مصداق قوله تعالى ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ ﴾[البقرة:٢٦] .

فسبحان الله !!!!!!!

مسائل في الآية :

١ـ لفظ (بعوضةً) منصوب بأنه صفة لمثلاً، أو مفعول به ليضرب، و (مثلاً) حال مقدم عليه أو مفعول به ثانٍ ليضرب مضمّن معنى: يجعل .

٢ـ اشتقاق البعوض من البعض وهو القطع، وسمي به لقلة جرمه وصغره؛ ولأنّ بعض الشيء قليل بالقياس إلى كله .

السؤال الثاني:

القدامى يفسرون قوله تعالى ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:٢٦] بأنه دلالة على قدرة الله تعالى، فهل هذا هو المقصود بما فوقها؟ أم أن المقصود بذلك ما أثبته العلم الحديث من وجود جرثومة صغيرة لا ترى بالعين المجردة تعيش فوق ظهر البعوضة ؟ فهل تلك الجرثومة هي المقصود بما فوق البعوضة؟

الجواب:

في قوله تعالى ﴿فَمَافَوْقَهَا﴾[البقرة:٢٦] وجوه :

آ ـ الأول ما هو أكبر منها في الجثة والحجم كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب.

ب ـ والثاني ما هو أصغر منها كما ورد أعلاه من أنّ العلم الحديث اكتشف حشرة صغيرة جداً تعيش فوق ظهر البعوضة لا ترى إلا بالمجهر بعد تكبيرها مائة ألف مرة .

والمحققون مالوا إلى القول الثاني؛ لأنّ المقصد من هذا التمثيل تحقير الأوثان فكلما كان المشبه به أشد حقارة كان المقصود في هذا الباب أكمل حصولاً .

وكلما كان الشيء أصغر كان الاطلاع على أسراره أصعب، فإذا كان غاية في الصغر لم يحط بعلمه إلا علم الله تعالى.

ج ـ أو تفيد زيادة الوصف إلى أسفل، كقولك : حقير وفوق الحقير ، أي أدنى من الحقير في الصفات.

د ـ أي ما فوقها في الدلالة، أي: في الاستدلال على بيان قدرة الله في الأشياء التي يريدها ويخلقها . والله أعلم.

لذلك كلمة (فوق) قد تستعمل للزيادة في الحجم، أي: أكبر منها أو الزيادة في الوصف كما تقول : هو حقير وفوق الحقير يعني هو دون الحقير.

وإنْ قيل : كيف نفهم (فما) في قوله تعالى ﴿فَمَافَوْقَهَاۚ﴾ ؟

فالجواب: (فما) بمعنى الذي فوقها، ولا يفهم منها أنّ ما دونها غير مخصوص بالكلام، فما فوقها تجمع أمرين ، وأصلاً (فوق) في اللغة تأتي بهذين المعنيين وهي ظرف.

السؤال الثالث:

ما دلالة الحياء في قوله تعالى ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ [البقرة:٢٦] في الآية ؟

الجواب:

الحياء في اللغة حالة في نفس الإنسان تجعله يُحجِمُ عن شيء، أو يحجم عن كلامٍ استحياءً، فلا يتكلم أحياناً عن فعل ينوي أنْ يفعله، أو فعل شيئاً إذا وُجِه فيه يصيبه الحياءُ، فالحياء حالة نفسية، لكنها لا تنطبق على الباري سبحانه وتعالى، وإنما يستعمل القرآن هذه الطريقة التي يتكلم بها العرب ليفهم من ذلك أن في كتاب الله تعالى يرد- ومن غير تردُّدٍ- ذكرٌ لهذه الأمثال.

و إذا ضرب هذا المثل فالمؤمن الواعي المدرك يعلم أنه حق لأنه سيتفكر، وأمّا الذين كفروا ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ﴾ [البقرة:٢٦] فيرد عليهم القرآن ﴿يُضِلُّ

بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦] هذا المثال يكون سبباً للإضلال وسبباً للهداية، والإضلال لا يكون إلا للفاسق؛ لأنه هو الذي اتخذ الضلال له طريقا الآية ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة:٢٦] والفاسق هو الخارج من طبعه أو الخارج من فطرته ؛ لأنّ المخلوق يولد على الفطرة.

السؤال الرابع:

لماذا جاء الفعل ﴿يُضِلُّ﴾ في الآية بالصيغة الفعلية دون الصيغة الاسمية ؟

الجواب:

١ ـ هنالك ملاحظة لطيفة وهامة؛ وهي أنه ما كان من شأنه ألا يُفعل إلا مجازاة، وليس من شأنه أنْ يذكر الاتصاف به، لم يأت إلا في تراكيب الأفعال، أي: بالصيغة الفعلية، كقوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم:٢٧] ذكر الله الإضلال وأضافه إلى نفسه بالصورة الفعلية فقط للدلالة على أنّ هذا الأمر طارىء يفعله لمن يستحقه، ولم يُسند هذا الأمر إلى نفسه بالصورة الاسمية للدلالة على أنّ هذا ليس من صفات الله ونعوته. انظر سورة غافر : [٣٤] و [٧٤] وسورة البقرة [٢٦].

في حين وصف الشيطان بذلك فقال: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القصص:١٥].

فجعله وصفاً ثابتاً له ويجدده أيضاً ، انظر آيات الحج:[٣-٤] وقال الشيطان عن نفسه : ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ [النساء:١١٩] فجعل وصف الشيطان الثابت والمتجدد الإضلال .

٢ ـ بينما جعل الله وصف ذاته العلية الثابت والمتجدد في الهداية، فقال في سورة الحج : ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٥٤] . وانظر أيضاً آية الفرقان : [٣١] والمائدة [١٦] ويونس :[٣٥] فشتّان ما بين الوصفين .

٣ـ وفي قوله تعالى في آية الأعراف[١٠٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف:٢٠١] بالصيغة الاسمية ﴿مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف:٢٠١] ؛ لأنّ البصر صفة لازمة للمتقي، وعين الشيطان ربما حجبت، فإذا تذكر رأى المذكور ولو قيل : يبصرون، لأنبأ عن تجدد واكتساب لا عن صفة دائمة.

❁❁❁❁

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما سبب اختيار لفظ النقض في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾[البقرة:٢٧] ؟

الجواب:

إنّ النقض يدل على فسخ ما وصله المرء وركّبه ، فنقض الحبل يعني حلّ ما كنت قد أبرمتَه، وقطعك الحبل يعني جعله أجزاءً، ونقض الإنسان لعهد ربّه يدلك على عظمة ما أتى به الإنسان من أخذ العهد وتوثيقه ثم حلّ هذا العهد والتخلي عنه، فهو أبلغ من القطع؛ لأنّ فيه إفساداً لما عمله الإنسان بنفسه من ذي قبل.

فانظر وتأمل كيف جعل الله تعالى التخلي عن الميثاق والوعد نقضاً.

السؤال الثاني:

ما صفات الفاسقين المذكورة في الآية ؟

الجواب:

أخبر الله تعالى أنّ الفاسقين هم المبتعدون عن منهج الله وحدد صفاتهم في ثلاث :

١ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة:٢٧] فقد أخبرنا الله بأنه ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف:١٧٢] ثم جاءت الغفلة إلى القلوب بمرور الوقت فنقضوا العهد واتخذوا آلهة من دون الله.

٢ـ ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [البقرة:٢٧] والله أمر بصلة الرحم ضمن الروابط التي تبدأ بالأسرة ثم الحي فالقرية فالمدينة فكلِّ المجتمع ضِمنَ تكافلٍ اجتماعيٍّ متميِّزٍ.

بينما هؤلاء خالفوا أمر الله وقطعوا هذه الصلة وخالفوا منهج الله.

٣ـ ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [البقرة:٢٧] الله خلق كل ما في الكون على نظام ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى:٣] ولكنّ الإنسان المنحرف جاء وأفسد قضية الصلاح في الأرض والكون بأشكال مختلفة.

إنّ غياب منهج الله معناه أنّ الأمور أصبحت على أهواء الناس، وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة:٢٧] تدل هذه الصيغة الاسمية الثابتة أنّ الخسران ليس موقوتاً وإنما أبدي؛ ولذلك سيكون الندم عليها شديداً .

والعجيب أنك ترى الناس يعدون للحياة الدنيا إعداداً قوياً فيرسلون أولادهم إلى مدارس اللغة والجامعات ويتحملون في ذلك ما لا يستطيعون وهم في ذلك يعدونهم لمستقبل مظنون وليس يقيناً؛ لأنّ الإنسان قد يموت وهو شاب أو لا يكمل دراسته في المراحل الأخيرة أو يكمل فتأتيه المشاكل فيضيع عمره بسبب الجرائم والمخدرات أو غيرها .

ولكن اليقين الذي لا شك فيه هو أننا سنلاقي الله تعالى يوم القيامة وسيحاسبنا على أعمالنا، ومع أنّ هذا يقين إلا أن كثيراً من الناس لا يلتفتون إليه، يسعون للمستقبل المظنون، ولا يبذلون جهداً لحمل أبنائهم على الصلاة والعبادة والتزام منهج الله في الحياة، إنهم ينسون النعيم الحقيقي ويجرون وراء الزائل.

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾ في الآية٢٧، وما الفرق بينها وبين ﴿خَلۡفُ﴾؟

الجواب:

١ـ لفظة (بعد) نقيضة لفظة (قبل) وأظهر استعمال لها في الزمان.

٢ـ أمّا لفظة (خلف) فهي نقيضة لفظة : قُدّام (وهي في الغالب للمكان) هذا من حيث اللغة. والخلف في اللغة هو الظهر أيضاً.

٣ـ أحياناً لا يصح وضع إحداهما مكان الأخرى؛ فلا يمكننا أنْ نضع (خلف) مكان (بعد)، ففي هذه الآيات لا يمكن أنْ تحلّ (خلف) محل (بعد)؛ لأنها كلها متعلقة بالزمان.

شواهد قرآنية ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾ قال تعالى :

آ ـ ﴿ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [البقرة:٥٢] .

ب ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة:٢٧] .

ج ـ ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [البقرة:٦٤].

د ـ ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة:١٠٩] .

هـ ـ ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة:١٢٠] .

و ـ ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ ﴾ [البقرة:٢٣٠] .

ز ـ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨]

وكلها متعلقة بالزمان.

٤ـ أمّا (خلف) فهي في الأصل للمكان.

شواهد قرآنية :

آ ـ ﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٧] .

ب ـ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس:٩].

ج ـ ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥].

د ـ ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء:٩] أي يلونهم مباشرة كأنهم واقفون خلفهم.

❁❁❁❁

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما غرض الاستفهام في الآية؟

الجواب:

إنّ الاستفهام الحقيقي يحتاج إلى جواب، فإذا سألك أحد: كيف حالك؟ قلت: الحمد لله، وهذا جواب لسؤاله.

أمّا إذا قلت لولدك وهو يضيع وقته أيام الامتحانات: كيف تضيع وقتك على التلفاز؟ هل تنتظر منه جواباً؟ وكذلك قوله تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ [البقرة:٢٨] هو استفهام، ولكنه خرج إلى غرض آخر وهو التعجب والإنكار.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين (ثُمَّ) و(ثَمَّ) في الاستعمال القرآني ؟

الجواب:

ثُمَّ ـ بضمِّ الثاء ـ هي حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي كما في هذه الآية، وآية الكهف [٣٧] ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف:٣٧].

ثَمَّ ـ بفتح الثاء ـ هي ظرف بمعنى هناك، كما في آية الشعراء [٦٤] ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الشعراء:٦٤].

السؤال الثالث:

جاء الإحياء الأول بالفاء وما بعده بثُمَّ، فلماذا ؟

الجواب:

الإحياء الأول جاء بعد الموت بغير تراخٍ فجاء بالفاء، وأمّا الموت الأول فقد امتد لفترة لا نعلمها، لذلك هو تراخى عن الإحياء .

وأمّا الإحياء الثاني فهو كذلك متراخ عن الموت أيضاً . والله أعلم.

السؤال الرابع:

ما دلالة قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة:٢٨] ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة:٢٨] المراد هو الرجوع إلى حكمه؛ لأنّ الله يبعث من القبور ويجمعهم في المحشر، وذلك هو الرجوع إلى الله تعالى، وإنما وصف بذلك لأنه رجوع إلى حيث لا يتولى الحكم غير الله، كقولك: رجع الأمر إلى الأمير، أي: إلى حكمه.

٢ـ الآية دالة على أنّ الإحياء والإماتة بيد الله سبحانه فقط.

❁❁❁❁

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة اللام في قوله تعالى ﴿خَلَقَ لَكُم﴾؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ هذه اللام كأنها للمِلك، فالله سبحانه وتعالى يخاطب هذا الإنسان حتى يرى كيف أكرمه الله عز وجل، وأنه خلق من أجله كل ما في الكون.

علماؤنا يقولون: إنّ هناك شيئين في الكون هما لأجلك؛ أحدهما لتنتفع به مباشرة كالماء والنبات والحيوان ، والآخر للاعتبار ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الروم:٨] فهذا أيضاً لك حتى يحوزك إلى الإيمان، فإذن ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ أي: لأجلكم للانتفاع أو للاعتبار.

لذلك يكون المعنى ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ أي: من أجلكم للانتفاع والاعتبار.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٢٩] ؟

الجواب:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٢٩] المفسرون يقولون : استوى، أي: عمد إلى خلقها، أي: ثم عمد إلى خلق السماء بإرادته سبحانه وتعالى، و(الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب)، وقول المفسرين(عمد إلى خلقها) نوع من التأويل المقبول الآن، نحن بحاجة إليه لكي نترجم التفسير القرآني إلى الآخرين.

السؤال الثالث:

هل السماء تدل على المفرد أو الجمع ؟

الجواب:

السماء لفظها لفظ الواحد وكل ما علاك فهو سماء، لكنّ معناها معنى الجمع، ولذلك قال: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾[البقرة:٢٩] إشارة إلى تفصيلاتها.

والسماء الدنيا بكل مليارات نجومها هي كحلقة في فلاة قياساً إلى السماء الثانية.

السؤال الرابع:

لِمَ قال تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾[البقرة:٢٩] ولم يقل: خلقهنّ ؟

الجواب:

لأنّ التسوية خلقٌ وبناءٌ وتزيين، أمّا كلمة (خلق)، فهي تدل على الإيجاد والبناء، ولو تأملت السموات لرأيت بدعة الخلق ودقّته ونظاماً لا يختلُّ ولا يغيب.

السؤال الخامس:

الظاهر من الآية تقدم خلق الأقوات، وظاهر آية النازعات ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠﴾[النازعات:٣٠] تأخره، فما القول في ذلك ؟

الجواب:

لفظة (ثم) في آية البقرة لترتيب الإخبار لا لترتيب الوقوع، ولا يلزم من ترتيب الإخبار ترتيب الوقوع، كما في آية الأنعام (١٥٣ـ١٥٤) في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾[الأنعام:١٥٤] ولا ريب في تقديم إيتاء الكتاب على وصيته للأمة.

السؤال السادس:

ما حكمة الرقم (٧) في عدد السماوات؟

الجواب:

عدد السماوات هو اختيار الله تعالى لذلك، والحكمة من هذا العدد لا يعلمها إلا الله سبحانه، لكنّ اللافت للنظر هو تكرار العدد (٧) في أمور كثيرة منها:

١ـ عدد طبقات السماء.

٢ـ عدد أيام الأسبوع.

٣ـ عدد أشواط الطواف حول الكعبة.

٤ـ عدد أشواط السعي بين الصفا والمروة.

٥ـ عدد أبواب جهنم.

٦ـ عدد عجائب الدنيا.

٧ـ عدد آيات سورة الفاتحة.

٨ـ عدد ألوان ما يسمى (قوس القزح).

٩ـ عدد كلمات شهادة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

١٠ـ عدد المستويات المدارية للإلكترون .

١١ـ عدد حصى الجمرات التي يرمي بها الحاج في منى خلال الحج .

١٢ـ يأمر الله تعالى تعليم الصلاة للطفل عند بلوغه سن السابعة .

١٣ـ للضوء المرئي سبعة ألوان ، وهناك سبعة إشعاعات للضوء غير المرئي .

١٤ـ تهاجر الطيور بسرب على شكل سبعة .

١٥ـ سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

اللهم اجعلنا منهم . والله أعلم .

❁❁❁❁

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الصيغة الاسمية في الآية ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾[البقرة:٣٠] ؟

الجواب:

معلوم كما هو مقرر في البلاغة وفي اللغة : أنّ الاسم يدل على الثبوت والفعل يدل على الحدوث والتجدد، والاسم أقوى من الفعل، وهناك فرق بين أنْ تقول : هو متعلم أو هو يتعلم، هو يتثقف وهو مثقف، هو يتفقه وهو فقيه، هو حافظ أو هو يحفظ، ومن الثوابت في اللغة أنّ الاسم يدل على الثبوت حتى لو لم يقع.

وفي البلاغة عموماً إذا أردت أنْ تذكر أنّ هذا أمر ثابت فتذكره بالصيغة الاسمية قبل أنْ يقع، فتُسأل مثلاً هل سينجح فلان؟ فتقول: هو ناجح قبل أنْ يمتحن؛ لأنك واثق أنه ناجح ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [هود:٣٧] لم يقل: سأغرقهم، هذا في التعبير أقوى دلالة من الفعل.

السؤال الثاني:

قوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة:٣٠] هل من فارق بين نقدس لك، ونقدسك؟

الجواب:

الفعل (يقدس) فعل متعدٍّ يأخذ مفعولاً به دون حرف الجر اللام، فنقول: نقدس الله، لكنّ الآية أدخلت اللام على الكاف، فما فائدة هذه اللام؟ فائدتُها للتخصيص، أي: التقديس لك لا لغيرك، فالملائكة لا تعصي الله ما أمرها فهي لا تقدس إلا لله، بخلاف البشر الذين قد يقدسون الله ومع تقديسهم لله قد يقدسون غيره.

السؤال الثالث:

ما دلالة كلمة ﴿خَلِيفَةً﴾ في الآية ؟

الجواب:

في كلمة (خليفة) عدة أقوال :

ـ القول الأول : - وعليه أغلب المفسرين- أنه؛ أي الإنسان، خليفة الله عز وجل في الأرض، وأنّ الله سبحانه وتعالى أوكل إليه أنْ يعمر الأرض، وهو يتولى إعمارها بأنْ

يبني هذه البيوت وهذه العمارات والطرق وشق الأنهار وغيرها، وهذه أفعال لا يفعلها من مخلوقات الله أحد، لا الجن يفعلها ولا الطيور ولا الدواب ولا الملائكة إلا إذا كلفهم الله عز وجل أن يفعلوا شيئا فيفعلونه .

وهذا المخلوق ـ الإنسان ـ زُوِّدَ بوسائل بحيث يستطيع أنْ يقوم بالأعمال التي هيأه الله عز وجل لها، فيكون خليفة الله عز وجل في أرضه فيعمر الأرض ، وهذه الأرض موجود فيها المواد والأشياء، وليس هناك في خلق الله سبحانه وتعالى من يجمع هذه الأشياء ويجعل منها حاسوباً إلا هذا الإنسان فهو مُصنِّعٌ في الأرض، وهذه لا تكون إلا بكلمة (كُن فيكونُ) الإلهية.

ـ القول الثاني : يقول : ممكن أنْ يكون هناك خلق قبلنا، فهذا المخلوق الجديد آدم هو خَلَفٌ لذلك الخلق الذي قبلنا.

ـ القول الثالث : أنه خليفة، أي: يخلف بعضهم بعضاً فيتوالد ويتكاثر.

وهذه الآراء جميعاً هي لكبار علمائنا لا نجادل فيها لأنه أمر غيبي، انتهى خلق الإنسان والإنسان الآن يعمل والجدل فيه لا يثمر.

ـ وآخر قسم من العلماء يقولون : المراد الأنبياء وبقية البشر تبعٌ لهم؛ لأنّ الأنبياء يبلّغون شرع الله ويبلّغون رسالاته، فهم بهذا المعنى خلفاء في أنهم ينقلون شرع الله عز وجل، وهذا المعنى تحتمله اللغة ولا مساس فيه بالاعتقاد ، لكنّ سياق الآية لا يُسعف في هذا؛ لأنّ سياق الآية الكلام عن آدم قال: إني جاعل في الأرض خليفة، فتساءل

الملائكة: ما هذا الخليفة ؟ ولم يعترضوا على الله سبحانه وتعالى،التساؤل فقط للاستفسار والكشف لا غير .

السؤال الرابع:

من أين علمت الملائكة أنّ هذا المخلوق الجديد سوف يفسد في الأرض ويسفك الدماء؟

الجواب:

لعلمائنا أكثر من قول في علم الملائكة بطبيعة هذا المخلوق، وكلها أقوال محترمة:

ـ الرأي الأول : وهو الذي يميل إليه عدد كبير من العلماء؛ وهو أنّ الحوار في القرآن مختصر، كأنّ الله عز وجل حين قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] كأنّ الملائكة سألت : ما شأن هذا الخليفة؟ ما الخليفة هذا؟ وهم خالو الذهن؟ فقال الله عز وجل : إنّ هذا مخلوق له ذرية، من هذه الذرية من سيُسَبِّحُني ويعبُدُني ويقدِّسُني، ومنهم من سوف يفسد ويسفك الدماء، ومن هنا نفهم لماذا ذكروا تسبيحهم ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[البقرة:٣٠] فإذا كان هناك من سيُسَبِّحُ ويقدِّسُ من هذه الذرية فنحن نسبِّحُ ونقدِّسُ، والقسمُ الآخر مفسدٌ يسفكُ الدماء، فما الداعي لإيجاده؟ مجرد سؤال أو للاستفسار بصيغةِ سؤالٍ مؤدَّبٍ، فسألوا ربهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة:٣٠] هذا الرأي الأول وقد مال إليه عدد من كبار علمائنا من المفسرين.

ـ الرأي الثاني: يقول : لعل لديهم تجربة سابقة من خلق إنسان سابق أو مخلوق سابق أفسد وسفك دماءً، فقالوا : هذا سيفعل كما فعل الذي قبله .

وخلق إنسان سابق فيه نظر، وليس لدينا دليل وقد يكون ، لكنّ هذا هو الحوار الذي حدث بين الله سبحانه وبين ملائكته ، حتى أنّ بعض العلماء يسأل ويقول : ما الداعي إلى أنّ الله سبحانه وتعالى يحاورهم؟ والجواب أنّ الله سبحانه وتعالى يذكر لنا ذلك في القرآن حتى يعلمنا المشورة والمشاورة فلا ينفرد الحاكم برأيه، فرب العزة يشاور الملائكة ويحدثهم ويذكر لنا هذا الأمر أنه عرض على الملائكة وقال لهم: سيكون كذا فقالوا له: يا رب ما شأنه؟ قال: هذا شأنه: منه من يسفك الدماء ويفسد، ومنه من سيسبحني ويقدسني. وهذا هو واقع الحال؛ فالبشر الآن منهم من يفسد فيها ويسفك الدماء، ومنهم من يسبح الله عز وجل ويعبده .

ولِمَ عرض الباري عز وجل على الملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠] ؟ وذلك لأنهم مشتغلون في الأرض، ومهمتهم في الأرض، من أجل هذا عرض عليهم، ولا يعقل أنه عرض على كل ملائكة السماء والكون، وإنما على فئة لها شغل بهذا المخلوق الجديد وبمكانه، وإبليس كان من ضمن هؤلاء، وهو ليس مَلَكاً لكنه من ضمن الذين لهم شغل؛ لذلك كُلّف مباشرة ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ﴾ [الأعراف:١٢] أُمِر مباشرة بالسجود.

ومما ذُكر: أنه يحتمل أنهم اطلعوا على اللوح المحفوظ ، واللوح المحفوظ كُتِبَ فيه كل شيء وما يفعله البشر، فرأوا ما يفعله هؤلاء فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا

﴿وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة:٣٠] فهم اطلعوا إمّا بإخبار الله لهم ، أو بما اطلعوا عليه في اللوح المحفوظ.

السؤال الخامس:

جاءت قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة في الآيات (٣٠-٣٨) وجاء في آيتي الأعراف [١١-١٢] قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ١٠ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ١١﴾ [الأعراف: ١٠ - ١١] والخطاب فيها بصيغة الجمع وليس بالإفراد لآدم ، وقوله تعالى في آية الأعراف ١٧٢ ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ﴾ [الأعراف:١٧٢] وقوله تعالى في آية الأحزاب ٧٢ ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾ [الأحزاب:٧٢] فهل يمكن - بعد استعراض جميع الصور القرآنية لجوانب قصة الإنسان والأنفس وآدم - أنْ نبين ترتيب مراحل هذه المسألة ؟

الجواب:

المراحل هي : - والله أعلم -

١ـ خلق جميع البشر كأنفس مجردة عن المادة من آدم عليه السلام حتى قيام الساعة.

٢- إعطاء هذه الأنفس صورها الخاصة بها.

٣ـ عرض الأمانة على المخلوقات وتعهد الإنسان (النفس) بحملها

٤ـ أخذ العهد والميثاق من جميع البشر (الأنفس) ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف:١٧٢] .

٥ـ إخبار الله تعالى للملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفة .

٦ـ معرفة الملائكة بإفساد بني آدم وسفكهم الدماء عندما كشف الله تعالى عنها غطاء غيب الزمن المستقبل .

٧ـ تعليم الله تعالى لآدم الأسماء كلها ، وإخبار آدم الملائكة بذلك .

٨ـ الأمر الإلهي للملائكة بالسجود لآدم ، حين الانتهاء من خلق جسده ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ ونفخ الروح فيه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر:٢٩] .

ملاحظة : إنّ جميع المراحل حتى الآن تمت في عالم الأنفس بعيداً عن المادة، فجسد آدم المادي لم يخلق بعد .

٩- خلق جسد آدم عبر المراحل التي بينها القرآن الكريم ، ومن ثمّ تسويته إنساناً كاملاً ونفخ الروح فيه .

وهنا دخل آدم عليه السلام عالم المادة والمكان والزمان وأصبح محكوماً لهذه القوانين .

١٠ـ سجود الملائكة لآدم عليه السلام وعصيان إبليس بسبب مادة جسم آدم، كما في قوله تعالى على لسان إبليس ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢] .

١١ـ إسكان آدم وزوجه جنّة التدريب والاختبار .

١٢ – إغواء إبليس لهما .

١٣ـ تلقي آدم التوبة من الله تعالى حيث اجتباه الله تعالى وهداه .

وهنا دخل آدم عليه السلام مرحلة النبوة .

١٤ـ هبوط آدم عليه السلام وذريته إلى الأرض، ووعد الله تعالى بأنْ يرسل لهم رسلاً يحملون لهم الهدى ومنهج الحق . والله أعلم .

السؤال السادس:

ما الدروس المختصرة والعبر المعتبرة من قصة آدم عليه السلام وسجود الملائكة له ورفض إبليس ونزول الجميع إلى الأرض ؟

الجواب:

أولاً :

القصة فيها عبرٌ كثيرة، ومنها :

ـ إياك والمعاصي فإنها أذلت عزّ ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ وأخرجت إقطاع ﴿ٱسْكُنْ﴾ .

ـ فَرِحَ إبليس بنزول آدم من الجنة وما علم أنّ هبوط الغائص في اللجّة خلف الدّر صعود، كم بين قوله لآدم: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] وقوله لإبليس: ﴿ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾[الإسراء:٦٣] .

ـ يا آدم لا تجزع من قولي لك ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ فلك ولصالح ذريتك خلقتها.

ـ تالله ما نفعه عند معصيته عِزُّ ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ ولا خصيصةُ ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾[ص:٧٥] ولا فخرُ ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[الحجر:٢٩] وإنما انتفع بذلِّ ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[الأعراف:٢٣].

ـ يا لها لحظة أثمرت حرارة القلق وما زال يكتب بدم الندم سطور الحُزن ويرسلها مع أنفاس الأسف حتى جاءه توقيع ﴿فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾[البقرة:٣٧] .

ثانياً :

كان أولَ المخلوقات القلمُ ليكتب المقادير قبل كونها وجعل آدم آخر المخلوقات وفي ذلك حِكَم :

١ـ تمهيد الدار قبل الساكن .

٢ـ أنه الغاية التي خلق لأجلها ما سواه.

٣ـ أنّ أحذق الصنّاع يختم عمله بأحسنه وغايته.

٤ـ أنّ النفوس متطلعة إلى النهايات والأواخر دائماً.

٥ـ أنّ الله أخّر أفضل الكتب والأنبياء والأمم إلى آخر الزمان وجعل الآخرة خيراً من الأولى ، فكم بين قول المَلَك للرسول ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ فيقول : ما أنا بقارىء وبين قوله تعالى : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[المائدة:٣] .

٦ـ أنّ خلق آدم خلاصة الوجود، فناسب أنْ يكون خلقه بعد الموجودات.

٧ـ أنّ من كرامة آدم على خالقه أنه هيأ له مصالحه وحوائجه وأسباب حياته، فما رفع رأسه إلا وذلك كله حاضر.

٨ـ أنه سبحانه أراد أنْ يظهر شرفه وفضله على سائر المخلوقات فقدّمها عليه بالخلق.

٩ـ أنه سبحانه لما افتتح خلق هذا العالم بالقلم كان من أحسن المناسبة أنْ يختمه بخلق الإنسان فإنّ القلم آلة العلم والإنسان هو العالِم، ولهذا أظهر سبحانه فضل آدم على الملائكة بالعلم الذي خُصّ به دونهم.

ثالثاً :

الله سبحانه وتعالى كتب عذر آدم قبل هبوطه إلى الأرض ووسمه بالخلافة قبل الهبوط، فقال : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] ونبّه الملائكة على فضله وشرفه .

والمحب يقيم عذر المحبوب قبل جنايته، فلمّا صوّره على باب الجنة أربعين سنة؛ لأنّ دأب المحب الوقوف على باب الحبيب، ورمى به في طريق ذل ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا﴾ [الإنسان:١] لئلا يُعجب بموقف ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ وكان إبليس يمر على جسده فيعجب منه، ويقول : لأمر قد خلقت ، ثم يدخل من فيه ويخرج من دبره ويقول : لئن سُلِّطتُ عليك لأهلكنك، ولئن سلُطت عليَّ لأعصينك، ولم يعلم أنّ هلاكه على يده، رأى طيناً مجموعاً فاحتقره فلمّا صوّر الطين دبّ فيه داء الحسد، فلمّا نفخ فيه الروح مات الحاسد، فلمّا بسط له بساط العز عرضت عليه المخلوقات فاستحضر مدّعي ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ [البقرة:٣٠] إلى حاكم ﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾ [البقرة:٣١] وقد أخفى الوكيل عنه بينة ﴿ وَعَلَّمَ﴾ [البقرة:٣١] فنكسوا رؤوس الدعاوي على صدور الإقرار، فقام منادي التفضيل في أندية الملائكة ينادي ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ فتطهروا من حَدَثِ دعوى ﴿وَنَحْنُ﴾ [البقرة:٣٠] بماء العذر في آنية ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [البقرة:٣٢] فسجدوا على طهارة التسليم، وقام إبليس ناحيةً لم يسجد لأنه خَبَثٌ وقد تلون

بنجاسة الاعتراض، وما كانت نجاسته تُتلافى بالتطهير؛ لأنها عينية، فلما تمّ كمال آدم جرى القدر بالذنب ليتبين أثر العبودية في الذل.

ولمّا علم الله أنّ ذنب عبده لم يكن قصداً لمخالفته ولا قدحاً في حكمته علّمه كيف يعتذر إليه ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾[البقرة:٣٧].

السؤال السابع:

ما وجه الاختلاف في قصة آدم بين سورتي البقرة والأعراف؟

الجواب:

مقدمـــة :

أولاً ـ ذكر الله تعالى قصة آدم عليه السلام مع قصة إبليس في القرآن الكريم في سبع سور؛ وهي [البقرة ـ الأعراف ـ الحجر ـ الإسراء ـ الكهف ـ طه ـ ص].

ثانياً ـ تبدأ هذه القصة في سورة البقرة من أقدم حدثٍ فيها حين أبلغ الرب سبحانه وتعالى ملائكته بقراره في أنْ يجعل في الأرض خليفة، وذلك قبل خلق آدم، وذكر فيها مراجعة الملائكة لربهم في هذا القرار مبدين عدم رغبتهم في هذا الاستخلاف لأسباب ذكروها ، فقطع الله عليهم تخوفهم وظنونهم بعلمه الذي لا يحد ، ثم ذكر اختبار المفاضلة الذي أجراه الله بين آدم والملائكة ففضلهم فيه آدم ، وثبت بذلك أنّ آدم جدير بالاستخلاف في الأرض.

هذه الأولويات ذكرت في أول سورة من القرآن وفي أول قصة من السورة ولم يذكرها في مكان آخرفي كل القرآن ، و قد جاءت القصة في سورة البقرة مبنية على ركنين:

آ ـ تكريم آدم، ويتجلى في :

١ـ ذكر استخلاف آدم في الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠].

٢ـ تفضيل آدم على الملائكة بتعليمه الأسماء كلها مما لا يعلمه الملائكة.

٣ـ إسجاد الملائكة له.

ب ـ تكريم العلم، ويتجلى في :

١ـ إثبات العلم الشامل لله.

٢ـ نفي العلم عن الملائكة إلا ما علمهم إياه رب العزة.

٣ـ إثبات التعليم لآدم بما يصلح أنْ يقوم به أمر الخلافة ويستقيم.

والاستخلاف الناجح لا بدّ له من أمرين :

آ ـ أنْ يكون للخليفة حق التصرف والتدبير فيما استخلف فيه.

ب ـ أنْ تكون له القدرة على هذا التصرف حسب العلم والقدرات التي أعطاها الله للإنسان .

ونستطيع أنْ نقول بشكل مجمل إنّ القصة في سورة البقرة مبنية بشكل رئيس على تكريم آدم، وكل الجوانب الأخرى المذكورة من العلم والاستخلاف إنما تخدم هذا التكريم.

أمّا قصة آدم في سورة الأعراف، فهي ليست مبنية على هذا الأمر، بل لها غرض آخر وقد وقع فيها التكريم ثانوياً ، وقد ذكرت القصة في سورة الأعراف في سياق العقوبات وإهلاك الأمم الظالمة من بني آدم وفي سياق غضب الله سبحانه، قال تعالى:

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الأعراف:٤-٥].

وبناء على ذلك بنيت القصة في كل سورة على ما جاء في سياقها ، وهذا ما سوف يأتي بيانه إنْ شاء الله تعالى:

١ـ معصية إبليس :

جاء في البقرة قوله تعالى: ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾ [البقرة:٣٤].

بينما جاء في الأعراف قوله: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١﴾ [الأعراف:١١].

فقد جمع لإبليس في سورة البقرة الإباء والاستكبار معاً للدلالة على شناعة معصيته بحق آدم الذي أكرمه الله وعلّمه، ولم يقل مثل ذلك في كل القرآن الكريم، بل هو إمّا أن يقول: ﴿أَبَىٰ﴾ [البقرة:٣٤] وإمّا أن يقول: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ [البقرة:٣٤] ولم يجمعهما إلا في هذا الموضع .

فالفرق واضح بين التعبيرين بحسب موقف التكريم.

٢ـ سكن الجنة والأكل :

قال في البقرة : ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾ [البقرة:٣٥].

وقال في الأعراف : ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩﴾ [الأعراف:١٩].

واليك الفروق بين التعبيرين في الآيتين :

في سورة البقرة	في سورة الأعراف
﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ ﴾	﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ ﴾
﴿ وَكُلَا مِنْهَا ﴾	﴿ فَكُلَا ﴾
﴿ رَغَدًا ﴾	-
﴿ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾	﴿ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾

فقد أسند القول لنفسه في البقرة ﴿ وَقُلْنَا ﴾ [البقرة:٣٥]، وهذا في مقام التكريم والتعظيم ، وناسب هذا أنْ يذكر ﴿رَغَدًا﴾ في البقرة دون الأعراف.

وقال في البقرة :﴿وَكُلَا﴾ بالواو، بينما قال في الأعراف: ﴿فَكُلَا﴾ بالفاء، والواو لمطلق الجمع والفاء تفيد التعقيب والترتيب ، أي: أنّ الواو أوسع من الفاء؛ لأنّ من جملة معانيها معنى الفاء ، فإذا قلت لشخص ما : ادخل وكل ، كان له الحق في أنْ يأكل متى شاء على حسب رغبته ومتى أكل كان موافقاً للأمر ، ولو قلت له : ادخل فكل ، كان عليه أنْ يأكل في عقب الدخول ولو تأخر لكان مخالفاً للأمر ويحق لك أنْ تمنعه .

إضافة إلى أنه أعاد ضمير الجنة في البقرة مع الأكل ﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾ ولم يعده في الأعراف ، فأنت ترى أنه ذكر الجنة وضميرها في البقرة وهو المناسب لمقام التكريم فيها، ولم يفعل مثل ذلك في الأعراف.

ـ الظرف ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ في البقرة يحتمل أنْ يكون للسكن والأكل جميعاً، والمعنى: اسكنا حيث شئتما وكلا حيث شئتما .

وأمّا التعبير في الأعراف ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ فلا يحتمل إلا أنْ يكون للأكل : فكلا من حيث شئتما ، ولا يصح تعليقه بالسكن، أي: لا يصح أنْ يُقال : اسكنا من حيث شئتما .

لذلك المشيئة والتخيير في البقرة أوسع؛ لأنها تشمل السكن والأكل، بخلاف الأعراف، وهذا مناسب لمقام التكريم.

٣ـ الزلة :

قال في البقرة :﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾[البقرة:٣٦].

وقال في الأعراف: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾[الأعراف:٢٢].

الزلة قد تكون في المكان نفسه ،وأمّا التدلية فلا تكون إلا إلى أسفل ، ذلك أنها من التدلية في البئر ، أمّا الزلة فقد لا تكون إلى أسفل .

ومعنى ﴿فَدَلَّاهُمَا﴾ [الأعراف:٢٢] أي: أنزلهما من مكان إلى مكان أحط منه ، فخفف المعصية في البقرة وسماها زلة مراعاة لمقام التكريم بخلاف الأعراف .

٤ـ معاتبة الرب لآدم :

لم يذكر في البقرة معاتبة الرب سبحانه لآدم وزوجه على معصيتهما مراعاة لمقام التكريم، بخلاف الأعراف فقد ذكر أنه عتبهما عليها فقال : ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢)﴾[الأعراف:٢٢] .

ولا شك أنّ مرتبة العتاب أدنى من عدمه .

ثم انظر كيف ناسب هذا العتاب لأبوي البشر في الجنة عتاب أبنائهما في الدنيا في الآية التي سبقت هذه القصة ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (١٠)﴾[الأعراف:١٠].

٥ـ التصريح بالمعصية :

طوى في البقرة تصريح آدم عن نفسه بالمعصية ولم يذكرها إكراماً له، في حين ذكرها في الأعراف فقال : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

ذكر الله ندم المعاقبين من بني آدم في الأعراف فقال: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الأعراف:٤-٥] .

فانتهت بـ ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الأعراف:٥] وذكرت الآية عن ندم آدم عليه السلام بـ ﴿ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:٢٣] فانظر كيف اتفق الندمان على أمر واحد وهو الظلم، فقال آدم: ﴿ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:٢٣] وقال أبناؤه: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ .

ثم انظر إلى التناسب بين العقوبة ومقدار الظلم؛ فقد قال آدم: ﴿ظَلَمْنَآ﴾ بالصيغة الفعلية الدالة على الحدوث للدلالة على أنها زلة طارئة وليست معصية إصرار، بينما قال أبناؤه: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات على الظلم والإصرار، فتاب على الأولين وأهلك الآخرين .

فسبحان الله ؛ ما أبدع هذا الكلام وأعظمه!!!

٦ـ التوبة على آدم :

في مقام سورة البقرة ذُكر أنّ آدم تلقى من ربه كلمات فتاب عليه، علماً بأنه لم يذكر فيها أنّ آدم طلب من ربه المغفرة ومع ذلك ذكر أنه تاب عليه.

وفي مقام سورة الأعراف ذُكر أنّ آدم طلب من ربه المغفرة ولم يذكر أنه تاب عليه.

فانظر إلى تناسب سياق البقرة مع مقام التكريم وسياق الأعراف مع مقام العتاب والمؤاخذة ، ثم قل: جلّ قائل هذا الكلام.

٧ ـ الوعد بالعودة إلى الجنة مع اتباع الهدى :

قال في البقرة : ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة:٣٨] .

ولم يقل مثل ذلك في الأعراف ، والتكريم واضح في هذه الآية؛ إذ فيها وعد لمن تبع الهدى بالعودة إلى الجنة حيث لا خوف ولا حزن.

قال في البقرة: ﴿تَبِعَ﴾ [البقرة:٣٨] بالتخفيف ولم يقل ـ اتّبع ـ بالتشديد كما في آية طه، حيث قال : ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه:١٢٣] ؛ وذلك للأسباب التالية :

آ ـ الفعل بالتشديد يفيد المبالغة ، فاكتفى في البقرة بالأخف من الحدث، ولم يشدد عليهم تخفيفاً على البشر مراعاة لمقام التكريم.

ب ـ الفعل (تبع) تردد في سورة البقرة أكثر من أي سورة أخرى في القرآن، فوضعه في مكانه الذي هو أليق به.

ج ـ جاء التخفيف في البقرة مع إسناد القول إلى نفسه سبحانه ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾ [البقرة:٣٨] بينما جاء التشديد مع إسناد القول إلى الغائب ﴿قَالَ ٱهْبِطَا﴾ [طه:١٢٣] والله سبحانه يظهر نفسه في موقف التلطف والتكريم.

د ـ في البقرة جاء الفعل بواو الجماعة ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾ [البقرة:٣٨]، بينما جاء الفعل بالتثنية في الأعراف ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا﴾ [طه:١٢٣].

هـ ـ نهاية آية البقرة تتعلق بالآخرة ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨﴾ [البقرة:٣٨] أي: في الآخرة، ونهاية آية طه تتعلق بالدنيا والآخرة ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾ [طه:١٢٣] أي: لا يضل في الدنيا ؛ لأنّ الضلال إنما يكون فيها، وأمّا في الآخرة فينكشف الغطاء ويصبح الناس كلهم على بصيرة . وقوله: ﴿وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾ [طه:١٢٣] متعلق بالآخرة؛ لأنّ الدنيا لا تخلو من الشقاء بدليل قوله تعالى لآدم : ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧﴾ [طه:١١٧].

فلمّا كانت آية طه تتعلق بالدنيا والآخرة بخلاف آية البقرة زاد في بناء الفعل إشارة إلى زيادة متعلَّقه.

وآية طه تضمنت أمرين هما : مجاهدة الضلال في الدنيا، والفوز بالآخرة، وآية البقرة تضمنت الفوز في الآخرة، والحالة الأولى تتطلب عملاً أكثر وأشق، فجاء بالفعل الدال على المبالغة والتكلف للأمر الشاق، وجاء بالفعل الخفيف للعمل الخفيف .

وقد تقول : أفلا يتطلب الفوز في الآخرة مجاهدة الضلال في الدنيا؟

والجواب:

إنّ الفوز في الآخرة على مراتب بعضها أعلى من بعض ، وليس كل الناجين في الآخرة ممن كانوا يجاهدون الضلال في الدنيا أو لم يضلوا في أمر من الأمور .

فمجاهدة الضلال والتحري لعدم الوقوع فيه مرتبة عالية تتطلب جهداً ومشقة في العمل ، فوضع كل فعل في المكان الذي يقتضيه تماماً

٨ـ التناسب بين القصة وخاتمة السورة :

في البقرة: قال الله عن إبليس: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤]، وقال في خاتمة البقرة : ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة:٢٨٦].

في الأعراف قال الله : ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف:١١] وقال: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف:١٣].

وقال في خاتمة السورة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف:٢٠٦].

٩ـ الغرض من الوسوسة :

قال في الأعراف : ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ [الأعراف:٢٠].

فذكر أنّ الغرض من الوسوسة هو أنْ يبدي لهما السوءات المخفية واللام هنا هي لام العاقبة ، وقد وقع ذلك فعلاً كما في الآية [٢٢] وعقب على ذلك بقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:٢٦] .

ونلاحظ هنا الأمور التالية :

آ ـ ذكر كلمة (لباس) مع التقوى فقال: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الأعراف:٢٦] فاللباس والريش يواري السوءات الظاهرة، ولباس التقوى يواري السوءات الباطنة.

ب ـ ثم حذّر الله ذرية آدم فقال: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ ﴾[الأعراف:٢٧] .

وفي قوله تعالى:﴿يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ [الأعراف:٢٧] نُسب النزع الذي هو فعل الله إلى إبليس؛ لأنّ سببه أكل الشجرة وسبب أكلها وسوسته ومقاسمته إياهما إنه لمن الناصحين.

ج ـ أمر الله بأخذ الزينة عند كل مسجد، فقال : ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ﴾[الأعراف:٣١] .

والزينة هي الريش واللباس ، وعقب بعد ذلك بقوله : ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ ﴾[الأعراف:٣٢].

د ـ ثم انظر بعد ذلك كيف قال في عذاب أهل جهنم: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ﴾[الأعراف:٤١].

فأنت ترى أنّ الشيطان نزع عن أبوينا اللباس في الجنة، وهو في هذه الدنيا حريص على أنْ يفتننا لنتعرى من اللباس الظاهر والباطن ، ولا يرضى في الآخرة إلا بأن نتسربل من سرابيل جهنم ، أعاذنا الله وإياكم منها ومن أنْ يكون لنا منها مهاد وغواش . ونسأل الله العافية.

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام ﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾[البقرة:٣١] فى الآية وليس (نبِّئونى) ؟

الجواب:

هذه الظاهرة استعمال (نبّأ) و(أنبأ) مضطردة في القرآن الكريم .

١ـ أنبأ : وردت في أربعة مواضع في القرآن كله، وسنجد أنها جميعاً فيها اختصار زمن، أي: فيها وقت قصير، وليس فيها وقت طويل.

٢ـ أما (نبّأ) فوقتها أطول في الاستعمال، وقد وردت في ستة وأربعين موضعاً.

آ ـ لاحظ ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١] بمفهوم البشر التعليم يحتاج إلى وقت؛ ولذا قال: علّم، ولم يقل: أعلم، والله تعالى أقدر آدم عليه السلام على وضع هذه الأسماء .

و الأسماء كلها، أي: هذا الشيء اسمه كذا ، وهذا المخلوق اسمه كذا، وهكذا، ورب العالمين يمكن أنْ يقول: كن فيكون، لكنْ أرادت الآية أنْ تبيّن أنه لقّنه هذه الأشياء بوقت، كما أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان باستطاعته أنْ يقول: كن فيكون.

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ [البقرة:٣١]؛ وقد تمّ استعمال (عرضهم) لأنّ فيها العاقل وغير العاقل. ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى﴾[البقرة:٣١] ، ولم يقل: ﴿نبّؤني﴾؛

لأن الإجابة لا تحتاج إلى تطويل؛إذ المطلوب هو الاسم فقط؛ هذا بخلاف قوله تعالى: ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٤٣﴾ [الأنعام:١٤٣] . ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ٣٢﴾ [البقرة:٣٢] ؛ فإن ما تعلّموه تعلموه على وقت.

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البقرة:٣٣] آدم يقول: هذا اسمه كذا وانتهى، وهكذا، الإنباء بكل اسم على حدة لا يأخذ وقتاً، ولهذا قال: ﴿أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البقرة:٣٣] ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ٣٣﴾ [البقرة:٣٣] ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البقرة:٣٣] واحداً واحداً، وهذا لا يحتاج إلى وقت.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾[البقرة:٣١] ولم يقل: عرضها ؟

الجواب:

لأنّ فيها العاقل وغير العاقل حيث عُلّمَ آدمُ عليه السلام الأسماء كلها، والله عرض المخلوقات والأشياء من العقلاء وغيرهم فغلّب العقلاء .

وأمّا كيف عرضهم فهذا غيبٌ نؤمن به .

السؤال الثالث:

ما دلالة استعمال ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾[البقرة:٣١] في الآية ؟

الجواب:

هؤلاء : أصلها أولاء، والهاء للتنبيه وهي تستعمل للعقلاء، لكن إذا اجتمع العقلاء وغيرهم يغلّب العقلاء فيُشار إلى المجموع بكلمة (هؤلاء) للقريب وأولئك للبعيد.

السؤال الرابع:

ما خطوط تحديد تأنيث الفعل وتذكيره مع الملائكة في القرآن الكريم ؟

الجواب:

نحوياً : يجوز تأنيث الفعل أو تذكيره؛ لأنه جمع تكسير.

بيانياً : هناك خطوط تحدد تأنيث الفعل وتذكيره مع الملائكة في القرآن الكريم، وهي :

١ـ كل فعل أمر يصدر إلى الملائكة يكون بالتذكير:﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ [البقرة:٣٤] ﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾[البقرة:٣١] ﴿فَقَعُوا۟﴾[الحِجر:٢٩].

٢ـ كل فعل يقع بعد ذكر الملائكة يأتي بالتذكير: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد:٢٣] ـ ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء:١٦٦] ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى:٥].

٣ـ كل وصف اسمي للملائكة يأتي بالتذكير: ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢] ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام:٩٣]﴿مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:١٢٥] ﴿مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩] ـ﴿مُنزَلِينَ﴾[آل عمران:١٢٤] .

٤ـ كل فعل عبادة يأتي بالتذكير : ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الحِجر:٣٠] [ص:٧٣] ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم:٦] ؛ لأنّ المذكر في العبادة أكمل من عبادة الأنثى؛ ولذلك جاء الرسل كلهم رجالاً.

٥ـ كل أمر فيه شدة وقوة حتى لو كان عذابين أحدهما أشد من الآخر فالأشد يأتي بالتذكير، نحو قوله تعالى :

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال:٥٠] فجاءت ﴿يتوفى﴾ بالتذكير؛ لأنّ العذاب أشد﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال:٥٠].

أمّا في قوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ [محمد:٢٧] فجاء الفعل ﴿توفتهم﴾ بالتأنيث؛ لأنّ العذاب أخف من الآية السابقة .

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان:٢٥] بالتذكير، وقوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[فُصِّلَت:٣٠] و ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾[القدْر:٤] بالتأنيث.

٦ـ لم تأتِ بشرى بصيغة التذكير أبداً في القرآن الكريم، فكل بشارة فيه تأتي بصيغة التأنيث كما في قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [آل عمران:٣٩] ـ ﴿قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [آل عمران:٤٥] .

من الناحية النحوية :

إذا كان الفاعل مؤنثاً أنّث فعله بتاء ساكنة في آخر الماضي، وبتاء المضارعة في أول المضارع، نحو : قامت هند، وتقوم هند .

وهذا قد يجب، وقد يجوز .

فيجب تأنيث الفعل :

ـ إذا كان الفاعل ضميراً مستتراً عائداً على مؤنث حقيقي التأنيث، نحو : هند قامت أو هند تقوم

ـ أو مجازيَّ التأنيث، نحو : الشمس طلعت، أو الشمس تطلع .

ـ إذا كان الفاعل اسماً ظاهراً متصلاً بعامله مباشرة، حقيقي التانيث، كقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ [آل عمران:٣٥].

ويجوز تأنيث الفعل في ثلاثة مواضع:

ـ إذا كان الفاعل أو شبهه ﴿نائب الفاعل،اسم الفعل الناسخ﴾ اسماً ظاهراً حقيقي التأنيث منفصلاً عن الفعل، مثل : سعى بين الصفا والمروة المؤمنة، ويجوز : سعت .

ـ إذا كان الفاعل أو شبهه جمع تكسير، نحو : ذبلت الأوراق، ويجوز : ذبل الأوراق .

ـ إذا كان الفاعل أو شبهه اسماً ظاهراً مجازي التأنيث، نحو : اندلعت الحرب، ويجوز: اندلع الحرب .

❊❊❊❊

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

أحياناً تختم الآيات بـ ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وفى آيات أخرى ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ فما الفرق بينهما؟

الجواب:

إذا كان السياق في العلم وما يقتضي العلم يقدّم العلم، وإلا يقدّم الحكمة، وإذا كان الأمر في التشريع أو في الجزاء يقدّم الحكمة.

و حتى تتضح المسألة نقدم هذه الشواهد القرآنية:

في تقديم العلم :

آ- قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة:٣٢] السياق في العلم، فقدّم العلم.

ب - قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء:٢٦] هذا تبيين، معناه هذا علم.

ج - قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف:٦] فيها علم، فقدّم ﴿عليم﴾.

د - قال في المنافقين: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [الأنفال:٧١] هذه أمور قلبية .

هـ- قوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التوبة:١١٠] من الذي يطلع على القلوب؟ الله، فقدّم العليم.

شواهد قرآنية في تقديم الحكمة :

الجزاء حكمة وحُكم ، و من الذي يجازي ويعاقب؟ هو الحاكم،و تقدير الجزاء حكمة .

آـ قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام:١٢٨] هذا جزاء، هذا حاكم يحكم ويقدر الجزاء والحكم، فقدّم الحكمة، وليس بالضرورة أنْ يكون العالم حاكماً، وليس كل عالم حاكماً.

ب ـ قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأنعام:١٣٩] هذا تشريع والتشريع حاكم فمن الذي يشرع ويجازي؟ الله تعالى هو الذي يجازي وهو الذي يشرع .

ج ـ قوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزُّخرُف: ٨٣ - ٨٤] .

ولذلك عندما يكون السياق في العلم يقدّم العلم، وعندما لا يكون السياق في العلم يقدّم الحكمة.

❁❁❁❁

﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما أحرف النداء التي استعملت في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ـ المنادى هو المطلوب إقباله بحرف نداء ظاهر أو مقدر.

٢ـ وحروف النداء في اللغة هي [يا ـ أيا ـ هيا ـ آ ـ أي ـ الهمزة]، ولم يرد في القرآن الكريم سوى الحرف (يا).

٣ـ الحرفان [أيا ، هيا] ليسا إلا [يا] مسبوقة بالهمزة أو الهاء.

السؤال الثاني:

ما دلالة لفظة ﴿كُنتُمْ﴾ [البقرة:٣٣] في آية البقرة ٣٣؟

الجواب:

الآية موضع السؤال: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة:٣٣] جاءت بعد الآية ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠] ولِمَ لمْ يقل في غير القرآن: (يعلم ما تبدون وما تكتمون)؟

١ـ هذا الذي جرى في الملأ الأعلى يليق بذلك الموضع، ولا ندري على وجه التحديد ما المراد بتلك العبارات التي قيلت، وما المراد بهذه الأسماء التي سُئِلَ عنها؛ لأنّ الإشارة كانت بصيغة العقلاء فما الذي عُرِض أمام الملائكة؟ وما الذي سئل عنه الملائكة؟ ما عندنا خبر صحيح عنه، وهو وقع فعلاً، وكان اختباراً للملائكة، وفي الوقت نفسه كان اختباراً لآدم .

٢ـ لمّا طلب الله من الملائكة: ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ [البقرة:٣١] أعلنوا عجزهم وقالوا: ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾ [البقرة:٣٢] أي ما عندنا علم إلا الذي علمتنا إياه .

٣ـ عند ذلك قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ ﴾ [البقرة:٣٣]، هذا الإنباء الذي بُنيَ على التعليم ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١]، والتعليم هنا قد يراد به التلقين؛ حيث إنّ آدم عليه السلام لُقّن؛ أي: حُفِّظ، وهو لديه في دماغه خلايا متخصصة للغة فاستقبلت هذا الذي حُفِّظَ إياه واستطاع أنْ يسترجعها عندما احتاج إليها، فبدأ آدم يتكلم ويخبر بهذه بالأسماء، إذن آدم نجح في الاختبار الذي لم ينجح فيه الملائكة؛ لأنّ الملائكة غير مهيئين للخلافة في الأرض، وأهم ركيزة من ركائز الخلافة في الأرض اللغة.

٤ـ الملائكة عندما قالوا: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ ﴾ [البقرة:٣٠] هذا القول كان فيه شيء من الإحساس أنهم هم أفضل من هذا المخلوق، هذا في داخلهم ولم يصرحوا به .

والملائكة في داخلهم كأنما أحسوا أنهم أميز من هذا المخلوق، ولما أُمروا بالسجود سجدوا طاعة لله.

لكن لأنه سيكون من ذرية هذا المخلوق من يفسد؛ربما يكون قد دخل في نفس بعضهم أنهم أميز منه وأفضل، وهذا الذي أشير إليه في ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ [البقرة:٣٣] أي:

في نفوسكم شيء مكتوم في صدوركم لم تصرحوا به، وما كانوا يعتقدون أنهم كتموه عن رب العزة.

٥ـ وعندما ننظر في الآية نجد حذفا؛ لأنه لمّا قال الله عز وجل: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ﴾ [البقرة:٣٣] دلَّ على شمول علم الله سبحانه وتعالى لكل الجزئيات ولكل دقائق الأمور، وكما يقول العلماء عن علم الله سبحانه: (يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن وما لو كان سيكون، كيف كان يكون) هذه كلمة قديمة لعلمائنا لبيان عظيم علم الله سبحانه وتعالى وشموله وسعته، فعلم الله سبحانه وتعالى شامل.

لذا قال علماؤنا بوجود الحذف في قول الله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة:٣٣]، فالذي يعلم الغيب يعلم الشهادة من باب أولى ؛ أي أن هنالك حذفاً، وتقدير المحذوف: (أعلم غيب السموات والأرض وأعلم شهادتها، وأعلم ما تبدون الآن وفي المستقبل، ويقابله :وما تكتمون الآن وفي المستقبل).

٦ـ هي إذن ثلاث صور:

آ ـ أعلم غيب السموات والأرض، والحذف (وأعلم شهادتها).

ب ـ والثانية: أعلم ما تبدون الآن وفي المستقبل، وما تكتمون الآن وما تكتمون في المستقبل.

ج ـ والثالثة : وما كنتم تكتمون وما كنتم تبدون في الماضي.

٧ـ إذن ﴿كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾ [البقرة:٣٣] أخذت الحيز الثالث من الكتمان في الماضي؛ ولذلك جاءت ﴿كُنتُمۡ﴾ لأنّ تبدون في الحاضر وما كنتم تكتمون في الماضي.

٨ـ فإذن مجيء ﴿كُنتُمۡ﴾ أشارت وأشعرت بهذا الحذف الموجود في المكانين؛ حتى تستكمل صورة معرفة علم الله سبحانه وتعالى.

والله سبحانه وتعالى يعلم غيب السموات والأرض ويعلم شهادتها، ويعلم ما تبدي الملائكة الآن وفي المستقبل وما تكتم الآن وفي المستقبل.

من أين علمنا(تكتم)؟ من ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾ [البقرة:٣٣] وما كنتم تكتمون في الماضي وما كنتم تبدون .

من أين علمنا (ما كنتم تبدون)؟ من وما تبدون الآن، كل واحدة صار فيها هذا الحذف.

فإذن مجيء ﴿كُنتُمۡ﴾ هو الذي أرشد إلى هذا الفهم العام الشامل الذي فهمه علماؤنا و فهمه العربي أيضاً.

٩ـ هذا التفصيل مراد؛ لأنهم أبدوا شيئاً وكتموا شيئاً، والكلام عن غيب السموات والأرض كلام عام، لكنّ الملائكة بخصوصيتهم أبدوا شيئاً ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة:٣٠] هذا أبدوه وبعضهم - كما قال علماؤنا - كتم شيئاً في نفسه ما صرّح به: وهو أنّ هذا المخلوق الذي سيفسد نحن أكرم منه؛ لأننا نحن لا نفسد ، والآيات لم تفصح، لكن ما معنى ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ [البقرة:٣٠] في مقابل ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة:٣٠] ؟

الملائكة لا ينكرون ولا يعترضون؛ لأنه معلوم من صفتهم عدم الاعتراض فهو شيء حاك في نفوسهم وأظهره بعضهم في العبارة، فلا بدّ من الجمع بين الآيات والفهم في ضوء نسق الآيات، ونحن لا نتألّى على الله أوعلى العبارة القرآنية، لكنّ هذا الذي يُفهم.

الملائكة قالوا كلاماً، وهذا الكلام لا يمكن أنْ يدخل في إطار الاعتراض على موقف أو حكم الله سبحانه وتعالى؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وليست لديهم القدرة على المحاجة والمناقشة، وهذه قدرة الإنسان خلقه الله تعالى على هذا، أمّا هم فلا يناقشون ولا يحاجون ، وإذا ما نظرنا في العبارة فهمنا ما ذكره علماؤنا. والله أعلم .

❁❁❁❁

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

هل كان إبليس مأموراً بالسجود لآدم؟

الجواب:

نعم أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم أمراً عامّاً ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة:٣٤] وأمر إبليس بالسجود أمراً خاصاً ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٢] .

السؤال الثاني:

لماذا جاء ذكر إبليس مع الملائكة عندما أمرهم الله تعالى بالسجود لآدم، مع العلم أنّ إبليس ليس من جنس الملائكة؟

الجواب:

الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم في آية سورة البقرة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤]، وأمر إبليس على وجه الخصوص في آية سورة الأعراف: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف:١٢] ، فليس بالضرورة أنْ الله تعالى أمر إبليس بالسجود مع الملائكة، لكنه تعالى أمر الملائكة بالسجود كما في آية سورة البقرة، وأمر إبليس وحده بالسجود لآدم أمراً خاصاً به في آية أخرى.

السؤال الثالث:

لماذا استخدمت كلمة (إبليس)مع آدم ولم تستخدم كلمة (الشيطان)؟

الجواب:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤] وفي سورة الأعراف ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف:١١] إبليس هو أبو الشياطين، كما إنّ آدم أبو البشر، وبداية الصراع كان بين أبي البشر وأبي الشياطين ، والشيطان يُطلق على كل من كان كافراً من الجن، أي: على الفرد الكافر من الجنّ.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين إبليس والشيطان في القرآن الكريم ؟

الجواب:

ورد ذكر إبليس في القرآن في ١١ آية، بينما ورد ذكر الشيطان في ٦٨ آية، وقد يظن كثير من الناس أنهما بمعنى واحد وأنهما لمخلوق واحد، وليس الأمر كذلك .

إبليس:

علَمٌ على مخلوق خلقه الله تعالى من النار، وقيل: كان اسمه عزازيل، وجعله الله في عداد الملائكة وقام بعمله ما شاء الله أنْ يقوم، ثم نازع ربه الكبرياء والعظمة فاستكبر عن طاعته وعصى ربه فطرده الله من رحمته ومن وظيفته، وأُهبط إلى الأرض يتهدد ويتوعد بإغواء بني آدم، وسيظل كذلك إلى أن تقوم الساعة.

ولغوياً الكلمة مشتقة من : أبلس الرجل إذا انقطع ولم تكن له حجة ، وأُبلس، أي: سكت ، وأُبلس من رحمة الله، أي: يئس منها وندم ، وقالوا: ناقة مِبلاسٌ، أي: لا ترغو من الخوف ، والإبلاس: هو السكوت من شدة الخوف والغم.

انظر قصة إبليس في القرآن في آيات سورة ص [٧٥ ـ ٨٣]، وكذلك في طه [١١٦] وفي الكهف [٥٠] .

أمّا استخدام القرآن للمعاني اللغوية لكلمة (إبليس) فانظر الآيات : الروم [١٢] الأنعام [٤٤] وغيرها.

الشيطان :

هذه الكلمة هي صفة قد يتصف بها إبليس، وقد يتصف بها غيره من الجن والإنس، ويظهر ذلك في تصرفاتهم وأفكارهم ومكائدهم وأخلاقهم.

وقيل: إنّ كلمة (شيطان) مشتقة من (شَطَنَ) بمعنى بَعُد عن الحق، أي: إنّ عمل الشيطان هو إبعاد الناس عن الحق والخير، أو من الفعل (شاط) بمعنى احترق من الغضب ، وتشيطن الرجل: إذا صار كالشيطان في فعله .

لذلك فكلمة (إبليس) هي الاسم العلم لهذا المخلوق، وإنّ كلمة (الشيطان) هي صفة له ولغيره.

وقد وصف الله تعالى بها إبليس حتى التصقت به فصار الناس يظنون أنها خاصة به، ولكنّ آيات القرآن بينت أنّ إبليس غير الشيطان، كما في آيات سورة البقرة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة:٣٤-٣٥-٣٦] .

ولاحظ جملة ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة:٣٦] ليتبين كيده وتزيينه ووسوسته.

وانظر إلى الآية في سورة طه ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه:١٢٠] فإبليس هو الوسواس وهو الشيطان، ولكنه ليس وحده في هذه الدنيا ، فكما أنّ إبليس وذريته من كفرة الجن وهم شياطين الجن ومردته، فإنّ هنالك أيضاً شياطين من الإنس لا يقلون عنهم خبثاً وكفراً وفساداً.

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام:١١٢].

وقال: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [البقرة:١٤].

اللهم إنا نعوذ بك من همزات الشياطين ونعوذ بك ربنا أنْ يحضرون . اللهم آمين.

❊❊❊❊

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما العبرة من هذه الشجرة المنهي عنها في الآية ؟

الجواب:

العبرة الأساسية من هذه الشجرة: إياك أنْ تقترب من الشيء المنهي عنه من الله سبحانه، وهي مثل الشهوة في حياتنا و(من حام حول الحمى يوشك أنْ يقع فيه) حتى لو كنت من الصالحين . والله أعلم.

السؤال الثاني:

نهى الله سبحانه آدم وزوجه عن الاقتراب من الشجرة، فأكلا منها ووقعا في النهي، فلِمَ قال تعالى :﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ [البقرة:٣٥] ولم يقل: و(لا تأكلا)؟

الجواب:

نهى الله تعالى آدم عن القرب من الشجرة؛ حتى لا تضعف نفسه عند مشاهدة ثمارها فتتوق نفسه للأكل من ثمرها، ولو نهي عن الأكل لاقترب منها وعندها سيقاوم نفسه التي تريد تناول ثمارها، وأما إذا ابتعد عنها فلن تتوق نفسه إلى ثمار لم يرها.

السؤال الثالث:

خاطب تعالى آدم وحده، ومرة خاطب آدم وحواء، فهل كان الخطاب مرة واحدة بصيغ متعددة ؟ وكيف نفهم الصيغ المتعددة في الخطاب؟

الجواب:

من الذي قال :إنّ الخطاب مرة واحدة؟ ربنا قال في القرآن: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥] ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه:١١٧] هذا الخطاب غير ذاك الخطاب. ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [طه:١٢٣] ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة:٣٨].

ولمّا قال: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الأعراف:١٩] هذا غير ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢] وهذا في وقت آخر.

السؤال الرابع:

ما اللمسة البيانية في استخدام كلمة ﴿وَزَوْجُكَ﴾ [الأعراف:١٩] بدل زوجتك في قوله تعالى ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الأعراف:١٩] ؟

الجواب:

لغوياً الأصل هو كلمة (زوج)، وفي اللغة الضعيفة تستعمل زوجة، ففي اللغة يقال: المرأة زوج الرجل، والرجل زوج المرأة. أمّا استخدام كلمة (زوجة) فهي لغة ضعيفة رديئة؛ فالأولى والأصح أنْ تستخدم كلمة (زوج)، ولذا استخدمها القرآن الكريم في الآية.

السؤال الخامس:

ما الفرق بين الزوج والبعل ؟

الجواب:

البعل هو الذكر من الزوجين، ويقال: زوج للأنثى والذكر، وفي الأصل (البعل) في اللغة من الاستعلاء و يعني: السيد القائم المالك الرئيس ، وهي عامة.

وبعلُ المرأة: سيّدها، وسُمِّيَ كلُّ مستعل على غيره بعلاً ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الصافات:١٢٥]؛ لأنهم يعتبرونه سيدهم المستعلي عليهم، والأرض المستعلية التي هي أعلى من غيرها تسمى بعلاً، والبعولة هي العلو والاستعلاء، ومنها أُخِذ (البعل) زوج المرأة؛ لأنه سيدها ويصرف عليها والقائم عليها.

الزوج هو للمواكبة؛ ولذلك تطلق على الرجل والمرأة ، هي زوجه وهو زوجها ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾[البقرة:٣٥] .

كما أنّ الزوج يأتي من المماثلة سواء كانت النساء وغير النساء ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الصافات:٢٢] أي: أمثالهم ونظراءهم ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ

﴿أَزۡوَٰجٌ ۝٥٨﴾ [ص:٥٨] أي: ما يماثله، و(البعل) لا يقال للمرأة، وإنما يقال لها (زوج) ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾[النور:٣١] حيث يُنظر به الشخص ولا ينظر به المماثلة .

ولذلك هم يقولون: أنه لا يقال في القرآن (زوجه) إلا إذا كانت مماثلة له، قال: ﴿ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ [التحريم:١١] لم يقل زوج فرعون؛ لأنها ليست مماثلة له، امرأة لوط وامرأة نوح؛ لأنها مخالفة له، هو مسلم وهي كافرة، فلم يقل (زوج)، وإنما ذكر الجنس ﴿ٱمۡرَأَةَ﴾ ولو قال: (زوج) يكون فيها مماثلة .

و لمّا كانت المسألة مع سيدنا إبراهيم عليه السلام تتعلق بالإنجاب قال: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ﴾[هود:٧١] لأنه هنا يراد به الجنس وليس المماثلة .

إذن (الزوج) للماثلة، والمرأة للجنس الرجل كرجل والمرأة كامرأة، وقوله تعالى ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾[الأحزاب:٦] فيهن مماثلة؛ لأنهن على طريقه وهنّ جميعاً مؤمنات؛ وأزواجه في الدنيا أزواجه في الآخرة.

السؤال السادس:

أشار القرآن إلى الشجرة التي أكل منها آدم: هذه الشجرة وتلكما الشجرة، فأين كانت الشجرة التي أشار إليها الخالق؟

الجواب:

١ـ كلمة (الشجرة) وردت في القرآن في ثلاث آيات في شجرة الجنة التي أكل منها آدم، وقد وردت الشجرة في تحذيرهما منها ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

[البقرة:٣٥] فهي قريبة منهما حتى يتعرفاها، حتى لا يقول آدم وحواء إنه اختلطت عليهما بغيرها، فاستعمل ﴿هَٰذِهِ﴾ .

٢ـ لّما جاء إبليس لغوايتهما قرّبهما منها إلى أنْ أوصلهما إليها ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف:٢٠] فإذن هما قريبان، واستعمل هنا أيضاً ﴿هَٰذِهِ﴾ .

٣ـ لكن لّما ذاقا الشجرة وبدت لهم سوءاتهما وأحسّا بها ارتكباه، والإنسان عندما يرتكب جرماً يهرب منه فابتعدا عنها، فقال تعالى:﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾[الأعراف:٢٢] فاستعمل ﴿تِلْكُمَا﴾؛ لبعدهما أولاً؛ ثم للتهويل من شأنها.

السؤال السابع:

ما سبب تقديم وتأخير كلمة ﴿رَغَدًا﴾[البقرة:٣٥] في آيتي سورة البقرة: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[البقرة:٣٥] ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾[البقرة:٥٨] ؟

الجواب:

١ـ العيش الرغد أو الأكل الرغد هو الهنيء الذي لا جهد معه. الآية الأولى الكلام مع آدم عليه السلام بالترخيص بسكن الجنة أولاً ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥] ثم بالأكل من الجنة ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ [البقرة:٣٥] ثم بمطلق المكان ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[البقرة:٣٥] .

٢ـ في الآية (٣٥) قدَّم ﴿رَغَدًا﴾ على مشيئة الأكل، بينما أخّر ﴿رَغَدًا﴾ على مشيئة الأكل في الآية (٥٨)؛ والسبب أنّ الآية الأولى في الجنة وكلها رغد؛ لذلك قدّمها، أمّا الآية الثانية فهي في الدنيا، والرغد فيها قليل فلذلك أخّرها .

ولو وضعهما موضعاً واحداً لكان المعنى أنهما متساويان في الرغد، وهذا بعيد؛ فليس من المعقول أنْ تتساوى الجنة والدنيا في الرغد .

السؤال الثامن:

ما التوجيه الإعرابي لكلمة ﴿رَغَدًا﴾[البقرة:٣٥] ؟

الجواب:

عندنا توجيهان من حيث الإعراب:

آ ـ بعض النحويين ابتكر مصطلح (نائب مفعول المطلق)؛ لأنّ أصل العبارة: وكلا منها أكلاً رغداً، أكلاً : مفعول مطلق، ورغداً: صفة للمفعول المطلق، فلما حُذِف المفعول المطلق وبقيت صفته قال : هذه نائب عن المفعول المطلق.

ب ـ ومنهم من قال: لا، هي صفة لموصوف محذوف، والموصوف مفعول مطلق. تستطيع أن تقول: هي صفة لمفعول مطلق محذوف، كأنك تبين أن غايتها وهدفها أنها تصف شيئاً أو تقول : إنها نائب لمفعول مطلق.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ﴾[البقرة:٣٦] ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ﴾ [البقرة:٣٧] ذكر (فأزلهما) (فأخرجهما) بالمثنى، ثم ذكر آدم عند التلقي بالمفرد دون حواء؛ فما دلالة هذا الاختلاف؟

الجواب:

هو نبيٌّ، والنبي هو الذي أُنزل عليه وليس زوجه، فهو النبي الذي يتلقى وليس زوجه، والتبليغ أصلاً كان لآدم: (يا آدم اسكن أنت وزوجك)، (وعلّم آدم الأسماء)، (اسجدوا لآدم)، الكلام كان مع آدم والسياق هكذا، فقال: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة:٣٧]، وهذا ليس تحقيراً لحواء.

وكذلك في آيات سورة طه ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه:١١٥] فلم يذكر حواء، و﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه:١١٧] لم يذكر حواء، و﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه:١٢١] لم يذكر حواء، السياق هكذا.

فتلقى آدم؛ لأنّ آدم هو المنوط به التواصل مع الله سبحانه وتعالى بالوحي.

السؤال الثاني:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة:٣٧] قرأها ابن عباس ﴿فتلقّى آدَمَ﴾ [البقرة:٣٧] فما وجه الاختلاف؟

الجواب:

هذه القراءة بالنصب: ﴿فَتَلَقَّى آدَمَ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٌ﴾ [البقرة:٣٧] الكلمات فاعل. هذه القراءة التي هي بالنصب فيها تكريم لآدم؛ إذ تلقته الكلمات كما يُتلقى الساقط إلى الأرض لئلا يهلك، تلقته الكلمات ليتوب. لم يقل: (فتلقت آدم من ربه كلمات)؛ لأن ﴿كَلِمَٰتٍ﴾ مؤنث مجازي، والمؤنث المجازي يجوز فيه التذكير والتأنيث.

ثم الأمر الآخر: هناك فاصل بين الفعل والفاعل؛ لأنّ وجود الفاصل يحسّن التذكير، حتى لو لم يكن الفاعل مؤنثاً مجازياً، أوحتى لو كان مؤنثاً حقيقياً، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ [الممتحنة:١٢] ما قال: إذا جاءتك، فكيف إذا كان المؤنث مجازياً ؟!!!! فقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمَ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٌ﴾ [البقرة:٣٧] تلقته الكلمات؛ لأنّ آدم سقط، ولأنّ المعصية سقوط فتلقته الكلمات لئلا يهلِك، ومسألة تقديم وتأخير المفعول به على الفاعل مسألة جائزة طالما أمن اللبس.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين استخدام الجمع والمثنى في الآيات ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة:٣٦] و ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه:١٢٣] ؟

الجواب:

الذي يوضح قراءة الآيات، في البقرة كان الخطاب لآدم وزوجه ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: ٣٥ - ٣٦].

أما في طه فالخطاب لآدم ﴿لَا تَظْمَؤُا۟﴾ [طه:١١٩]، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ﴾ [طه:١٢٠]، ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه:١١٧]، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه:١٢١].

فكان الكلام في طه ﴿ٱهْبِطَا﴾ [طه:١٢٣] لآدم وإبليس وحواء تابعة لآدم ، و ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ [البقرة:٣٦] في البقرة أي آدم وحواء وإبليس.

❁❁❁❁

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾

السؤال الأول:

أين جواب الشرط في هذه الآية؟

الجواب:

فإما يأتينكم : هي (إنْ وما) جمعتا معاً ، إنْ شرطية وما الزائدة بين أداة الشرط وفعل الشرط ، وجملة ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ هي جواب إنّ ، والفاء رابطة لجواب إنّ وجملة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة:٣٨] فهي جواب لـ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ [البقرة:٣٨] . أي :

من : اسم شرط في محل رفع مبتدأ.

تبع : فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو .

هداي : مفعول به ، والضمير مضاف إليه .

فلا : الفاء رابطة ، و(لا) حرف نفي .

خوف : مبتدأ مرفوع .

عليهم : جار ومجرور ، وشبه الجملة في محل رفع خبر ، والجملة في محل جزم جواب الشرط، والشرط وجوابه في محل رفع خبر المبتدأ "من".

السؤال الثاني:

قال في البقرة: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ [البقرة:٣٨] وقال في طه: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ [طه:١٢٣] فما الفرق ؟

الجواب:

يحتمل - والله أعلم - أنّ فعل (تبع) لا يلزم منه مخالفة الفعل قبله ، بينما الفعل (اتبع) على وزن (افتعل) يشعر بتجديد الفعل .

وقصة آدم عليه السلام لبيان فعله فجيء بـ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾[البقرة:٣٨]، وأمّا في طه فقد جاء بعد قوله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه:١١٥] و ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه:١٢١] فناسب ﴿ٱتَّبَعَ﴾[طه:١٢٣] أي: جدد قصد الاتباع .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الآيات في هذه الآية ؟

الجواب:

الآيات جمع آية، وهي الشيء الذي يدل على أمر من شأنه أنْ يخفى، ولذلك قيل لأعلام الطريق آيات؛ لأنها وضعت لإرشاد الناس إلى الطرق الخفية في الرمال، وسميت جُمَل القرآن آيات؛ لأنها ترشد الضالّ في متاهة الحياة إلى طريق الخير والفلاح.

****

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

أغلب السور يضرب المثل بقصة موسى؛ فما دلالة هذا؟ وما اللمسة البيانية في تكرار قصة موسى؟

الجواب:

ليست قصة موسى عليه السلام هي القصة الوحيدة التي تتكرر في القرآن، لكن قصة موسى فيها تفاصيل كثيرة ، وأطيل فيها وذُكرت أكثر من القصص الأخرى؛ لأنّ تلك الأقوام بادت وهلكت ولم يبق منها أحد، أمّا بنو إسرائيل فباقون في زمن الرسول ﷺ ومستمرون إلى الآن ، وكان لهم مع الرسول ﷺ حوادث ومواقف وعداء، وهم إلى

الآن مستمرون على مواقفهم إلى ما قبل يوم القيامة، فإذن التكرار له دلالته؛ لأنهم سيبقون معكم إلى ما شاء الله وهم يحاربونكم ويفعلون ويمكرون، فذكر أفعالهم مع موسى وكيف آذوه، و لقد أوذي موسى عليه السلام كثيراً فصبر، وفي الحديث «**رحم الله أخي موسى، لقد أوذي أكثر من هذا فصبر**».

وذكر القرآن كثيراً من أحوالهم وأفعالهم، فلا نعجب أنْ يفعلوا مثل هذه الأشياء أو أكثر معنا حتى نتعظ ونعرف كيف كانوا يفعلون .

والقوم لا يزالون، وليس كبقية الأقوام الذين انقرضوا مثل قوم عاد وصالح ولوط؛ لأنّ اليهود بقوا وبقي كتابهم المحرف معهم وبقي لهم مواقف، وسيبقى لهم مواقف ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الإسراء:١٠٤]؛ ولذلك كان ذكرهم واستمرارهم باستمرار بقائهم ووجودهم.

السؤال الثاني:

هذه أول قصة تأتي بعد قصة خلق آدم عليه السلام؛ فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

بعد أنْ قصّ الله علينا قصة خلق آدم، وموقف آدم منه وتجربته مع الشيطان في إحدى الجنات ثم نزوله إلى الأرض مسلحاً بمنهج الله ومحمياً بالتوبة بدأت مهمة آدم على الأرض.

بعد تلك القصة أراد الله سبحانه أنْ يعرض علينا موكب الرسالات وكيف استقبل بنو آدم منهج الله بالكفر والعصيان، فاختار جلّ جلاله قصة بني إسرائيل؛ لأنها أكثر القصص التي تتضمن معجزات ، وأنبياء بني إسرائيل من أكثر الأنبياء الذين

أُرسلوا لأمة واحدة، وليس معنى هذا أنهم مفضّلون، ولكن لأنهم كانوا أكثر الأمم عصياناً وآثاماً فكانوا أكثرها أنبياءً.

كانوا كلما خرجوا من معجزة انحرفوا، فتأتيهم معجزة أخرى فينحرفون ، وهكذا حَكَمَ الله عليهم لظلمهم أنْ يتفرقوا في الأرض ثم يتجمعوا مرة أخرى في مكان واحد ليذوقوا العذاب والنكال على معاصيهم وكفرهم.

ولذلك أخذت قصة بني إسرائيل ذلك الحجم الضخم في كتاب الله وفي تثبيت رسول الله ﷺ، أضف إلى ذلك أن موسى عليه السلام كان من أولي العزم من الرسل.

السؤال الثالث:

ما معنى ﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ في الآية ؟

الجواب:

إسرائيل مأخوذة من كلمتين (إسر) و (إيل)، والأولى في العبرية معناها: عبد مختار مصطفى، والثانية معناها: الله، فيكون معنى الكلمة (صفوة الله)، والاصطفاء هنا ليعقوب وليس لذريته، وقد ابتُلي يعقوب ابتلاء كثيراً استحق به أنْ يكون صفياً لله .

وإسرائيل هو يعقوب ابن إسحاق، وإسحاق بن إبراهيم، وإبراهيم أنجب إسحاق وإسماعيل، ورسولنا ﷺ من ذرية إسماعيل.

والله سبحانه عندما يخاطب بني إسرائيل يقول: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٤٠] ولكنّ الله سبحانه حين يخاطب المسلمين لا يقول لهم: اذكروا نعمة

الله، وإنما يقول: ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾؛ لأنّ بني إسرائيل ماديون ودنيويون ، فكأنّ الله يقول لهم: ما دمتم ماديين ودنيويين فاذكروا نعمة الله المادية عليكم .

ولكننا – نحن المسلمين – أمة غير مادية، والماديون يحبون النعمة، وغير الماديين يحبون المنعم ويعيشون في معيّته.

السؤال الرابع:

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة:٤٠] اختار تعالى لفظ العهد لليهود ولم يقل: ﴿أوفوا وعدكم﴾ فهل لهذا من بُعدٍ آخر؟

الجواب:

هذا من لطائف القرآن خاطبهم الله تعالى باسم التوراة المعروف عندهم، أليست التوراة تسمى عندهم العهد؟ !!!

لذلك الكلمة مزدوجة الدلالة لأمرين: لأنها تأمرهم بالتزام أوامر الله وتأمرهم بالتزام وصايا الله تعالى المبثوثة في طيّات العهد القديم والتي فيها الإيمان بمحمد ﷺ .

❋❋❋❋

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الباء في قوله تعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾؟

الجواب:

عندما تشتري أمراً ما من السوق تقول: اشتريت هذا بمئة درهم، فانظر إلى الباء في ﴿بمئة﴾ دخلت على ثمن السعر، وتكون الباء مع الذاهب، وهنا ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾ [البقرة:٤١] أي: الآيات ذهبت .

وفي الآية ﴿تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي﴾ [البقرة:٤١] دخلت الباء على آياتي، لتعلمنا أنّ اليهود جعلوا آيات الله تعالى كدراهم واشتروا بها عرضاً من أعراض الدنيا لا قيمة له؛ لذلك جاء وصفه بـ﴿قَلِيلٗا﴾ [البقرة:٤١] لأنهم بذلوا أنفس شيء واشتروا به حظاً قليلاً.

السؤال الثاني:

لماذا جاءت ثمناً قليلاً، مع أنها وردت في القرآن ﴿ثمناً﴾ وحدها ؟

الجواب:

الثمن هو العوض، والبخس دون قدر الشيء، أي: لا يناسب قدره.

الثمن القليل جاء حيثما ورد في الكلام عن حق الله سبحانه وتعالى، ومعنى ذلك أنّ العدوان على حق الله سبحانه وتعالى مهما بلغ فهو ثمن قليل.

وعندما يكون الكلام عن الآيات ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١﴾ [البقرة:٤١] فأي ثمن يناسب آيات الله عز وجل؟ لا شيء، ومهما كان الثمن فهو قليل. ولا يفهم من قوله تعالى (ثمنا قليلا) أنه يمكن أنْ يشتروا بآياته ثمناً كثيراً ، كلا ، وإنما هو بيان بأنّ هذا الثمن الذي أخذتموه لا يقابل آيات الله، وهو قليل في حق الله سبحانه وتعالى، وكل ثمن يؤخذ مقابل ذلك فهو قليل مهما عظُم .

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ [البقرة: ١٧٤] أي أنّ هذا الذي اشتريتموه هو قليل وإنْ كان في نظركم كبيراً، وعندما يبيع الإنسان دينه بدنياه، يقول القرآن له: هذا الذي بعت به هو قليل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ [البقرة: ١٧٤]؛ لأنهم أكلوا ثمن شرائهم مقابل آيات الله سبحانه وتعالى، فسماه قليلاً مهما كان نوعه.

في القرآن الكريم وفي تسع آيات منه وصف الثمن بأنه قليل تحقيراً لشأنه وتهويناً من قدره، وفي هذه الآيات التسع يتحدث القرآن الكريم عن الشراء بثمن قليل، وهو: إمّا أنْ ينهاهم عن ذلك أو يثبته لهم بأنهم فعلوا ذلك وما قبضوه قليل.

أمّا في قضية الوصية والشهادة فى سورة المائدة فتركه مجملاً ﴿ثَمَنٗا﴾ ليشمل كل الأشياء المادية والمعنوية وحتى لا يكون هناك نوع من التحايل.

ألا يمكن أنْ يتعاور الوصف بالبخس والقليل بعضهما مع بعض؟ يمكن إذا أُريد بالبخس ما هو ليس من قدر الشيء الذي بيع، و هذا لا يستقيم مع آيات الله؛ لأنه ليس هناك شيء بقدر الآيات لذلك لا يستقيم إلا القلّة.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين القيمة والثمن ؟

الجواب:

١ـ القيمة هي المساوية لمقدار المثمّن من غير نقصان ولا زيادة .

٢ـ الثمن قد يكون كذلك أو زائداً ، والمُلْكُ لا يدل على الثمن، فكل ما له ثمن مملوك وليس كل مملوك له ثمن، قال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة:٤١] .

وقال في سورة يوسف: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ [يوسف:٢٠] فأدخل الباء في الثمن، قال الفراء : هذا لأنّ العروض كلها أنت مخير في إدخال الباء فيها، إنْ شئت قلت : اشتريت بالثوب كساء، وإنْ شئت قلت : اشتريت بالكساء ثوباً ، أيهما جعلته ثمناً لصاحبه جاز، فإذا جئت إلى الدراهم والدنانير وضعت الباء في الثمن؛ لأنّ الدراهم أبداً ثمن.

السؤال الرابع:

إلى من يرجع الضمير ﴿بِهِۦ﴾ في الآية ؟

الجواب:

الضمير (به) راجع إلى ﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة:٤١] ؛ لأنهم كانوا يعلمون من كتابهم صفة الرسول ﷺ وهم أول يهود خوطبوا بالإسلام ، وأول كافر به من أهل الكتاب .

❁❁❁❁

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا يأتي الخطاب في الحديث عن الصلاة والزكاة في القرآن للمؤمنين، أمّا في الحج فيكون الخطاب للناس ؟

الجواب:

الصلاة والزكاة كان مأمورا بهما من تقدّم من أهل الديانات، كما جاء في قوله تعالى عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم:٥٤-٥٥] وكذلك في قوله تعالى عن عيسى عليه السلام ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم:٣١] وفي الحديث عن بني إسرائيل ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة:٤٣].

أمّا الحج فهو عبادة خاصة للمسلمين، وعندما يكون الخطاب دعوة للناس إلى الحج فكأنها هي دعوة لدخول الناس في الإسلام، أمّا إذا كانت دعوة الناس للصلاة والزكاة فهم أصلاً يفعلونها في عباداتهم. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الخشوع والخضوع ؟

الجواب:

الخضوع قد يكون تكلفاً عن نفاق أو خوف أو تقية، والعرب تقول: خشع قلبه، ولا تقول: خضع إلا تجوزاً.

وأمّا الخشوع فهو من أفعال القلوب، ويكون عن انفعال صادق بجلال من نخشع له وهو الله تعالى، انظر آيات: الإسراء [١٠٩] البقرة [٤٥] الأنبياء [٩٠] آل عمران [١٩٩] الحديد [١٦] الغاشية [٢].

السؤال الثاني:

ما سبب اختلاف الفاصلة فى الآيتين ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة:٤٥] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣] ؟

الجواب:

آ ـ في الآية الأولى تقدم ذكر الصلاة والمطالبة بها، حيث قال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة:٤٣] إذن ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾[البقرة:٤٥] .

ب ـ في الآية الثانية ختمها بالصبر؛ لأنّ السياق في الصبر، فبعد أنْ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة:١٥٣] قال: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ البقرة:١٥٤-١٥٥-١٥٦] فالسياق مع الصبر، فختمها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة:١٥٣]، أمّا في الآية الأولى فالسياق في الصلاة فقال: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾[البقرة:٤٥] .

السؤال الثالث:

ما دلالة ورود الأمر بالصلاة بين آيات خطاب بني إسرائيل أو آيات الجهاد أو آيات الطلاق في سورة البقرة ؟

الجواب:

وردت آيات الحث على الصلاة في سورة البقرة ثلاث مرات :

آ ـ الآية ٤٥ بين آيات خطاب بني إسرائيل .

ب ـ الآية ١٥٣ بين آيات تبديل القبلة والجهاد.

ج ـ الآية ٢٣٨ بين آيات الأحوال الشخصية بين آيتي (٢٣٧: ٢٤٠).

فلماذا ؟

الحق سبحانه أراد أنْ ينبهنا إلى وحدة التكاليف الإيمانية، وحيث إنّ آيات الأحوال الشخصية هي إمّا في شقاق اختياري بالطلاق، وإما افتراق قدري بالوفاة، فإن الله تعالى أراد أنْ يُدخل الإنسان في العملية التعبدية التي تصله بالله الذي شرّع الطلاق والصلاة وقدَّر الوفاة.

واختيار الصلاة دون سائر العبادات له معنى واحد، وهو أنه لن تقوم للإنسان علاقة بالله تعالى إلا عن طريق الصلاة؛ لأنّ:

١ـ الصلاة تعلم الانضباط، ومنها يتعلم الانضباط في حياته الزوجية.

٢ـ أمر الله بالمحافظة على الصلاة، والذي يحافظ عليها يحافظ على زوجته وعلى الوقت ، ولا تشغله المشكلات العائلية فيتهاون في أداء الصلاة.

٣ـ الصلاة بركة تملأ المكان والجسد، والله يريد للزوجين أنْ تعمهما بركة الصلاة.

٤ـ الصلاة صلة بين العبد وربه، وعقدة الزواج علاقة بين الله تعالى والزوج والزوجة.

٥ـ الصلاة فيها خشوع، والله لا يريد الزوج أنْ يتكبر على زوجته.

٦ـ الصلاة فيها خضوع لله، والله يريد من الزوجة أنْ تخضع لزوجها بالحق.

٧ـ الصلاة فيها استغفار، والله يريد لكل من الزوجين أنْ يغفر للآخر.

٨ـ المشكلات بين الزوجين قد تؤدي إلى أنْ يحيف أحدهما على الآخر، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ فأمرهم الله بالصلاة ليرتدعوا؛ ولئلا يبغي بعضهم على بعض.

فالصلاة هي عمود الدين وفيها كل شيء، وحياة زوجية بلا صلاة لا خير فيها، والذي لا يصلي لا يؤتمن على زوجته وعائلته وأولاده، إضافة إلى وضعه الخطر في الدين بين الكفر لجاحدها وبين الفسق للمتكاسل عنها، وبين العقاب للساهي عنها ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)﴾ [الماعون:٤-٥] .

فترك الصلاة عاقبته وخيمة وأمره خطير جداً، والرسول ﷺ لن يشفع يوم القيامة لتارك الصلاة وإنما سيشفع لمن استحق الشفاعة . اللهم اجعلنا منهم اللهم آمين.

❁❁❁❁

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ [البقرة:٤٦] في الآية ؟

الجواب:

عندما يجزم شخص بأمرٍ وهو ليس له وجود فهذا هو الجهل، والجاهل شر من الأمي؛ لأنّ الأمي لا يعلم، ومتى علم فإنه يؤمن .

فإذا كانت القضية غير مجزوم بها ومتساوية في النفي والوجود، فإنّ ذلك يكون شكاً، فإنْ رجحت إحدى الكفتين على الأخرى يكون ذلك ظناً .

والله سبحانه يقول في الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ [البقرة:٤٦] ولم يقل: الذين تيقنوا أنهم ملاقوا ربهم ، فلماذا؟

الجواب: إن مجرد الظن أنك ملاقٍ الله سبحانه وتعالى كافٍ أنْ يجعلك تلتزم بالمنهج، فما بالك إذا كنت متيقناً !!.

ومثال ذلك: هب أنك سائر في طريق وجاء شخص يخبرك أنّ هذا الطريق فيه لصوص، فمجرد هذا الكلام يجعلك لا تمشي في هذا الطريق إلا إذا كنت مسلحاً أو معك أشخاص آخرون ، فأنت تفعل ذلك للاحتياط ، إذن فمجرد الظن دفعنا للاحتياط .

وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة:٤٦] فمجرد رجحان القضية يكفي لاتباع منهج الله، فتقي نفسك من عذاب عظيم .

يقول الشاعر المعري في آخر حياته:

زعم المنجّم والطبيب كلاهمـــا ... لا تحشر الأجساد قلت إليكما

إنْ صح قولكما فلست بخاســر ... أو صح قولي فالخسار عليكما

ثم يقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة:٤٦] فالرجوع إلى الله تعالى أمر يقيني، فما دمت قد جئت للدنيا مخلوقاً من الله، فأنت لا محالة سترجع إليه ، وهذا اليوم يجب أنْ نحتاط له حيطة كبرى لأنه يوم عظيم؛ قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [المزمل:١٧] .

إذا كان هذا حالنا يوم القيامة فكيف لا يكفي مجرد الظن لأنْ نتمسك بمنهج الله تعالى ونحن نحتاط لأمور دنيوية لا تساوي شيئاً بالنسبة لأهوال يوم القيامة .

إنّ مجرد الظن هنا بأننا سنلاقي الله تعالى يكفي لأنْ نعمل له ألف حساب.

❀❀❀❀

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تفضيل بني إسرائيل في الآية ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة:٤٧] هؤلاء أتباع موسى عليه السلام في زمانه قبل مجيء عيسى عليه السلام ، وأتباع كل نبي مفضّلون على العالمين في زمانهم قبل أنْ يأتي النبي الآخِر محمد ﷺ، وليس معنى العالمين كل الأمم إلى قيام الساعة .

ولذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة:٤٧] يعني على عالمي زمانكم؛ وذلك لأنّ الشخص الذي سيوجد بعدهم ليس بموجود ولم يدخل بعد في العالمين،

فمثلا سيدنا محمد ﷺ وهو أفضل الخلق على الإطلاق لم يكن موجوداً في ذلك الوقت، ولو كان موجوداً لَفَضَلَهم بالتأكيد.

٢ـ لاشك أنّ المقصود منهم هم المؤمنون؛ لأنّ عصاتهم مسخوا قردة وخنازير.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين النِّعمة والنَّعمة في القرآن ؟

الجواب:

آ ـ النِّعمة : - بكسر النون- هي المنة وما يُنعِم به الرجل على صاحبه.

ب ـ وأما النَّعمة: - بفتح النون- فهو ما يُتنَعَّم به في العيش ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾[الدخان:٢٧].

ج ـ أنعُم : هي جمع قِلَّةٍ لنعمةٍ ، كقوله تعالى ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾[النحل:١٢١] ونِعَمٌ جمع كثرة، كقوله تعالى ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[النحل:١٨] .

السؤال الثالث:

ما النعم التي ذكرها الله في القرآن وأنعمها على بني إسرائيل ؟

الجواب:

ذكر القرآن الكريم بعض النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل، وعدَّ منها عشرة :

آ ـ ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾[البقرة:٤٩].

ب ـ ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [البقرة: ٥٠].

ج ـ ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ ﴾ [البقرة: ٥١].

د ـ ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ٥٣].

هـ ـ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٥٤].

و ـ ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ٥٦].

ز ـ ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ٥٧].

ح ـ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٥٨] نعمة؛ لمحو الذنوب بدخول الباب سجداً.

ط ـ ﴿ ۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ٦٠].

ي ـ ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ٦٣].

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨) ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الاختلاف في الشفاعة والعدل بين آيتي سورة البقرة ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨)﴾ [البقرة:٤٨] و ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (١٢٣)﴾ [البقرة:١٢٣] ؟

الجواب:

العدل معناه: ما يعادل الجُرم الذي هو الفدية.

وإيصال هذا المال أو المبلغ لمستحقه في حال قيام الإنسان بجريمة أو ما شابه لأهل المرتكب عليه الجريمة أو الشخص نفسه، هذا الإيصال له أسلوبان:

١ـ الأول أنْ يرسل وفدَ صُلحٍ وشفاعة حتى يقبلوا ما يقدِّمه لهم فيبدؤوا أولاً بإرسال الوفد ثم يذهب بالفدية أو المقابل.

٢ـ والصورة الأخرى أنْ يذهب ابتداء فيقدم ما عنده، فإذا رفض يذهب ويأتي بوسطاء يشفعون له.

والآيتان كل واحدة منهما نظرت إلى صورة، فنفى الصورتين عن القبول فيما يتعلق بالأمم التي آمنت قبل اليهود بشكل خاص حتى يؤمنوا بالله تعالى ورسوله محمد وبكتابه:

آ ـ الآية الأولى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤٨)﴾ [البقرة:٤٨] هذه الصورة الأولى تقدمون الشفاعة، و الشفاعة لا تقبل، والفدية لا تؤخذ.

ب ـ الآية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (١٢٣)﴾[البقرة:١٢٣] هذه الصورة الثانية.

والجمع بين الآيتين على بُعد ما بينهما أنه كل آية نظرت في صورة ، فالأولى نظرت في صورة والثانية نظرت في صورة ، ومع ذلك انتفت كلتا الصورتين، وهذا يعني أنه لا يمكن أنْ يقبل منكم إلا أنْ تتبعوا هذا النبي الكريم محمداً ﷺ، وبدون ذلك لا تقدموا الشفاعة ابتداء ولا تأتوا بالشفاعة لأنَّ هذا كله لا يُقبل ، والذي يقبل منكم هو الإيمان بالرسول محمد عليه السلام والقرآن الكريم .

وكأنّ ذلك نوع من التيئيس؛ لأنّ الإنسان إذا ارتكب جرماً إمّا أن يذهب بالعدل ،أي: المال المقابل للجرم إلى القبيلة، فإذا رُفِض يذهب ويأتي بالشفعاء، أو العكس يأتي بالشفعاء أولاً حتى يقبلوا العدل منه.

والقرآن الكريم يأَّس بني إسرائيل من الحالتين: لا يقبل منكم عدل ابتداء وبعده شفاعة، ولا شفاعة ابتداء ثم يأتي العدل بعد ذلك ، ولا ينفعكم إلا أنْ تتبعوا محمداً ﷺ.

ملخص الجواب للشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى :

١ـ المعنى العام :

بشكل عام الخطاب للكفار والآية نازلة فيهم ، أمّا المؤمنون فلهم الشفاعة رزقنا الله تعالى إياها وحشرنا في زمرة أهل السنة والجماعة .

والعربي الذي يقع في كريهة يحاول أعوانه الدفاع عنه بمقتضى الحمية، فإنْ لم يستطيعوا حاولوا بالملاينة بدل المخاشنة، فإنْ لم تغن عنه الحالتان لم يبق عنده إلا فداء الشيء بالمال، فإنْ تعذر ذلك تعلل بما يرجوه من شفاعة الأخلاء والإخوان .

ومن كان ميله إلى حب المال أشد من ميله إلى علو النفس فإنه يقدم التمسك بالشافعين على إعطاء الفدية، ومن كان بالعكس يقدم الفدية على الشفاعة.

فأخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لا يغني شيء من هذه الأمور عن المجرمين في الآخرة.

٢ـ المعاني اللغوية :

أـ ﴿يَوْمًا﴾ [البقرة:٤٨] : هو يوم القيامة وهو بذاته لا يُتَّقى فلا بد منه، وإنما المقصود اتقاء ما يحصل في ذلك اليوم من الشدائد والعقاب.

ب ـ الشفاعة: ضم غيره إلى وسيلته، والشفع ضد الوتر؛ لأنّ الشفيع ينضم إلى الطالب في تحصيل ما يطلب فيصبح شفعاً بعد أنْ كان وتراً .

ج ـ العَدل : هو الفدية، وأصله ما يساوي الشيء قيمة وقدراً وإنْ لم يكن من جنسه.

والعِدل والعديل : هو المِثْل أو هو المساوي للشيءِ في الجنسِ والجرمِ، تقول : عندي عِدلُ شاتِكَ أو عِدلُ غلامِكَ إذا كان شاة تعدل شاة، وغلاماً يعدل غلاماً ، فإن أردت قيمَتَه من غير جنسه فتحتَ العَين.

والعَدلُ ضِدُّ الجورِ، والعديلُ الذي يعادِلُك في القدر والوزن.

د ـ (ولا هم ينصرون) : أي ليس لهم من يمنعهم وينجّيهم من عذاب الله.

هـ ـ جزى : بمعنى قضى، وقضاء الحقوق يوم القيامة إنما يقع في الحسنات.

٣ـ سؤال :

هل الفائدة من قوله تعالى ﴿لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة:٤٨] هي نفس الفائدة من قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة:٤٨] ؟

جواب :

معنى القسم الأول من الآية ﴿لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة:٤٨] أنه لا يتحمل عنه غيره ما يلزمه من الجزاء ، وأمّا النصرة فهي أنْ يحاول تخليصه من حكم المعاقِب.

٤ـ سؤال :

قدّم المولى عز وجل (الشفاعة) على (العدل) في الآية (٤٨)، بينما قدّم (العدل) على (الشفاعة) في الآية (١٢٣)، فما الحكمة من التقديم والتأخير؟

جواب :

آ ـ الآيتان المذكورتان في نفس السورة، وهما :

الآية الأولى ﴿وَاتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة:٤٨].

الآية الثانية ﴿وَاتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [البقرة:١٢٣].

الملاحظ أنّ صدر الآيتين واحدٌ وعجزهما مختلف أي :

الآية الأولى	﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾	﴿شَفَٰعَةٌ﴾	﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾	﴿عَدْلٌ﴾
الآية الثانية	﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾	﴿عَدْلٌ﴾	﴿وَلَا تَنفَعُهَا﴾	﴿شَفَٰعَةٌ﴾

ب ـ الآيتان [٤٨] و[١٢٣] سبق كلٌّ منهما نفس الآية أي أنّ الآية [٤٧] و [١٢٢] هي نفسها؛ وبيان ذلك: قال تعالى:

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة:٤٧].

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [البقرة:١٢٢].

والمقصود بـ ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: على عالمي زمانكم ، وهو من باب عطف الخاص على العام؛ لأنّ النعمة اندرج تحتها التفضيل المذكور على عالمي زمانهم بما أعطوا من الملك والرسل والكتب في زمانهم ؛ فإن لكل زمان عالماً .

ج ـ والحق أن أمة الرسول ﷺ هي أفضل منهم؛ لأنّ الله أشهد بني إسرائيل فضل أنفسهم فقال: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ وأشهد المسلمين فضل نفسه؛ قال تعالى:﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس:٥٨] وشتان مَن مشهوده فضل ربه، ومن مشهوده فضل نفسه .

قال رسول الله ﷺ : «**أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله**» .

والله يقول : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] .

فالحمد لله الذي فضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً.

د ـ سياق الآيات التي قبلها :

لقد سبق الآية ٤٨ الآيات من [٤٠:٤٨] وهي قوله تعالى :

ـ ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠) وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤) وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:٤٠-٤١-٤٢-٤٣-٤٤-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨] .

وهذه الآيات تؤكد كمال غفلة بني إسرائيل عن القيام بحقوق النعم التي أنعم الله عليهم بها وليربط بها بعده من الوعيد الشديد بالترغيب والترهيب ، فذكّرهم بنعمه أولاً ثم عطف على تحذيرهم من طول نقمه بهم يوم القيامة إنْ لم يؤمنوا برسوله ﷺ ويتابعوه على ما بعثه به ، فإنه لا تنفعهم قرابة قريب ولا شفاعة ذي جاه ولا يقبل منهم فداء ولو بملء الأرض ذهباً، كما قال تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة:٢٥٤] .

أمّا الآية الآية[١٢٢] المذكورة سابقا؛ ففيها تكرير التذكير لبني إسرائيل وحثهم على اتباع الرسول الأمي ﷺ الذي يجدون صفته في كتبهم ونعته واسمه، وأنْ لا يحملهم الحسد للعرب على مخالفته وتكذيبه .

هـ ـ نعود الآن إلى أصل السؤال :

١ـ نلاحظ في قوله تعالى ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ﴾ [البقرة:٤٨] أي: هناك نفسان نفس جازية، والثانية مجزي عنها .

٢ـ ففي الآية [٤٨] المعنى العام لها أنه سيأتي إنسان صالح ـ حتى تقبل شفاعته عند الله ـ فيقول: يا رب أنا سأشفع لفلان أو أقضي حق فلان .

فنفس الإنسان الصالح جازية والأخرى مجزي عنها، لكن لا تقبل شفاعته؛ لأنه يشفع لكافر وبالتالي لا يؤخذ منه عدل، أي: فدية، ولا يسمح بأي مساومة أخرى .

ففي هذه الآية بدأ عجزها بالشفاعة، وهي تعود على النفس الأولى في الآية .

٣ـ أما الآية الثانية [١٢٣] فيتحدث الله تبارك وتعالى عن النفس المجزي عنها قبل أنْ تستشفع بغيرها وتطلب منه أنْ يشفع لها، بعد أنْ يكون قد ضاق بالكافر الحيل وهذا اعتراف بعجزه فيقول يارب : ماذا أفعل حتى أكّفر عن ذنوبي، فلا يقبل منه ، كما في قوله تعالى في سورة السجدة الآية [١٢]: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [السجدة:١٢] فيكون رد الحق سبحانه كما في الآية [١٤] ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة:١٤] .

فهم عرضوا على ربهم أن يكّفروا عن سيئاتهم بأنْ يعودوا إلى الدنيا ليعملوا صالحاً فلم يقبل الله منهم هذا العرض، وكما في قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعراف:٥٣] حيث خرج الاستفهام إلى النفي، أي: ما لنا من شفعاء .

وجاء بـ (قد) والفعل الماضي ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟﴾ لتأكيد النتيجة النهائية، وهي الخسران.

لذلك هنا النفس المجزي عنها هي التي تطلب التكفير والفداء فبدأ عجزها بـ﴿عَدْلٌ﴾ .

٤ـ الملخص:

النفس الأولى: الجازية يناسبها الآية الأولى؛ لأنها بدأت بطلب الشفاعة ،أمّا النفس الثانية: المجزي عنها، فيناسبها الآية الثانية؛ لأنها بدأت بتقديـم الفداء .

٥ـ والمعنى العام للآيتين أنّ الله تعالى لا يقبل ممن كفر به فدية ولا شفاعة ولا ينقذ أحداً من عذابه منقذ ولا يخلّص منه أحد ولا يجير منه أحد ، وصار الحكم إلى الجبار

العدل الذي لا ينفع لديه للكافرين الشفعاء والنصراء فيجزي بالسيئة مثلها وبالحسنة أضعافها ، وكما قال تعالى في القران الكريم :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [البقرة:١٦١].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المائدة:٣٦].

﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحديد:١٥].

﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ ﴾ [الأنعام:٧٠].

﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الطارق:١٠] .

﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ [المؤمنون:٨٨].

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الفجر:٢٥-٢٦] .

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الصافات:٢٥-٢٦].

﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ ﴾ [الأحقاف:٢٨] .

﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [البقرة:٤٨].

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا ﴾ [السجدة:١٢] .

السؤال الثاني:

ماذا عن تذكير وتأنيث لفظة ﴿ ٱلشَّفَٰعَةُ ﴾ في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ـ في آية البقرة [٤٨] قوله تعالى ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾[البقرة:٤٨].

آ ـ ذكّر الفعل ﴿يُقْبَلُ﴾ مع الشفاعة؛ لأنّ الشفاعة هنا لمن سيشفع، أي: للشافع وهو مذكر .

ب ـ الشفاعة ليست مؤنثة حتى تكون الشفاعة مطلقة .

ج ـ إذا فصلت بين المؤنث الحقيقي والمؤنث المجازي يجوز التذكير والتأنيث، تقول : ذهب إلى الجامعة فاطمة، وذهبت إلى الجامعة فاطمة، هكذا إذا كان هناك فصل، لكنْ : ذهبت فاطمة لا يجوز غير هذا: ذهبت فاطمة.

د ـ أمّا المؤنث المجازي، فتقول: طلعت الشمس، وطلع الشمس، ابتداء فهذا مؤنث مجازي .

٢ـ في آية البقرة[١٢٣] أنّث الفعل، فقال: ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة:١٢٣] ؛لأنّ المقصود هي الشفاعة نفسها وليس الكلام عن الشفيع .

٣ـ في آيات يس ٢٣ قوله تعالى ﴿لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [يس:٢٣] والنجم [٢٦] قوله تعالى:﴿لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾[النجم:٢٦] أنّث الفعل؛ لأنّ المقصود هي الشفاعة نفسها.

السؤال الثالث:

قال تعالى فى سورة لقمان: ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ [لقمان:٣٣] وفي البقرة قال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة:٤٨] . فما الفرق بين الوالد والولد والنفس؟

الجواب:

١ـ لا ننسى أنه في سورة لقمان ذكر الوالدين والوصية بهما ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥] والسورة تحمل اسم لقمان ﴿وَالِدٌ﴾ وهي مأخوذة من موقف لقمان وموعظته لابنه وكيف أوصاه، ووصية ربنا بالوالدين ، وقد وردت ضمن وصية لقمان لابنه، إذن هذه أنسب أولاً مع اسم السورة ومع ما ورد في السورة من الإحسان إلى الوالدين والبر بهما ومصاحبتهما في الدنيا معروفاً .

٢ـ في البقرة لم يذكر هذا، وإنما جاءت كلمة (نفس) عامة تقع على الروح وعلى الذات .

٣ـ وذكر الوالد والولد في آية لقمان مناسب لما ورد في السورة من الإحسان إلى الوالدين والبر، مع ملاحظة أن قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥] خاص بالدنيا، بينما في هذه الآية ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾[لقمان:٣٣] الأمر متعلق بالآخرة الآخرة، لذلك يتبين أنّ المصاحبة بالمعروف والإحسان إليهما وما وصّى به في السورة لا يمتد إلى الآخرة، وأنّ هذه المصاحبة ستنقطع في الدنيا، وهي ليست في أمور الآخرة .

إذن هذه مناسبة لقطع أطماع الوالدين المشركين في الحصول على نفع ولدهما إن كان مؤمنا أو دفعه شيئا عنهما في الآخرة، إضافة إلى أنها مناسبة لما ورد في السورة من ذكر الوالدين والأمر بالمصاحبة لهما ونحوه.

السؤال الرابع:

ما دلالة حذف العائد المقدر (فيه) مع الآيات عندما يستعمل الفعل (يجزي) كما في آية البقرة[٤٨] ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ﴾[البقرة:٤٨] وآية لقمان ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾

[لقمان:٣٣] وآية البقرة [١٢٣] ﴿لَا تَجْزِى نَفْسٌ﴾ [البقرة:٤٨] بينما ذُكرت (فيه) مع آيات أخرى، كما في آية البقرة ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة:٢٨١] وآية النور ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧] فما الفرق ؟

الجواب:

آ ـ جملة الصفة عادة يكون فيها عائد أي (ضمير) يعود على الموصوف قد يكون مذكوراً وقد يكون مقدّراً، وهنا مقدر، أي: أن النحاة يقدرون : لا يجزي فيه، هذا من حيث التقدير، وهو جائز الذكر وجائز التقدير؛لأنه ذكرها في مواطن أخرى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨١] فالأمران جائزان، وقد ذكرا في مواطن.

ب ـ يبقى لماذا اختار عدم الذكر؟ والجواب أنّ الحذف عادة يفيد الإطلاق عموماً، فعندما تقول : فلان يسمعك أو فلان يسمع، (يسمع) أعم، يقول الحق أو يقول، (يقول): أعم، يعطي المال أو يعطي، يعطي أعمّ. وعدم ذكر المتعلقات يفيد الإطلاق، إذن هو الآن أظهر التعبير بمظهر الإطلاق ولم يذكر (فيه)؛ لأنه أظهره بمظهر الإطلاق.

ج ـ يبقى السؤال لماذا لم يذكر هنا و ذكر في مواطن أخرى؟

والجواب: لو (<u>جزى فيه</u>) والد عن ولده ، أي لو دفع (في) يوم القيامة هل هذا الجزاء يختص بهذا اليوم أو بما بعده؟ والجواب: هو بذلك اليوم.

ولو (<u>جزى</u>) والد عن ولده بدون(فيه) لو جزى عنه يعني لو قضى عنه ما عليه، هذا الجزاء سيكون الجنة ، والجزاء ليس في ذلك الوقت وإنما أثر الجزاء سيمتد، أي أنّ

الجزاء سيكون في هذا اليوم ولكنّ الأثر هو باق، ولذلك حيث قال:﴿ لَّا تَجْزِى ﴾ لم يقل : ﴿فِيهِ﴾ في كل القرآن.

شواهد قرآنية بدون (فيه):

﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨)﴾ [البقرة:٤٨] ما قال (فيه).

﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (١٢٣)﴾ [البقرة:١٢٣] ما قال (فيه).

شواهد قرآنية مع (فيه):

﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)﴾ [البقرة:٢٨١] أي تُوَفَّى في ذلك اليوم ؛ فإمّا يذهب للجنة وإمّا إلى النار.

﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ (٣٧)﴾ [النور:٣٧] في ذلك اليوم وبعدها ليس فيه تقلب؛ لأنه يذهب للجنة، وذِكر (فيه) خصصها باليوم فقط .

ولمّا قال: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ [البقرة:٢٨١] هذا في يوم القيامة وليس مستمراً يومياً، والذي في الجنة تُوُفِّيَ عمله والذي في النار تُوُفِّيَ عمله، والتَّوفِّي هو في يوم القيامة وأثر التَّوفيةِ إمّا يذهب إلى الجنة وإمّا إلى النار، وتقلُّبُ القلوب والأبصار هو في يوم القيامة ثم يذهب أصحاب الجنة إلى الجنة وأصحاب النارإلى النار، ولا يعود هناك تقلب قلوب ولا أبصار.

ولو جزى والدٌ عن ولده لكان أثر الجزاء ليس خاصاً في ذلك اليوم، وإنما يمتد إلى الخلود إلى الأبد، ولذلك لم يذكر (فيه) وأخرجه مخرج الإطلاق، لذلك حيث قال: (لا تجزي) ولم يقل (فيه) يكون لنفي المتعلق وإطلاق الأمر.

❋❋❋❋

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿آلِ﴾ في الآية، وليس أهل؟

الجواب:

الآل : هم الأهل والأقراب والعشيرة، وكلمة (آل) لا تضاف إلا لشيء له شأن وشرف دنيوي ممن يعقل، فلا تستطيع مثلاً أن تقول: آل الجاني، بل تقول: أهل الجاني.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ [البقرة:٤٩] و﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ [إبراهيم:٦] ؟ أي لماذا ذكر (الواو) في آية ابراهيم ؟

الجواب:

في سورة البقرة قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة:٤٩] وفي سورة إبراهيم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ

يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ [إبراهيم:٦] .

١ـ في البقرة جعل سوء العذاب هو تذبيح الأبناء، أي: ﴿بَدَل﴾ لأنّ السؤال في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة:٤٩]، ما هو سوء العذاب؟ والجواب ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [البقرة:٤٩]، هذه بدل من (يسومونكم)، وهذه الجملة بدل لما قبلها فسّرتها ووضحتها، والبدل يكون في الأسماء والأفعال وفي الجُمَل.

٢ـ وأمّا في سورة إبراهيم قال تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [إبراهيم:٦] وهنا ذكرالله أمرين : سوء العذاب بالتذبيح وبغير التذبيح، وكان التعذيب لهم بالتذبيح وغير التذبيح باتخاذهم عبيداً وعمالاً وخدماً وبالإهانات أيضاً، وموسى عليه السلام يذكّرهم هنا بنعم الله عليهم ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:٢٠] فيذكر لهم أموراً.

و الواو عاطفة ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [إبراهيم:٦] وربما يقول قائل: إنّ السياق واحد والتعبير مختلف، فلماذا؟ والجواب أنّ هذا لا يوحي بملاحظة أو علامة استفهام أمام هذا التغير، حتى في واقع الحياة أنت أحياناً تذكر لشخص أموراً ولا تذكر أموراً أخرى، يعني تذكر أموراً لا تحب أنْ تشرحها كثيراً وفي موقف آخر تقولها، والآيات تتكامل مع بعضها وتضيف إطاراً آخر حتى تكتمل .

السؤال الثالث:

قال تعالى في البقرة [٤٩] :﴿يُذَبِّحُونَ﴾ [البقرة:٤٩] وفي آية الأعراف [١٤١] ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ [الأعراف:١٤١] فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

١ـ بشكل عام، القتل أعم من الذبح، والقصة في الأعراف مبنية على العموم والتفصيل، بينما في البقرة لم تذكر إلا هذه الآية، فناسب لفظ التقتيل في الأعراف دون البقرة.

٢ـ ذكر القرآن قول فرعون في الأعراف: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [الأعراف:١٢٧] وقال في الآية[١٤١]: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأعراف:١٤١] وهو المناسب فقد فعل ما قاله وهدّد به.

٣ـ في آية البقرة جعل ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ [البقرة:٤٩] هنا بدلاً من يسومونكم، بدل فعل من فعل، وخصّ الذبح بالذكر لعظم وقعه عند الأبوين؛ ولأنه أشد على النفوس.

٤ـ القصة في الأعراف فصّلت في ذكر الحوادث قبل موسى وبعده، وذكرت فتنة فرعون لبني إسرائيل وذكرت مجيء موسى إلى فرعون وتبليغه بالدعوة. وذكرت موقف فرعون من السحرة وتهديد فرعون لبني إسرائيل بالقتل والإذلال والإيذاء، حتى قالوا لموسى عليه السلام: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف:١٢٩] وذكرت الآيات التي حلت بفرعون وقومه فناسب العموم في الأعراف العمومَ في اللفظ وهو التقتيل، فقال تعالى: ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ لأنّ القتل أعم من الذبح.

٥ـ كما أنه لم يرد في البقرة ذكر لهارون عليه السلام، بخلاف سورة الأعراف حيث ورد فيها ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف:١٢٢] وحيث إنّ ذكر موسى وهارون أعم من ذكر موسى وحده فناسب العموم للعموم، وناسب ذلك ذكر التقتيل؛ لأنّ القتل أعم من الذبح . والله أعلم.

السؤال الرابع:

ربنا تعالى قال في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة:٤٩] وفي إبراهيم قال على لسان سيدنا موسى: ﴿إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [إبراهيم:٦] أنجاكم ولم يقل هنا: نجّاكم. فلماذا ؟

الجواب:

هناك فرق بين الصيغتين فعّل وأفعل : (فعّل) فيها تمهل وتلبّث، بينما (أفعل) فوقتها أسرع و أقصر وأقل، لذلك (نجّى) يفيد التمهل والتلبّث والبقاء، مثل علّم وأعلم، لأنّ (علّم) تحتاج إلى وقت، أمّا (أعلم) فهو إخبار.

و موسى عليه السلام يعدد النعم عليهم فقال : ﴿أَنجَىٰكُم﴾ [إبراهيم:٦] فأنهى الموضوع بسرعة ، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [البقرة:٥٠] لأنهم لم يمكثوا في البحر طويلاً فقال: أنجيناكم، وحتى في إبراهيم عليه السلام قال: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [العنكبوت:٢٤] ولم يقل : (نجّاه) ؛ لأنه لم يلبث كثيراً في النار.

السؤال الخامس:

قال تعالى في هذه الآية: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأعراف:١٤١] فما الفرق بين الأبناء والأولاد؟

الجواب:

آ ـ الأبناء، أي: الذكور جمع ابن، وهي للذكور، مثل قوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [البقرة:٤٩].

ب ـ أما الأولاد فجمع ولد، وهي عامة للذكور والإناث ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾ [النساء:١١] الذكر والأنثى ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ﴾ [البقرة:٢٣٣] والإرضاع للذكور والإناث.

❊❊❊❊

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في ورود لفظة (اليمّ) ٨ مرات في قصة موسى، ووردت لفظة (البحر) ٨ مرات في القصة نفسها، ووردت لفظة (البحرين) مرة واحدة؟

الجواب:

١ـ القرآن الكريم يستعمل اليم والبحر في موقفين متشابهين، كما في قصة موسى عليه السلام؛ فمرة يستعمل اليم ومرة يستعمل البحر في القصة نفسها .

٢ـ اليمّ كما يقول أهل اللغة المحدثون : إنها عبرانية وسريانية وأكادية، وهي في العبرانية (يمّا) وفي الأكادية (يمو). (اليمّ) وردت كلها في قصة موسى ولم ترد في موطن آخر ، ومن التناسب اللطيف أنْ ترد في قصة العبرانيين وهي كلمة عبرانية.

واليم يستعمل للماء الكثير، وإنْ كان نهراً كبيراً واسعاً فيستعمل اليم أو البحر .

٣ـ لكن من الملاحظ أنّ القرآن لم يستعمل (اليم) إلا في مقام الخوف والعقوبة، ولم يستعمل اليم في مقام النجاة.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص:٧] هذا خوف، ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [الأعراف:١٣٦]، ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [طه:٧٨] هذه عقوبة.

٤ـ أمّا (البحر) فعامة، وقد يستعمله في مقام النجاة أو العقوبة، واستعمل كلمة (البحر) في النِّعم لبني إسرائيل وغيرهم،وفي نجاة بني إسرائيل ولم يستعمل (اليم).

واستعمل (البحر) في النجاة والإغراق ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة:٥٠].

واستعملها في الإغراق والإنجاء ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ [الأعراف:١٣٨] أي: أنجيناهم .

٥ـ اللغة تفرق بين البحر والنهر واليم: النهر أصغر من البحر، والقرآن أطلق اليم على الماء الكثير، ويشتق من اليم ما لم يشتقه من البحر (ميموم) أي: غريق؛ لذلك تناسب الغرق، والعرب لا تجمع كلمة (يم) فهي مفردة ، وقالوا: لم يسمع لها جمع ولا يقاس لها جمع، وإنما جمعت كلمة بحر (أبحر وبحار) وهذا من خصوصية القرآن في الاستعمال، كونها خاصة بالخوف والعقوبة .

﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في آية البقرة [٥١] ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة:٥١] وآية الأعراف [١٤٢] ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف:١٤٢] ؟

الجواب:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ [البقرة:٥١] وقال في سورة الأعراف: ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف:١٤٢] آية فيها إجمال وآية فيها تفصيل .

لكن لماذا الإجمال في موضع والتفصيل في موضع آخر؟ لو عدنا إلى سياق سورة البقرة نجد أنه ورد فيها هذه الآية فقط في هذا المجال، بينما في المشهد نفسه في سورة الأعراف فيه تفصيل كبير من قوله تعالى:

﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف:١٤٢] إلى قوله ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف:١٤٥] فالكلام طويل والقصة والأحداث في المواعدة مفصلة أكثر في الأعراف، ولم تذكر في البقرة؛ لأنّ المسألة في البقرة فيها إيجاز،

فناسب التفصيل في سورة الأعراف والإيجاز في سورة البقرة، لذا جاء في الأعراف أنّ موسى عليه السلام صام ثلاثين يوماً ثم أفطر فقال تعالى: صم، فصام عشرة أيام أخرى، أمّا في سورة البقرة فجاءت على سبيل الإجمال (أربعين يوماً).

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [البقرة:٥١] في الآية ؟ ولماذا لم يقل مثلاً: (بعده)؟

الجواب:

آية البقرة في بني إسرائيل وتعداد نعم الله عليهم وعصيانهم مع ظهور الآيات، وهم بعد أنْ أغرق آل فرعون اتخذوا العجل بلا مدة فاصلة، فجاء بمن فقال: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [البقرة:٥١] ولم يقل: (بعده)؛ لأنها تفيد الزمن الطويل والقصير، بينما ﴿من﴾ تفيد الابتداء، أي: فعلوا ذلك مباشرة بعد إنقاذهم من البحر .

وكذلك الأمر في الآية التالية رقم [٥٢] ﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٢﴾ [البقرة:٥٢] فجاء بـ(من بعد) للدلالة على أنّ عفو الله جاءهم مباشرة بعد اتخاذهم العجل، والله أعلم .

السؤال الثالث:

ما دلالة لفظة ﴿وَٰعَدۡنَا﴾ [البقرة:٥١] في الآية ؟

الجواب:

الوعد هو الإخبار بشيء سارّ، والوعيد هو الإخبار بشيء سيء.

السؤال الرابع:

لماذا استعمل لفظة ﴿لَيۡلَةٗ﴾ [البقرة:٥١] في الآية ؟

الجواب:

وَعْدُ الله تعالى لموسى عليه السلام كان لإعطائه المنهج لإبلاغ بني إسرائيل.

وعندما يتكلم الدين عن الزمن يتكلم دائماً بالليلة، والسبب أنك تستطيع أنْ تحدد الزمن بمجرد أنْ تنظر إلى القمر فتقول: هذا القمر هلالا أو بدرا أو أول الشهر. أمّا قرص الشمس في النهار فلا يحدد لك في أي وقت من الشهر نحن .

والبدوي في الصحراء يستطيع أنْ يحدد لك الزمن بالتقريب بالليالي فيقول لك مثلاً : هذا القمر ابن كذا ليلة.

❁❁❁❁

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾

السؤال الأول:

ذكر الله الفرقان في هذه الآية ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [البقرة:٥٣] ولم يذكره في سورة القصص ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القصص:٤٣]

ما الفرق بين الكتاب والفرقان؟ ولماذا؟

الجواب:

١ـ الكتاب هو التوراة، والفرقان هي المعجزات التي أوتيها موسى كالعصا، والمعجزات الأخرى؛ وهي تسع آيات ، والفرقان هو الذي يفرّق بين الحق والباطل.

٢ـ لكنّ السؤال: لماذا قال في الأولى: (الكتاب والفرقان)، وفي الثانية قال: (الكتاب) فقط؟

والجواب أنّ السياق هو الذي يحدد.

فالآية الأولى جاءت في سياق الكلام عن بني إسرائيل ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة:٤٠]، من الذي شاهد الفرقان؟ شاهده بنو إسرائيل وفرعون الذين كانوا حاضرين ، لكنّ الناس الآخرين لم يشاهدوا هذا الشيء ، فلمّا تكلم مع بني إسرائيل خصوصاً كان الخطاب لهم وهم الذين شاهدوا قال: ﴿ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ ﴾ وقال: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ٥٣﴾ [البقرة:٥٣].

وأمّا الثانية فقال: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ [القصص:٤٣] .

فلمّا قال: ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ [القصص:٤٣] لم يقل: الفرقان؛ لأنهم لم يشاهدوا هذا الشيء ، بل قال: ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [القصص:٤٣] لأنّ الفرقان ذهب وبقي الكتاب والكتاب بصائر للناس. والله أعلم.

السؤال الثاني:

جاء في الآية ﴿ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [القصص:٤٣] وجاء في آية آل عمران [١٨٦] ﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [آل عمران:١٨٦] فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

في هذا الباب ما نراه في القرآن الكريم في ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ فإنه على العموم إذا كان المقام مقام مدح وثناء أظهر الله ذاته ونسب إتيان الكتاب إلى نفسه، فيقول: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ وإذا كان المقام مقام تقريع وذم، قال: ﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ .

شواهد قرآنية في إسناد الإيتاء إلى نفسه في مقام المدح والثناء :

البقرة [٥٣، ١٢١، ١٤٦] الجاثية [١٦] الأنعام [١١٤] الرعد [٣٦] القصص [٥٢] العنكبوت [٤٧] النساء [٥٤].

شواهد قرآنية في مقام الذم يبني فعل الإيتاء للمجهول : البقرة [١٠١، ١٤٤، ١٤٥] آل عمران [١٩، ٢٣، ١٠٠، ١٨٦، ١٨٧] النساء [٤٤، ٤٧، ٥١] المائدة [٥٧] التوبة [٢٩] الحديد [١٦].

❁❁❁❁

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الفاءين في قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ﴾ ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ﴾ في الآية ؟

الجواب:

الفاء الأولى للسبب؛ لأنّ طلب التوبة سببه الظلم، والفاء الثانية للتعقيب؛ لأنّ القتل من تمام التوبة، والمعنى : فأتبعوا التوبة القتل .

السؤال الثاني:

ما النفحات الفكرية والإضاءات البيانية في الآية ؟

الجواب:

١ـ أوحى الله إلى موسى عليه السلام أنّ شرط توبتهم قتل النفس، كما أنّ القاتل عمداً لا تتم توبته إلا بتسليم نفسه حتى يرضى أولياء المقتول أو يقتلوه.

٢ـ قوله ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة:٥٤] أي: توبة بعيدة عن الرياء نابعة من القلب وهو مطّلعٌ على ضمائركم ، ولو كانت توبتكم على غير ذلك فقد تبتم إلى الناس، وذلك مما لا فائدة فيه؛ لأنكم أذنبتم إلى الله فوجب أنْ تتوبوا إلى الله بارئكم.

٣ـ أمر الله غير أولئك التائبين بقتل أولئك التائبين، فيكون المعنى من قوله: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة:٥٤] أي: استسلموا للقتل، وهو المعنى الأقرب، وقيل المعنى: ليقتل بعضكم بعضاً.

٤ـ قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة:٥٤]؛ لأنّ حالتهم كانت دائرة بين ضرر الدنيا وهو متناهٍ ، وضرر الآخرة وهو غير متناه؛ ولأنّ الموت لا بدّ منه فليس في تحمل القتل إلا التقديم والتأخير، وأمّا الخلاص من العقاب والفوز بالثواب فذاك هو الغرض الأعظم.

٥ـ قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٥٤] إمّا من قول موسى عليه السلام كأنه قال : إن فعلتم فقد تاب عليكم، وإمّا أن يكون خطاباً من الله لهم على طريق الالتفات بتقدير : ففعلتم ما أمركم موسى فتاب عليكم بارئكم .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

السؤال الأول:

قال هنا : ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾[البقرة:٥٦] ، وقال في آية البقرة: ﴿مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة:١٠٩] بينما لم يذكر ﴿من﴾ في آية آل عمران ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [آل عمران:١٠٠] فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

بشكل عام (مِن) للابتداء .

١ـ آيات البقرة [٥٥ – ٥٦] معناها أنّ الله لم يتركهم مدة طويلة ميتين .

٢ـ في آية البقرة [١٠٩] ذكر الله أنّ كثيراً من الكفار يتمنون لو أنهم ردوا المسلمين من بعد الإيمان كافرين أي بلا مهلة ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ فهم يتمنون الإسراع في تكفيرهم، وأنْ ينقلوهم فوراً من حالة الإيمان إلى حالة الكفر.

بينما آية آل عمران ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [آل عمران:١٠٠] ففيها تحذير للمسلمين من إطاعة الكافرين؛ لأنهم ينفثون فيهم أوهامهم وضلالهم شيئاً فشيئاً حتى يردوهم مع مرور الزمن كافرين، وليس معناه أنهم ينقلونهم فوراً من الإيمان إلى الكفر.

لذلك الأولى مقام تمنٍّ، والثانية مقام تحذير.

والله أعلم.

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قدّم المفعول به، وهو ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة:٥٧] على الفعل، وهو ﴿يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة:٥٧] فما دلالة هذا التقديم ؟

الجواب:

إنّ في تقديم المفعول به على فعله تأكيداً وتنويهاً:

آ ـ فيه تأكيد على أنّ حالهم كحال الجاهل بنفسه، فالجاهل يفعل بنفسه ما يفعله العدو بعدوّه .

ب ـ وفيه تنويه لك أيها المسلم أنّ الخروج من طاعة الله سبحانه وتعالى أولاً وآخراً فيه ظلم، ولكنه ظلمٌ لنفسك قبل ظلمك لغيرك.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة:٥٧] وفي آل عمران : ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران:١١٧] بدون (كانوا) ؟

الجواب:

في العموم عندما يتكلم القرآن عن الحال، أي: الوقت الحالي وليس الزمن الماضي يقول: ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ و عندما يتكلم عن الأقوام البائدة القديمة الماضية يقول: ﴿كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة:٥٧] .

انظر كذلك الآيات : العنكبوت [٤٠] التوبة [٧٠] الأعراف [١٦٠]

❀❀❀❀

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

السؤال الأول:

المطلوب إجراء مقارنة بين قصة موسى في آيات البقرة (٥٨ـ٦٠) والقصة نفسها في آيات سورة الأعراف (١٥٩ـ ١٦٢) ؟

الجواب:

١ـ مقدمــــة :

سياق آيات سورة البقرة هو في تعداد النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل، بينما مقام آيات سورة الأعراف هو في مقام تقريع وتأنيب لما فعله بنو إسرائيل بعد أنْ أنجاهم الله من البحر وأغرق فرعون .

وإليك أهم الفروق التعبيرية بين السورتين :

	سورة البقـــــرة	سورة الأعراف
١-	﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾	﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾
٢-	﴿ادْخُلُوا﴾	﴿اسْكُنُوا﴾
٣-	﴿فَكُلُوا﴾	﴿وَكُلُوا﴾
٤-	﴿رَغَدًا﴾	-
٥-	﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾	﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾
٦-	﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾	﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾
٧-	﴿وَسَنَزِيدُ﴾	﴿سَنَزِيدُ﴾
٨-	﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾	﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾
٩-	﴿فَأَنزَلْنَا﴾	﴿فَأَرْسَلْنَا﴾
١٠-	﴿عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾	﴿عَلَيْهِمْ﴾
١١-	﴿يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾	﴿يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾
١٢-	﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾	﴿إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾
١٣-	﴿فَقُلْنَا اضْرِب﴾	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب﴾
١٤-	﴿فَانفَجَرَتْ﴾	﴿فَانبَجَسَتْ﴾

١٥-	﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾	-

فما سر هذا الاختلاف ؟

البيان هو حسب التسلسل المذكور أعلاه :

١ـ قال في البقرة ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ [البقرة:٣٤] وفي الأعراف ﴿وَإِذْ قِيلَ﴾ [الأعراف:١٦١] ببناء الفعل للمجهول ، والقرآن الكريم يسند الفعل إلى الله سبحانه في مقام التشريف والتكريم ومقام الخير العام والتفضل، بخلاف الشر والسوء، فإنه لا يذكر فيه نفسه تنزيهاً له عن فعل الشر وإرادة السوء.

شواهد قرآنيةعلى ذكر نفسه تعالى :

المائدة [٣]، النساء [٧٢، ٦٩] الإسراء [٨٣] الفاتحة [٧] الزخرف [٥٩] الشعراء [٧٨، ٨٠] الجن [١٠] الكهف [٧٩، ٨٢] الحجرات [٧] الصافات [٦] الملك [٥] الحجر [١٦].

شواهد قرآنية على عدم ذكر نفسه تعالى :

البقرة [٢١٢] الرعد [٣٣] الأنعام [١٢٢] فاطر [٨] غافر [٣٧] التوبة [٣٧] الفتح [١٢].

ملاحظات :

ـ قد تجد ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النمل:٤] ولكن لا تجد (زينا لهم سوء أعمالهم)؛ لأنّ الله لا ينسب لنفسه السوء.

ـ تجد ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة:١٢١]في مقام المدح والثناء، وتجد ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة:١٠١]في مقام الذم والتقريع.

ـ تجد ﴿أَوْرَثْنَا﴾ [فاطر:٣٢]في مقام المدح، وتجد ﴿أُورِثُوا۟﴾ [الشورى:١٤]في مقام الذم.

شواهد قرآنية على ﴿ءَاتَيْنَا﴾ :

البقرة [٥٣] الجاثية [١٦] البقرة [١٢١، ١٤٦] الأنعام [٢٠]الأنعام [١١٤][٨٩] الرعد[٣٦] القصص[٥٣] العنكبوت [٤٧] النساء [٥٤].

شواهد قرآنية على ﴿أُوتُوا۟﴾:

البقرة [١٠١، ١٤٥] ـ آل عمران [١٩، ٢٣، ١٠٠، ١٨٧] النساء [٤٤، ٤٧، ٥١] المائدة [٥٧] التوبة [٢٩] الحديد [١٦].

شواهد قرآنية على ﴿أَوْرَثْنَا﴾:

فاطر [٣٢] غافر [٥٣]

شواهد قرآنية على ﴿أُورِثُوا۟﴾:

الشورى [١٤] ، الجمعة [٥] .

وليس معنى هذا أنّ الله سبحانه لا ينسب إلى نفسه عقوبة، بل إنه يفعل ذلك لأنه من الخير العام ، ولكنه لا ينسب إلى نفسه سوءاً، فإنه من أكبر الخير أنْ يهلك الطغاة الظالمين ﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [إبراهيم:١٣] ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [فاطر:٢٦].

٢ و٣ ـ قال في البقرة: ﴿ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟﴾ [البقرة:٥٨] وقال في الأعراف : ﴿ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟﴾ [الأعراف:١٦١].

في البقرة المطلوب الدخول ثم الأكل مباشرة ﴿فَكُلُواْ﴾ [البقرة:٥٨] بالفاء.

بينما المطلوب في الأعراف : السكن والاستقرار ثم الأكل ﴿وَكُلُواْ﴾ بالواو.

والدخول غير السكن؛ لأنّ السكن لا يكون إلا بعد الدخول، فجعل الطعام في البقرة مهيأ قبل السكن والاستقرار، وفي الأعراف مع السكن بلا تعقيب فقد يطول الزمن وقد يقصر، فكان الموقف في البقرة أكرم وأفضل .

٤ـ قال في البقرة : ﴿رَغَدًا﴾ [البقرة:٣٥] ولم يقل ذلك في الأعراف تناسباً لتعداد النعم في البقرة ، مع ملاحظة أن كلمة ﴿رَغَدًا﴾ تكررت مرتين في سورة البقرة مع قصتي آدم وموسى عليهما السلام؛ لأنّ جو البقرة جو تكريم لآدم وتكريم لذريته من بني إسرائيل، ولم تذكر الكلمة في الأعراف في القصتين؛ لأنّ جو السورة جو عقوبات وتأنيب.

ثم انظر كيف قدّم ﴿رَغَدًا﴾ في الجنة وأخّرها في الدنيا، فقال في الجنة: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة:٣٥] وقال في الدنيا : ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة:٥٨]؛ لأنّ الرغد في الدنيا قليل.

٥ ـ في البقرة قدّم السجود على القول ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة:٥٨] وذلك لسببين :

آ ـ السجود أشرف من القول .

ب ـ السياق يقتضي ذلك، فقد جاءت هذه القصة في عقب الأمر بالصلاة، ﴿البقرة ٤٣- ٤٧﴾ فناسب تقديم السجود لاتصاله بالصلاة والركوع ، وكلا الأمرين مرفوع في سورة الأعراف فأخّر السجود.

٦ ـ في البقرة قال: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [البقرة:٥٨] بجمع الكثرة وهو مناسب لمقام تعداد النعم ، وقال في الأعراف : ﴿خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ﴾ [الأعراف:١٦١] بجمع القلة وهو مناسب لمقام التقريع والتأنيب.

٧ـ قال في البقرة: ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ [البقرة:٥٨] فجاء بالواو الدالة على الاهتمام والتنويع ولم يجيء بها في سورة الأعراف.

٨ـ الفرق بين قوله تعالى في الأعراف: ﴿أَنزَلْنَا﴾ وبين قوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ :أنّ الإنزال لا يشعر بالكثرة، والإرسال يشعر بها، فكأنه تعالى بدأ بإنزال العذاب القليل ثم جعله كثيراً، والسبب أنّ سياق آيات سورة البقرة هو في تعداد النعم التي أنعم الله على بني إسرائيل، بينما مقام آيات سورة الأعراف هو مقام تقريع وتأنيب لما فعله بنو إسرائيل.

٩ـ قال في الأعراف: ﴿يَظْلِمُونَ﴾ وفي البقرة: ﴿يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ والظلم أشد من الفسق، فقد يظلم الإنسان نفسه وقد يظلم غيره، ولكنّ الفاسق هو الذي يظلم نفسه بخروجه عن طاعة الله وليس شرطاً أنْ يظلم غيره، وجاء في الحديث القدسي «**ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي فلا تظالموا**» . والله أعلم.

تتمة النقاط وتفصيلات أخرى تجدها في :

السؤال الثاني:

ما الفرق من الناحية البيانية بين ﴿فَٱنفَجَرَتۡ﴾ [البقرة:٦٠] في سورة البقرة ٦٠، و﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ﴾[الأعراف:١٦٠] في سورة الأعراف آية ١٦٠ في قصة موسى عليه السلام؟

الجواب:

١ـ جاء في سورة البقرة ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة:٦٠] .

وجاء في سورة الأعراف ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأعراف:١٦٠] .

والسؤال ماذا حدث فعلاً هل انفجرت أو انبجست؟ والجواب كلاهما، وحسب ما يقوله المفسرون: إنها انفجرت أولاً بالماء الكثير، ثم قلّ الماء بمعاصيهم.

في سياق الآيات في سورة البقرة الذي يذكر الثناء والمدح والتفضّل على بني إسرائيل جاء بالكلمة التي تدل على الكثير، فجاءت كلمة ﴿فَٱنفَجَرَتۡ﴾[البقرة:٦٠]، أمّا في سورة الأعراف فالسياق في ذمّ بني إسرائيل فذكر معها الانبجاس وهو أقلّ من الانفجار، وهذا أمرٌ مشاهد فالعيون والآبار لا تبقى على حالة واحدة، فقد تجفّ العيون والآبار، فذكر الانفجار في موطن والانبجاس في موطن آخر، وكلا المشهدين حصل بالفعل.

٢ـ سياق الآيات في البقرة هو في التكريم لبني إسرائيل، فذكر أموراً كثيرة في مقام التفضيل والتكرّم والتفضّل: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [البقرة: ٤٩، ٥٠] و ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة:٤٧] .

أمّا السياق في الأعراف فهو في ذكر ذنوبهم ومعاصيهم، والمقام مقام تقريع وتأنيب لبني إسرائيل: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف:١٣٨] والفاء ﴿فَأَتَوْا۟﴾ [الأعراف:١٣٨] هنا تفيد المباشرة، أي: بمجرد أنْ أنجاهم الله تعالى من الغرق أتوا على قوم يعبدون الأصنام فسألوا موسى أنْ يجعل لهم إلهاً مثل هؤلاء القوم.

٣ـ قوم موسى استسقوه، فأوحى إليه ربه بضرب الحجر ﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ [البقرة:٦٠] وفيها تكريم لنبيّ الله موسى عليه السلام واستجابة الله لدعائه. والإيحاء أنّ الضرب المباشر كان من الله تعالى، وفي الأعراف موسى عليه السلام هو الذي استسقى لقومه ﴿إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ [الأعراف:١٦٠].

٤ـ قال في البقرة: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ [البقرة:٦٠] والشرب يحتاج إلى ماء أكثر، لذا انفجر الماء من الحجر في السياق الذي يتطلب الماء الكثير، بينما قال في

الأعراف: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ﴾[الأعراف:١٦٠] لم يذكر الشرب فجاء باللفظ الذي يدل على الماء الأقلّ ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ [الأعراف:١٦٠] .

٥ـ في البقرة جعل الأكل عقب الدخول، وهذا من مقام النعمة والتكريم ﴿ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ﴾ [البقرة:٥٨] والفاء تفيد الترتيب والتعقيب، بينما في الأعراف لم يرد ذكر الأكل بعد دخول القرية مباشرة، وإنما أمرهم بالسكن أولاً ثم الأكل ﴿ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ﴾ [الأعراف:١٦١] .

٦ـ ﴿رَغَدًا﴾ تذكير بالنعم وهم يستحقون رغد العيش كما يدلّ سياق الآيات، وفي الأعراف لم يذكر (رغداً)؛ لأنهم لا يستحقون رغد العيش مع ذكر معاصيهم .

٧ـ في البقرة قال: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة:٥٨] بُدئ به في مقام التكريم وتقديم السجود أمر مناسب للأمر بالصلاة الذي جاء في سياق السورة ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة:٤٣] والسجود هو من أشرف العبادات، بينما قال في الأعراف:﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ [الأعراف:١٦١] لم يبدأ بالسجود هنا؛ لأنّ السجود من أقرب ما يكون العبد لربه ، وهم في السياق هنا مبعدون عن ربهم لمعاصيهم .

٨ـ قال في البقرة: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْۚ﴾ [البقرة:٥٨] (الخطايا) جمع كثرة، وإذا غفر الخطايا فقد غفر الخطيئات قطعاً، وهذا يتناسب مع مقام التكريم الذي جاء في السورة، بينما قال في الأعراف: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْۚ﴾ [الأعراف:١٦١] وخطيئات جمع قلّة، وجاء هنا في مقام التأنيب، وهو يتناسب مع مقام التأنيب والذّم في السورة .

٩ـ ﴿ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [البقرة:٥٨] إضافة الواو هنا تدل على الاهتمام والتنويع، ولذلك تأتي الواو في موطن التفضّل وذكر النعم، وفي الأعراف ﴿سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [الأعراف:١٦١] لم ترد الواو هنا؛ لأنّ المقام ليس فيه تكريم ونعم وتفضّل.

١٠ـ في البقرة قال: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ ﴾ [البقرة:٥٩] وفي الأعراف ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ [الأعراف:١٦٢] هم بعض ممن جاء ذكرهم في أول الآيات.

١١ـ في البقرة قال: ﴿فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ [البقرة:٥٩] وفي الأعراف قال: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا ﴾ [الأعراف:١٦٢] (أرسلنا) في العقوبة أشدّ من (أنزلنا)، وقد تردد الإرسال في السورة ٣٠ مرة، أما في البقرة فتكرر ١٧ مرة .

١٢ـ في البقرة قال: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [البقرة:٥٩] وفي الأعراف ﴿بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٦٢] والظلم أشدّ؛ لأنه يتعلّق بالنفس وبالغير.

لذلك ﴿فَٱنفَجَرَتۡ ﴾ [البقرة:٦٠] جاءت هنا في مقام التكريم والتفضّل، وهي دلالة على أنّ الماء بدأ بالانفجار بالماء الشديد فجاء بحالة الكثرة مع التنعيم، وجاءت ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ ﴾ [الأعراف:١٦٠] في مقام التقريع؛ قلّ الماء بمعاصيهم، فناسب ذكر حالة قلّة الماء مع تقريعهم .

وخروج الماء كان كثيراً في البداية لكنه قلّ بسبب معاصيهم، وليس هذا تعارضاً كما يظن بعضهم، لكن ذكر الحالة بحسب الموقف الذي هم فيه، فلمّا كان فيهم صلاح قال: انفجرت، ولمّا كثرت معاصيهم قال: انبجست.

١٣ـ في الآية ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ [البقرة:٦٠] موسى ضرب الحجر، لكنه لم يقل (فضرب) إذن الكلام فيه حذف، وهو مفهوم ولكن لم يذكره .

السؤال الثالث:

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾ [البقرة:٦٠] ولم يقل (وإذ استسقى موسى ربّه) ؟ أليس موسى أحد أفراد القوم ؟

الجواب:

في هذا السؤال دلالة على عناية الله تعالى بعباده الصالحين، فهذا الدعاء والاستسقاء يدلك على أنّ موسى عليه السلام لم يصبه العطش؛ لأنّ الله تعالى وقاه الجوع والظمأ، كما قال رسولنا محمد ﷺ : «**إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**».

وانظر كيف كان الاستسقاء لموسى عليه السلام وحده دون قومه، فلم يقل ربنا سبحانه وتعالى : (وإذا استسقى موسى وقومه ربهم)، وذلك ليظهر لنا ربنا كرامة موسىٍ عليه السلام وحده، ولئلا يظن القوم أنّ الله تعالى أجاب دعاءهم.

السؤال الرابع:

ما نوع الفاء في كلمة ﴿فَقُلْنَا﴾ [البقرة:٦٠] في الآية ؟

الجواب:

الفاء هي الفاء الفصيحة، وهي الفاء التي تبين وتفصح عن :

١ – محذوف وتدل على ما نشأ عنه ،مثل قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ [البقرة:٦٠] وتقدير الكلام (... فقلنا اضرب بعصاك الحجر فضربه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) .

٢ـ أو تفصح عن جواب شرط محذوف، مثل قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ﴾ [يوسف:٣٢] و تقدير الكلام : إنْ كنتن لا تدرين فذلكن الذى لمتنني فيه .

٣ـ الفاء الفصيحة لا محل لها من الإعراب .

ولمزيد من التفصيل انظر آية الأنعام ١٥٣.

❁❁❁❁

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما المقصود بمصر في الآية ؟

الجواب:

كلمة (مصراً) منونة، يعني أي: مدينة من المدن، وليست مصر المعروفة؛ لأنّ هذه الثانية تكون ممنوعة من الصرف ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ [يوسف:٢١]، وإذا

صرفت تكون أي مدينة، فقوله تعالى : ﴿مِصْرًا﴾ [البقرة:٦١] أي أي بلدة؛ لأنّ ما طلبوه ليس هنا في الصحراء وإنما في أي مدينة.

السؤال الثاني:

كلمة (ضرب) تكررت في القرآن كثيراً بمعانٍ مختلفة، فكم معنى لها في اللغة؟

الجواب:

الضرب كثير في اللغة، وهو في اللغة: إيقاع شيء على شيء، والضرب مختلف في اللغة، وهذا يسمى (مشترك لفظي) أي: كلمة تتعدد معانيها بتعدد سياقها .

ومن ذلك :

- الضرب باليد والعصا.
- ضرب الدراهم، أي سكّها .
- الضرب في الأرض، أي: سار أو تاجر ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء:١٠١] تجارة أو ابتغاء الرزق .
- ضرب على يد فلان: إذا حجر عليه ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة:٦١] مثل الخيمة، ضرب على يده : إذا تبايعا وتعاقدا على البيع.
- المنع من السمع ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الكهف:١١] .
- ضرب المثل: يعني بيّنه ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ [يس:٧٨].
- بمعنى الإهمال ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزُّخرُف:٥] يعني : نهملكم .
- ضرب الوتد : يعني دقّه .

ـ ضرب ابنه : يعني ربّاه.

السؤال الثالث:

قوله تعالى ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة:٦١] لِمَ لم يقل ربنا سبحانه وتعالى (أصابتهم الذلة والمسكنة) ؟ أليست هذه الصيغة تؤدي معنى (ضربت عليهم الذلة والمسكنة)؟

الجواب:

تخيل قوماً أقاموا في مكان ما فضربت عليهم قُبّة، كيف تشاهد هذه الصورة؟ إنك تتخيل أفراداً ماكثين تحت قُبّة بحيث تحوطهم من كل جانب وتظلّهم، وكذلك هذه الآية فقد شبّه الله تعالى الذلة والمسكنة بالقبة التي أحاطت أهلها فلازموها ولم يغادروها، فكانت الذلة والمسكنة بيتهم الذي لايغادرونه ولا يحولون عنه، والمسكنة هي الفقر، وأُخِذ هذا المعنى من السكون؛ لأنّ الفقر يقلل حركة صاحبه ويجعله يؤثِر السكون.

السؤال الرابع:

ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة:٦١] في سورة البقرة وقوله : ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١١٢] في سورة آل عمران؟ ما دلالة الاختلاف بين (النبيين والأنبياء) وبين (بغير حق وبغير الحق) ؟

الجواب:

قال تعالى في سورة البقرة : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ

مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة:٦١].

وقال في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران:٢١] و ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران:١١٢] .

أولاً : (النبيين ـ أنبياء) :

١ـ جمع المذكر السالم بشكل عام يفيد القلة، نحو : نبيون .

٢ـ جمع تكسير يفيد الكثرة، نحو : أنبياء .

لذلك من حيث اللغة الأنبياء أكثر من النبيين من حيث العدد؛ لأنّ الأنبياء جمع تكسير وهو من جموع الكثرة، و(النبيين) جمع مذكر سالم وهو من جموع القلة.

ثانياً : بغير حق ، بغير الحق .

١ـ كلمة (الحق) معرّفة تعني الحق الذي يدعو للقتل، وهو معلوم (النفس بالنفس) فهناك أمور يستحق بها القتل.

٢ـ (بغير حق) نكرة، فهي تعني لا حق يدعو إلى القتل ولا إلى غيره، فإذا أراد تعالى أنْ يبيّن لنا العدوان يذكر (بغير حق).

٣ـ فعندما يقول: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران:١١٢] هذا أعظم وأكبر جرماً من ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران:٢١] ؛ لأنّ الأنبياء أعم وأشمل ، وكلمة ﴿حق﴾ من دون أي داعٍ؛ فهذا أكبر جرماً .

بينما ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة:٦١] النبيون أقل، و(الحق): الحق الذي يدعو إلى القتل .

ثالثاً ـ السياق :

نلاحظ في مقام الذم والكلام عن بني إسرائيل أن القرآن يقول: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران:١١٢] ؛لأنها أكثر وأعظم من : يقتلون النبيين بغير الحق.

في القرآن الكريم عندما يذكر معاصي بني إسرائيل يذكر (الأنبياء) لكثرة معاصيهم.

❁❁❁❁

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

السؤال الأول:

لِمَ عبّر تعالى في هذه الآية بـ ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [البقرة:٦٢] ولم يقل اليهود؟

الجواب:

في هذا التعبير إشارة إلى أنهم ليسوا اليهود، وإنما هم الذين انتسبوا إلى اليهود ولم يكونوا من سبط يهوذا أكبر أولاد يعقوب عليه السلام.

والنصارى جمع (نصرى)، نسبة إلى الناصرة، وهي قرية نشأت فيها مريم عليها السلام أم المسيح، وقد خرجت مريم من الناصرة قاصدة البيت المقدس فولدت المسيح في بيت لحم، ولذا سمي عيسى: يسوع الناصري، ومن ثَمَّ أُطلق على أتباعه اسم: النصارى.

السؤال الثاني:

ما وجه الاختلاف من الناحية البيانية بين آية ٦٢ في سورة البقرة، وآية ٦٩ في سورة المائدة وآية الحج ١٧ ؟ ولماذا : (الصابئين) و(الصابئون) ؟

الجواب:

جاء ذكر كلمة (الصابئين) في القرآن في ثلاث آيات، لكن بصور مختلفة :

السورة	اللفظ	البيان
البقرة	﴿وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾	العطف بالنصب وضع عادي
المائدة	﴿وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾	قدّم الصابئون ورفعها وأخّر النصارى.
الحج	﴿وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾	قدّم الصابئون ونصبها وأخّر النصارى

السؤال : لماذا في آية المائدة (٦٩) قدّم (الصابئون) ورفعها وأخّر النصارى؟

الجواب:

١ـ رفع (الصابئون) على غير إرادة التوكيد، ولو أراد التوكيد لنصبها ، وذلك لأنّ الصابئين هم أبعد المذكورين عن الإيمان، أي: أقلهم منزلة فقلّل التوكيد لهم؛ أي: أنّ الله جعل موازنة في آية المائدة فقدّم الصابئين ولم يؤكدهم ولم يعطهم الأولوية ليكون مقامهم كما في آية سورة البقرة مؤخرين على من ذُكر معهم ، وأخّر النصارى وأكّدهم، بينما في سورة البقرة قدّم النصارى وأكّدهم وأخّر الصابئين ، لكنْ جعلهم ملحوقين بالنصارى.

٢ـ التقديم كان لمقتضى السياق وليس التقديم للأفضل، والسياق في سورة المائدة هو ذم عقائد النصارى وأنهم كفروا بالله وجعلوا له شركاء، فأخّر النصارى لتقترب الكلمة من متابعة ذم عقائد النصارى، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة:٧٢-٧٣] .

لذلك رفع (الصابئون) للدلالة على أنهم أبعد المذكورين في الضلال؛ ولأنهم أقل منزلة، وأخّر النصارى لمتابعة السياق في ذم عقائدهم .

وكلمة (الصابئون) تعرب مبتدأ، وقد تكون اعتراضية وخبرها محذوف بمعنى : والصابئون كذلك.

٣ـ الدليل على أنّ التقديم ليس من الضروري أنْ يكون للتفضيل قوله تعالى في سورة الحج : ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج:٤٠] ، فالمساجد هي أفضل المذكور في الآية لكن أحيانا يُقدم ما هو أقل تفضيلاً؛ لأنّ سياق الآية يقتضي ذلك، وكذلك نرى في ذكر موسى وهارون في القرآن أحيانا يُقدم موسى على هارون وأحيانا يُقدم هارون على موسى بحسب سياق الآيات .

٤ ـ هناك فرق بين نهايتي آيتي البقرة والمائدة، علماً أنّ المذكورين في الآيتين واحد:

نهاية آية البقرة ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾ [البقرة:٦٢].

نهاية آية المائدة ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٩﴾ [المائدة:٦٩] .

فلماذا جاء في البقرة ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [البقرة:٦٢] ـ ولم تأتِ في المائدة ؟

والجواب:

آ ـ في سورة المائدة السياق في ذم عقائد اليهود والنصارى ذم مسهب، أمّا في البقرة فالكلام عن اليهود فقط وليس النصارى، أي أنّ سورة المائدة تكلمت عن اليهود أكثر مما جاء في سورة البقرة، حتى أنّ القرآن لم يذكر في البقرة العقوبات التي ذكرها في المائدة، انظر آيات المائدة [٦٠،٦٥] وسياق الغضب في المائدة على معتقدات النصارى أشد، فاقتضى السياق أنْ يكون زيادة الخير والرحمة في المكان الذي يكون أقل غضباً أي

في آية البقرة. مع ملاحظة أن جوَّ الرحمة ومفردات الرحمة وتوزيعها في سورة البقرة أكثر مما جاء في سورة المائدة، ولم تُجمع القردة والخنازير إلا في سورة المائدة.

ب ـ وردت الرحمة ومشتقاتها في سورة البقرة (١٩) مرة، بينما وردت في المائدة (٥) مرات؛ لذا اقتضى التفضيل بزيادة الرحمة في البقرة، والأجر يكون على قدر العمل للذين آمنوا من أهل الكتاب قبل تحريفه وهم مؤمنون بالله واليوم الآخر إيماناً حقيقياً.

ج ـ ورد في سورة المائدة ذكرحوالي (١٠) أنواع من العمل الصالح، ومنها : الوفاء بالعقود ـ الوضوء ـ الزكاة ـ الأمرَ بطاعة الله ورسوله ـ الإحسان ـ التعاون على البر والتقوى ـ إقام الصلاة ـ الجهاد في سبيل الله ـ استباق الخيرات .

بينما ورد في سورة البقرة أكثر من (٣٠) نوعاً من أنواع الخير، وتشمل كل ما ذُكر في المائدة عدا الوضوء إضافة إلى [الحج والعمرة ـ الصيام ـ الإنفاق ـ العكوف في المساجد ـ بر الوالدين ـ الهجرة في سبيل الله ـ إيفاء الدين ـ الإصلاح بين الناس وغيرها كثير]؛ لذا اقتضى كل هذا العمل في البقرة أنْ يكون الأجر أكبر﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة:٦٢] .

د ـ لم ترد الآية ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢] بهذا الشكل إلا في سورة البقرة ، وترددت مفردات الجزء الأول منها في البقرة أكثر من المائدة حسبما يلي:

هـ ـ ترددت مفردات ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة:٦٢] في كل سورة حسب التالي:

(الفاء) في البقرة (٢٦٠) مرة، وفي المائدة (١٨٠) مرة.

﴿لَهُمْ﴾ في البقرة (٢٩) مرة، وفي المائدة (١٥) مرة.

﴿أَجْرُهُمْ﴾ في البقرة (٥) مرة، وفي المائدة (١) مرة واحدة.

﴿عِندَ﴾ في البقرة (١٩) مرة، وفي المائدة (١) مرة واحدة.

﴿رَبِّهِمْ﴾ في البقرة (١٠) مرة، وفي المائدة (٢) مرتان.

سؤال :

آية الحج رقم [١٧] قال فيها سبحانه : ﴿وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ﴾ فنصب الصابئين وقدمهم على النصارى ، فلماذا ؟

جواب :

١ـ السياق في سورة الحج موقف قضاء، والله سبحانه وتعالى لا يفرّق بين المتخاصمين ما داموا في طور الفصل ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء:٥٨] فالمتخاصمون جميعهم سواء أمام القاضي حتى على المستوى اللغوي.

شواهد قرآنية :

قال تعالى في نهاية آية الحج: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ [الحج:١٧] .

وقال في سورة السجدة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة:٢٥] .

والفرق بين الآيتين أنه قال في الحج: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ وقال في السجدة : ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ [السجدة:٢٥] وزاد ﴿هُوَ﴾ [السجدة:٢٥] بخلاف آية الحج ، فلماذا ؟

آ ـ في سورة الحج الله سبحانه وتعالى جعل الذين آمنوا من جملة المتخاصمين فلم يقل: (ربك) حتى لا ينحاز للمؤمنين، وعلى مبدأ العدل والتساوي في طور الفصل، فجاء بالاسم الأعم وهو (الله).

أمّا آية السجدة فجاء قبلها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة:٢٣-٢٤] فليس فيهم جماعة من جماعة المؤمنين فقال : (إن ربك)، والله أعلم.

ب ـ في آية الحج لم يأت بـ(هو) وجاء بها في سورة السجدة؛ لأنّ خاتمة آية السجدة ﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة:٢٥] وخاتمة آية الحج ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج:١٧]؛ لأنّ الاختلاف هو مظنة الفصل، لذا جاء بـ (هو) في آية السجدة، ولا يوجد اختلاف في آية سورة الحج .

ج ـ وكذلك السمة اللفظية؛ فقد وردت كلمة (ربك) في سورة الحج (٣) مرات وفي السجدة (١٠) مرات.

ووردت كلمة (الله) (٧٦) مرة في سورة الحج، وفي السجدة جاءت مرة واحدة، فناسب أنْ يأتي بكلمة (ربك) في سورة السجدة وكلمة (الله) في سورة الحج، والله أعلم .

٢ـ آية البقرة رقم [٦٢] :

جاءت كلمة ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ بالنصب والعطف على اسم إن باللفظ، وجاءت في الوضع العادي بعد اليهود والنصارى ، فالتسلسل هو المناسب تاريخياً .

والمعنى العام للآية: أنّ من آمن وعمل صالحا من كل هذه الفرق في زمانه أو زمان رسوله الخاص فله أجره، وهذا ما قبل بعثة الرسول محمد ﷺ، أمّا بعد بعثته فلا بدّ من الإيمان به والتصديق بدعوته، ولا يصح إيمان الفرق السابقة بعد بعثة الرسول الكريم ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥] .

وفي الآية دعوة للجميع للدخول في الإسلام، وذكر الذين آمنوا بمعنيين :

آ ـ الذين آمنوا بدين أنبيائهم وفي زمانهم آنذاك، وهؤلاء مطالبون بالدخول في الإسلام إنْ كانوا لا يزالون أحياء على زمن الرسول محمد ﷺ.

ب ـ غيرهم، فالجميع حتى المسلمون مطالبون بالدخول في الإسلام، والآية تعطي تساويا للجميع في طلب الدخول في دين الإسلام، وحتى يشعر اليهود الذين يظنون أنهم شعب الله المختار أنه طالما طُلِبَ من المسلمين أنْ يدخلوا في الإيمان بدين النبي محمد ﷺ، فمن الأولى أنْ نطالب نحن بذلك أيضاً ، والله أعلم.

٣ـ نهاية آية البقرة وآية المائدة واحدة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة:٣٨] [المائدة:٦٩] وهي تفيد ما يلي :

آـ الفاء ليست للعطف وإنما هي جواب شرط.

ب ـ نفى الخوف بالصيغة الاسمية، ونفى الحزن بالصيغة الفعلية ، وخصص الحزن بالضمير (ولا هم) وعطف بـ﴿هُمْ﴾ على الجملة الاسمية؛ لأنها أفصح وأثبت.

ولا يصح أنْ يقال: (لا يخافون) فالخوف شيء طبيعي موجود عند الإنسان ، فالمعنى أنه لا يُخشى عليه خطر، فقد يكونون خائفين لكنّ الأمان من الله أمّنهم بأنه لا خوف عليهم .

ج ـ جعل الحزن بالفعل وأسنده إليهم، ولو قال: (لا حزن) فتعني لا حزن عليهم من الغير، بينما المهم للإنسان أنْ لا يكون هو في حزن، وليس المهم حزن الآخرين عليه.

د ـ قالوا: إنّ معنى ﴿لَا خَوْفٌ﴾ أي: على الماضي من الدنيا، فجاء بالصيغة الاسمية للتثبيت أنه لا خوف ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ مما يقابلهم في المستقبل، وقد تتكرر دواعي الحزن فجاء بالفعل الدال على الحدوث .

هـ ـ قدّم الضمير : ﴿هُمْ﴾ للقصر، فنفى عنهم الحزن وأثبته لغيرهم من أهل الضلال .

و ـ لم يقل: (لا عليهم خوف)؛ لأنه لا يصح المعنى ولو قالها لكان معناها : أنه نفى الخوف عنهم وأثبت أنّ الخوف على غيرهم، يعني يخاف على الكفار .

ز ـ لم يقل: (لا خوفَ)؛ لأنه في هذه الحالة تكون (لا) نافية لجنس الخوف، أي: للجميع، أمّا ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ بالرفع فتفيد نفي الجنس ونفي الواحد، والسياق عيّن أنه لا خوف عليهم على سبيل المدح والاستغراق . والله أعلم .

السؤال الثالث:

ما سبب تقديم وتأخير كلمة (الصابئين)، وما سبب رفعها ونصبها في آيتي البقرة [٦٢] والمائدة [٦٩] ؟ ولِمَ بقي الوضع على أصله في آية الحج ؟

الجواب:

في المائدة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المائدة:٦٩] وفي البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢] بشكل عام النصب ليس فيه إشكال، وإنما الرفع هو الذي كثيراً ما يُسأل عنه، والنصب معطوف على منصوب.

١ـ الرفع في آية سورة المائدة من حيث الناحية الإعرابية ليس فيه إشكال عند النحاة؛ لأنهم يقولون على غير إرادة ﴿إِنَّ﴾ أي: على محل إسم إنّ .

وفي الأصل اسم إنّ قبل أنْ تدخل عليه مرفوع، فهذا مرفوع على المحل، أو يجعلونه جملة: (والصابئون كذلك)، لكن لماذا فعل ذلك حتى لو خرّجناها نحوياً؟ هي ليست مسألة إعراب فالإعراب يخرّج؛ لأنه يمكن أنْ نجعلها جملة معترضة وينتهي الإشكال، لكنْ لماذا رفع؟

﴿إِنَّ﴾ تفيد التوكيد، معناه أنه قسم مؤكّد وقسم غير مؤكد، أي: (الصابئون) غير مؤكد والباقي مؤكد لماذا؟ لأنهم دونهم في المنزلة، فهم أبعد المذكورين ضلالاً، ويقول المفسرون: إنّ هؤلاء يعبدون النجوم، صبأ في اللغة، أي: خرج عن المِلّة، عن الدين ، فالصابئون خرجوا عن الديانات المشهورة، وهم قسمان:

قسم قالوا إنهم يعبدون النجوم، وقسم متبعون ليحيى عليه السلام، فهؤلاء أبعد المذكورين، والباقون أصحاب كتاب، الذين هادوا أصحاب كتاب وعندهم التوراة،

والنصارى عندهم كتاب الإنجيل، والذين آمنوا عندهم القرآن، بينما الصابئون ليس عندهم كتاب، وبالنسبة لنا هم أبعد المذكورين ضلالاً، ولذلك هم دونهم في الديانة والاعتقاد ولذلك لم يجعلهم بمنزلة واحدة فرفع فكانوا أقل توكيداً. و﴿إِنَّ﴾ للتوكيد. نقول: محمد قائم ،ونقول: إنّ محمداً قائم، هذه أقوى.

٢ـ لكن لماذا لم يأت بها مرفوعة ووضعها في نهاية الترتيب؟

في آية التوبة ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ ﴾ [التوبة:٣] ما قال: (ورسولَه) بالنصب، مع أنه يمكن العطف على لفظ الجلالة ﴿الله﴾، فلم يعطف على اسم الجلالة وإنما عطف على المحل، أي: (ورسوله بريء)؛ لأنّ براءة الرسول ﷺ ليست ندّاً لبراءة الله تعالى ولكنها تبع لها وليست مثلها، فبراءة الله تعالى هي الأولى، ولو قال: (ورسولَه) بالنصب تكون مؤكدة كالأولى، فإشارة إلى أنّ براءته ليست بمنزلة براءة الله سبحانه وتعالى، وإنما هي دونها فرفع على غير إرادة ﴿إِنَّ﴾، حتى في الشعر العربي قول الشاعر جرير:

إنّ النبـــــوةَ والخلافـــــةَ فـــــيهم   والمكرمـــــاتُ وســـــادةٌ أطهـــــارُ

قال: (المكرماتُ) ولم يقل: (المكرماتِ)؛ لأنّ هؤلاء السادة لا يرتقون لا إلى النبوة ولا إلى الخلافة، هذه الدلالة موجودة في الشعر ففهمها العرب.

٣ـ يبقى السؤال حول التقديم والتأخير في الترتيب: آية المائدة قال: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [المائدة:٦٩] وآية البقرة: ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ [البقرة:٦٢] ، أي: في المائدة قدّم ورفع الصابئين؛ لأنه أتبع هذه الآية بذمّ النصارى في المائدة ذماً فظيعاً على معتقداتهم،

وتكلم عن عقيدة التثليث فجعلهم كأنهم لم يؤمنوا بالله وكأنهم صنف من المشركين ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:٧٢]

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة: ٧٣ - ٧٤].

فلمّا كان الكلام عن ذم العقائد (عقيدة النصارى) أخّر النصارى حتى تكون منزلتهم أقل وقدّم الصابئين مع أنهم لا يستحقون، وأخّر النصارى لأنه ذمّ عقيدتهم.

٤ـ في سورة الحج تحدث عن مطلق الإيمان والكفر والحساب يوم القيامة، لذلك لمّا ذكرهم أولاً ذكرهم بالتأكيد ثم جمعهم جميعاً حتى يأتي معنى كلمة يفصل بينهم. لاحظ الآية : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج: ١٦ - ١٧] إذن هنا لا مجال ولا معنى لفصل المؤمنين؛ لأنّ الفصل سيكون يوم القيامة .

السؤال الرابع:

قال في البقرة: ٦٢ ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [البقرة:٦٢] فما الفرق بينها وبين (عمل عملاً صالحاً) ؟

الجواب:

في عموم القرآن إذا كان السياق في العمل يقول: ﴿عَمَلًا صَالِحًا﴾ كما في آخر سورة الكهف ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠] لأنه

تكلم عن الأشخاص الذين يعملون أعمالاً سيئة ويكون السياق في الأعمال نحو ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤] والسورة أصلاً بدأت بالعمل ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [الكهف:٢] .

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢] فليست في سياق الأعمال فقال: ﴿عَمِلَ صَالِحًا﴾ .

❁❁❁❁

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في تقديم كلمة ﴿الْجَبَلَ﴾ فى آية الأعراف: ١٧١،وتأخير ﴿الطُّورَ﴾ فى آية البقرة رقم ٦٣، والنساء: ١٥٤ ؟

الجواب:

١ـ استعمل القرآن ﴿الطُّورَ﴾ في آيتي البقرة والنساء، واستعمل ﴿الْجَبَلَ﴾ في آية الأعراف؛ وذلك لأنّ التهديد في آية الأعراف أشد، فاستعمل لفظ الجبل؛ لأن الجبل أعظم من الطور .

٢ـ وأمّا سبب التقديم والتأخير فيقول سيبويه: يقدمون الذي هو أهمّ لهم وهم أعنى به.

٣ـ والتقديم والتأخير في القرآن الكريم يقرره سياق الآيات، فقد يتقدم المفضول، وقد يتقدم الفاضل، والكلام في سورة الأعراف عن بني إسرائيل والطور ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف:١٧١] **فقدّم الجبل على بني إسرائيل .**

أمّا في آية أخرى في سورة البقرة ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة:٦٣] **أخّر الطور؛ لأنّ سياق الآيات في السورة هو في الكلام عن بني إسرائيل وليس في الطور نفسه.**

٤ـ الجبل هو اسم لما طال وعظُم من أوتاد الأرض، والجبل أكبر وأهم من الطور من حيث التكوين.

٥ـ النتق أشد وأقوى من الرفع الذي هو ضد الوضع، ومن النتق أيضاً: الجذب والاقتلاع وحمل الشيء والتهديد للرمي به، وفيه إخافة وتهديد كبيرين.

ولذلك ذكر الجبل في آية سورة الأعراف؛ لأنّ الجبل أعظم ويحتاج للزعزعة والاقتلاع، وعادة ما تُذكر الجبال في القرآن في مواقع التهويل والتعظيم، ولذا جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف:١٤٣] ولم يقل الطور.

٦ـ لذلك استعمل ﴿نَتَقْنَا﴾ مع ﴿الْجَبَلَ﴾ ؛لأنّ النتق والجبل أشد تهديداً وتهويلاً؛ ولأنّ المقام يقتضي ذلك، فإنه أفاض في ذكر صفات بني إسرائيل الذميمة ومعاصيهم في

الأعراف ما لم يُفضه في سورتي البقرة والنساء، فاقتضى أنْ يكون كل تعبير في مكانه ، والله أعلم.

السؤال الثاني:

قال في الآية: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة:٦٣] ولم يقل: (من فوقكم) فما السبب؟

الجواب:

(من) تفيد الابتداء، وفي آية البقرة ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة:٦٣] ليس رفع الطور مباشرة من فوق رؤوسهم بل هناك مسافة بين الطور والرؤوس ولذلك لم يستعمل (من فوقكم).

السؤال الثالث:

ما سبب تخويفهم برفع الطور فوق رؤوس بني إسرائيل ؟

الجواب:

التكليف من الله تعالى، والله لا يكلف نفساً إلا وسعها، والله يعلم منذ الأزل أنّ في وسعك أنْ تؤدي التكليف، ولكنّ اليهود قالوا: نحن لا نطيق التكليف وفكّروا ألا يلتزموا به بالرغم من تعدد نعم الله عليهم ، والله تعالى لم يرغم أحداً على التكليف، ولكنه – رحمة منه – خيّرهم بين التكليف وعذاب يصيبهم فيهلكهم، وهذا العذاب هو أنْ يُطبق عليهم جبل الطور، فالمسألة ليس فيها إجبار ولكن فيها تخيير، وقد خُيّر الذين من قبلهم بين الإيمان والهلاك فلم يصدقوا حتى أصابهم الهلاك.

وحين رأى بنو إسرائيل الجبل فوقهم خشعوا ساجدين على الأرض ، فكان معنى سجودهم أنهم قبلوا المنهج، ولكنهم كانوا وهم ساجدون ينظرون إلى الجبل فوقهم خشية أنْ يطبق عليهم ..

ولذلك تجد سجود اليهود حتى اليوم على جهة من الوجه بينما الجهة الأخرى تنظر إلى أعلى .

ولو سألت يهودياً عن ذلك لقال : أنا أحمل التوراة واهتز منتفضاً، لأنهم اهتزوا ساعة رفع الله الطور فوقهم فكانوا في كل صلاة يأخذون الوضع نفسه ثم نقل ذلك إلى الأبناء والأحفاد، واعتقدت ذريتهم من بعدهم أنها شرط من شروط السجود عندهم، ولذلك أصبح سجودهم على جانب من الوجه، أي: على الصورة التي حدثت لهم ساعة رفع جبل الطور.

❊❊❊❊

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

الفعل (كونوا) هو فعل أمر، وفعل الأمر له معانٍ متعددة، فما أشهر معانيه؟

الجواب:

فعل الأمر هو طلب الفعل بصيغة مخصوصة ، ومن أشهر معانيه :

١ـ الإباحة: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾ [المائدة:٢] .

٢ـ الدعاء : ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [نوح:٢٨] .

٣ـ التهديد : ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فُصِّلت:٤٠] .

٤ـ التوجيه والإرشاد : ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة:٤٥] .

٥ـ الإكرام : ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦﴾ [الحِجر:٤٦] .

٦ـ الإهانة : ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾ [الدخان:٤٩] .

٧ـ الاحتقار : ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ [طه:٧٢] .

٨ـ التسوية : ﴿ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ﴾ [الطور:١٦] .

٩ـ الامتنان : ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾ [المُلك:١٥] .

١٠ ـ التعجب : ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [الإسراء:٤٨] .

١١ ـ التكذيب : ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ﴾ [آل عمران:٩٣] .

١٢ـ التعجيز : ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣] .

١٣ـ الإذلال : ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ٦٥﴾ [البقرة:٦٥] .

١٤ـ إظهار القدرة : ﴿۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠﴾ [الإسراء:٥٠] .

وزمن فعل الأمر للمستقبل ، لكنه أوسع من ذلك فقد يكون دالاً على :

آ ـ الاستقبال المطلق قريباً أو بعيداً: ﴿فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ٦٨﴾ [البقرة:٦٨] للقريب، ﴿رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ﴾ [الفرقان:٦٥] للبعيد.

ب ـ الحال: ﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٨ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٨ ، ٤٩] فـ (ذق) من الذوق مصاحب لصب الحميم .

ج ـ الأمر الحاصل في الماضي، فقوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ﴾ [يوسف:٩٩] كان بعد دخولهم إياها فهو أمر يفيد الماضي. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦﴾ [الحجر:٤٥-٤٦] فقوله: ﴿ٱدۡخُلُوهَا﴾ كان بعد دخولهم الجنة، وكذلك قوله: ﴿وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ٣٨ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر:٣٨-٣٩] فقوله: (ذوقوا) كان بعد تصبيحهم بالعذاب.

وقول الرسول ﷺ: «**افعل ولا حرج**» فهذا من باب إقرار ما حصل في الماضي.

د ـ الأمر المستمر ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة:٨٣].

❋❋❋❋

﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ٦٩﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ﴿فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا﴾ [البقرة:٦٩] في الآية؟

الجواب:

لو قال تعالى: (بقرة صفراء) لعلِم بنو إسرائيل أنه لون الصُفرة سيما أنّ هذا اللون نادر في البقر، فلِمَ قيّد الصفرة بصفة فاقع؟

في هذا التعبير مزيد من التعجيز، والتقييد والتحديد لبقرة بعينها دون سواها وهنا تضييق على بني إسرائيل، فعندما شدّدوا شدّد الله تعالى عليهم.

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٧٠] لِمَ قالوا هذه الجملة في هذه الآية، مع أنهم لم يقولوها في المرات السابقة؟

الجواب:

في الأصل طلب الله منهم أنْ يذبحوا ﴿بَقَرَةٌ﴾ بالتنكير المطلوب، أي: أنْ يمسكوا أي بقرة فيذبحوها، فشددوا فشدد الله سبحانه وتعالى عليهم.

طلب بنو إسرائيل صفات البقرة على ثلاث مراحل:

آ ـ طلبوا تحديد ماهيتها في البداية ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾ [البقرة:٦٨].

ب ـ و طلبوا تحديد لونها ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ﴾ [البقرة:٦٩] ولم يعللوا سبب طلبهم.

ج ـ في المرة الثالثة قالوا: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [البقرة:٧٠] ولجأوا للتعليل؛ لأنّ فعل الشيء ثلاث مرات يكون له وقع في النفس من الضجر؛ فلا بدّ من إضافة تعليل في المرة الثالثة.

﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا
شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق في استعمالات الفعل (كاد) في قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة:٧١] و ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ﴾ [النور:٤٠] و ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [القلم:٥١] ؟ وما الفرق بين كاد وعسى ؟

الجواب:

(كاد)

(كاد) من أفعال المقاربة، أي: قارب الحصول ولم يحصل، بينما (عسى) هو لمقاربة الأمر على سبيل الرجاء .

ـ خبر كاد فعل مضارع غير مقترن بأنْ على الغالب، وذلك لقربها من الوقوع.

ـ خبر عسى فعل مضارع مقترن بأنْ على الغالب؛ لأنّ (أنْ) تدل على الاستقبال.

وقيل: إنَّ (كاد) إثباتها نفي ونفيها إثبات، فإن قلت : كاد يفعل ، فمعناه لم يفعل، وإنْ قلت : ما كاد يفعل، فمعناه أنه فعله بعد جهد، بدليل قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة:٧١] .

ومعنى قوله تعالى: ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ﴾ [النور:٤٠] أي: مبالغة في لم يرها ، أي: لم يقرب أنْ يراها فضلاً عن أنْ يراها، والأصح أنّ المعنى أنه يراها بعد اجتهاد ويأس من رؤيتها.

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٧١﴾ [البقرة:٧١]أي: ذبحوها بعد الجهد، وبعد أنْ كان بعيداً في الظن أن يذبحوها

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢﴾ [الزُّخرُف:٥٢] هذا الكلام عن لسان فرعون في موسى عليه السلام، ولا شك أنّ موسى كان يبين بدلالة المحاجات المتعددة التي ذكرها القرآن مع فرعون، والمعنى أنه كان يبين لكنْ بصعوبة.

ومعنى قوله تعالى: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٣﴾ [الكهف:٩٣]هذه المحاورة تدل على أنهم يفقهون ولكنْ بصعوبة، ولا تدل على أنهم لا يفقهون وإلا فما هذه المحاورة بينهما؟

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [القلم:٥١] دلالة على شدة تحديق المشركين ونظرهم للرسول ﷺ في حالة قراءة النبي للقرآن، وهو قوله: ﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ [القلم:٥١] غيظاً وسخطاً بحيث لو أمكنهم أنْ يصرعوه لصرعوه .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿يَفْعَلُونَ ۝٧١﴾ ما الفرق بين (يعملون) و(يفعلون) وما الفرق بين الفعل والعمل والصنع؟

الجواب:

١ـ العمل هو إيجاد الأثر في الشيء وعلى الأغلب فيه قصد ، ويحتاج إلى امتداد زمن، يقال : فلان يعمل من الطين خزفاً، وهو مختص بالإنسان من المخلوقات، كما ينسب العمل إلى الله سبحانه نحو ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ [يس:٧١].

٢ـ الفعل عام، وقد يكون بقصد أو بغير قصد، ويصلح أنْ يقع من الحيوان أو الجماد، كما تقول : فعل الرياح .

٣ـ الصنع : أخص من الاثنين، وهو إجادة العمل ويحتاج إلى دقة ولا ينسب إلى حيوان أو جماد .

٤ـ الفعل عام، والعمل أخصّ من الفعل، والصنع أخص.

ونستطيع أن ننظر في معاني الآيات، فالتي فيها زمن يقول (يعملون) وما ليس فيه امتداد زمن وهو مفاجئ يقول (يفعلون).

شواهد قرآنية : **العمل** :

ـ قوله تعالى عن الجان: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ﴾ [سبأ:١٣] ، وهذا العمل يقتضي منهم وقتاً .

ـ قوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس:٧١] ما قال: فعلت ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس:٣٥]؛ لأنّ خلق الأنعام والثمار يحتاج لوقت، الله تعالى عندما يخلق التفاحة لا يخلقها فجأة، فقال: عملت أيدينا، يعني هذا النظام معمول بهذا الشكل؛ لأنّ فيه امتداد زمن.

قوله تعالى :﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة:٩٦] أي: في الحياة؛ لأنّ مدة العمل فيه مدة.

شواهد قرآنية : الفعل :

ـ قوله تعالى عن الملائكة: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل:٥٠]؛ لأنّ فعل الملائكة برمش العين.

ـ قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾﴾ [الفجر:٦] باللحظة أرسل عليهم حجارة.

ـ قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾﴾ [الفجر:٦] خسف بهم .

ـ قوله تعالى ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ [إبراهيم:٤٥] أي: العقوبات، وغضب الله سبحانه وتعالى لمّا ينزل على الضالين والظالمين أنفسهم ينزل فوراً ولا يحتاج لامتداد زمن.

ـ قوله تعالى ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة:٧١] أي: كادوا لا يفعلون والذبح سريع فهو فعل.

شواهد قرآنية : **الصنع** :

ـ قوله تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل:٨٨].

ـ قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة:١٤] أي: ما يخططون ويدبرون بدقة.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ [البقرة:٧٢] جاءت بعد الأمر بذبح البقرة في الآية ٦٧ ، فما فائدة تقديم الذبح في البيان ؟

الجواب:

آيات البقرة هي في بيان النعم على بني إسرائيل، فناسب تقديم ذكر النعمة على ذكر الذنب .

والله أعلم .

﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة:٧٦] ما الفرق بين (فتح الله لك) و(فتح الله عليك)؟

الجواب:

١ـ فتح الله لك: تأتي في الخير وفي غير الخير.

٢ـ فتح الله عليك: تأتي في الخير وفي غير الخير، لكنْ تأتي من فوق.

شواهد قرآنية:

ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحِجر:١٤] في الشر.

ـ قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [المؤمنون:٧٧] في الشر.

ـ قوله تعالى: ﴿لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف:٩٦] في الخير.

ـ قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة:٧٦] في الخير، والله أعلم.

﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾

السؤال الأول:

هل هذا الاستفهام في الآية حقيقي؟

الجواب:

هل ينتظر المستفهِم جواباً لسؤاله؟ إنك قد تقول لولدك أو عاملك: ألم تعلم أني أكره هذا الأمر؟ فسؤالك لا تنتظر له جواباً، وإنما غايتك لوم الفاعل، وهذا لا ينتظر منه جواباً وإنما الغاية لوم الفاعل .

وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٧] استفهام غايته التوبيخ ولوم القوم.

❋❋❋❋

﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾

السؤال الأول:

الأمي هو من لا يعرف القراءة ولا الكتابة لكن من أين أتى هذا اللفظ؟ ومن أين اكتسب معناه؟

الجواب:

إن كلمة (أُمِّيٍّ) اسم منسوب، والنِّسبةُ: هي كل اسم انتهى بياء مشددة ، فإذا أردنا أن ننسب رجلاً إلى اليمن نقول هو يمنيٌّ، فما الكلمة التي نُسِب إليها الأُمِّيُّ؟ إن هذا الاسم منسوب إلى الأمِّ، أي: الوالدة؛ لأنه بقي على الحال التي بقي عليها مدة حضانة أمه له فلم يكتسب علماً جديداً ، لذلك قيل عنه أميّ.

السؤال الثاني:

ما المعسكرات التي واجهت الدعوة الإسلامية في مكة والمدينة ؟

الجواب:

المعسكرات التي واجهت الدعوة الإسلامية هي :

آ ـ المشركون في مكة.

ب ـ أهل الكتاب في المدينة ، ومعظمهم من اليهود، أمّا النصارى فعددهم قليل.

واليهود قسمان :

١ ـ ﴿أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨] وهؤلاء لا يعرفون من التوراة إلا ما يقوله لهم أحبارهم فقط، وهؤلاء ربما لو كانوا يعلمون ما في التوراة من صفات الرسول ﷺ لآمنوا به، والله لم ينفِ عنهم مطلق العلم ولكنه نفى خصوصية العلم؛ لأنه قال: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨] .

والأماني بالتخفيف جمع أُمنِيَةٍ، وبالتشديد جمع أُمنِيَّةٍ ، وهؤلاء الأميّون يأخذون المعلومات البسيطة من أحبارهم فيصدقونهم دون مناقشة، فيحمل هؤلاء الأحبار أوزارهم وأوزار الذين يضلونهم بغير علم.

وكلمة ﴿أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨] لها معان مشتركة في أصل واحد، ومنها :

آ ـ ما يتخيله الإنسان فيقدّر في نفسه وقوعه، كقوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء:١٢٠] ويكون معنى الآية [٧٨] أنّ أمانيهم في أنّ الله

تعالى لا يؤاخذهم بخطاياهم، وأنّ آباءهم يشفعون لهم، وأنّ النار لا تمسهم إلا أياماً معدودة .

ب ـ ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾: بمعنى أكاذيب سمعوها من علمائهم فقبلوها على التقليد.

ج ـ ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ : إلا ما يقرؤون، أي: إلا بقدر ما يتلى عليهم فيسمعونه ثم إنهم لا يتمكنون من التدبر والتأمل.

٢ ـ وقسم يعلمون التوراة، ولكنهم يغيرون ما فيها ويكتبونه بأيديهم ويقولون هذا من عند الله، ولذلك توعدهم الله بالعذاب: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة:٧٩] وهؤلاء متعمدون للإثم، وليست صكوك الغفران إلا شكلاً من أشكال كسبهم الحرام .

❁❁❁❁

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين (يا ويلنا) وبين (يا ويلتي) ؟

الجواب:

الويل : هو الهلاك والعذاب، واسم لوادٍ في جهنم، ويجمع على ويلات، وقد تلحقه الهاء فيصبح: الويلة : وهي الفضيحة والخزي.

وقد وردت (الويل) في عدة صيغ هي :

آ ـ ﴿وَيْلٌ﴾ في سبعة وعشرين موضعاً.

ب ـ ﴿وَيْلَكَ﴾ الأحقاف [١٧].

ج ـ ﴿وَيْلَكُمْ﴾ [طه:٦١] ، القصص[٨٠].

د ـ ﴿يَٰوَيْلَنَآ﴾ [الأنبياء:١٤] ، الأنبياء[١٤،٤٦، ٩٧] ، يس [٥٢]، الصافات[٢٠]، القلم[٣١].

وكذلك وردت ﴿الويلة﴾في صيغتين :

آ ـ ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ [هود:٧٢]، الفرقان[٢٨].

ب ـ ﴿يَٰوَيْلَتَنَا﴾ [الكهف:٤٩] .

السؤال الثاني:

ما فائدة ذكر كلمة ﴿أَيْدِيهِمْ﴾ في الآية ؟

الجواب:

ذكر كلمة ﴿أَيْدِيهِمْ﴾ مع أنّ الكتابة تتم باليد؛ لتأكيد وقوع الكتابة من قِبَلهم وتبيان أنهم عامدون في ذلك، كما تقول نظر بعينه مع أنّ النظر لا يكون ولا يتم إلا بالعين، وتقول تكلّم بفمك فالغاية من هذا كله تأكيد العمل.

﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين دلالة الجمع في (معدودة) و(معدودات)؟

الجواب:

القاعدة: وصف جمع غير العاقل: إنْ كان بالإفراد يكون أكثر من حيث العدد من الجمع السالم، كأنهار جارية وأنهار جاريات، فالجارية أكثر من حيث العدد من الجاريات، وأشجار مثمرة أكثر من مثمرات، وجبال شاهقة أكثر من حيث العدد من شاهقات، فالعدد في الأولى أكثر، وجمع السالم قلة. فهذه من المواضع التي يكون فيها المفرد أكثر من الجمع.

لذلك تكون (معدودات) جمع قلّة، وهي أقل من (١٠)، أمّا (معدودة) فهي تدل على أكثر من (١٠).

شواهد قرآنية:

ـ قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [آل عمران:٢٤] اختيار كلمة ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ في هذه الآية؛ لأنّ الذنوب التي ذُكرت في هذه الآية أقلّ.

ـ وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [البقرة:٨٠] اختيار

كلمة ﴿مَّعۡدُودَةً﴾ في هذه الآية؛ لأنّ الذنوب التي ذُكرت في سياق هذه الآية أكثر. انظر آيات البقرة [٧٥: ٨٠].

ـ وقد قال تعالى في سورة يوسف عليه السلام: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۢ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠﴾ [يوسف:٢٠] أي أكثر من ١١ درهما، ولو قال: معدودات، لكانت أقل.

❁❁❁❁

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١﴾ [البقرة:٨١] كيف تحيط الخطايا والإثم بالإنسان؟

الجواب:

الخطيئة اسم لما يقترفه الإنسان من آثام وجرائم، تأمل السِّوار الذي يحيط بالمعصم لا يبقي منفذاً من اليد خالياً دون إحاطة، وهذه صورة الخطايا والآثام عندما تكثر فهي تلتف حول الجسم والروح ولا تدع للإنسان مجالاً لحرية الهروب من الخطأ، كذلك الفاسق لو أبصر أيمن منه وأيسر منه ولو أبصر فوقه أو أسفل منه لما رأى إلا المنكر الذي ألِفَه واعتاده.

السؤال الثاني:

مادلالة هذه الآية وما يستفاد منها ؟

الجواب:

١ـ بلى : حرف جواب في النفي، أي: ينفي الذي قبلها، أي: نفى قول اليهود: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [البقرة:٨٠] .

٢ـ هنا نلاحظ أنّ الحق سبحانه قال: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ [البقرة:٨١] وكان السياق أنْ يقال: اكتسب ، ولكنْ لأنهم ظنوا أنهم كسبوا .

ونلاحظ أنّ القرآن استعمل كسب مع السيئة؛ لأنه يتحدث عن الذين أسرفوا على أنفسهم وبالغوا في المعصية حتى أحبوها وعشقوها، بل ويتحدثون بها ويجاهرون، فكأنّ المعصية تأتي منهم طبيعية يفعلونها بدون افتعال ولا احتياط، فهي في حقهم كسب لا اكتساب ، ويفرحون بها كأنها مكسب، فلا يؤنبون أنفسهم ولا يلومونها ولا يندمون على معصيتهم.

٣ـ وقوله تعالى: ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة:٨١] أي: إحاطة لا يوجد فيها منفذ للإفلات من الخطيئة؛ ولذلك هؤلاء ليسوا عصاة فقط، بل كانوا كافرين مشركين، فكان الجزاء﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة:٨١] بالجملة الاسمية الدالة على الثبات.

هناك من يندم على المعصية وهذا له توبة، وهناك من يفرح بالمعصية وهذا يزداد معصية .

السؤال الثالث:

ما دلالة الحرف (بلى) وكم مرة ورد في القرآن الكريم ؟

الجواب:

(بلى) حرف جواب لاستفهام فيه حرف نفي، كقولك : ألم تفعل كذا؟ فيقول : بلى، وكما في قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢] . وفي «مختار الصحاح» : (بلى) جواب للتحقيق توجب ما يقال لك؛ لأنها ترك للنفي وهي ضد (لا) .

وقيل: الألف في (بلى) أصلية ، وقيل: الأصل (بل) والألف زائدة ، وقيل : هي للتأنيث بدليل إمالتها .

وقد وردت (بلى) في القرآن الكريم في (٢٢) موضعاً، وفي (١٦) سورة، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ـ وهو اختيار القراء وأهل اللغة : الوقف عليها؛ لأنها جواب لما قبلها غير متعلق بما بعدها؛ وذلك في عشر مواضع :

البقرة موضعان(٨١-١١٢) آل عمران موضعان (٧٦ـ ١٢٥) الأعراف (١٧٢) النحل (٢٨) يس (٨١) غافر (٥٠) الأحقاف (٣٣) الانشقاق(١٥)، وقد أجاز بعضهم الابتداء بها وليس بمختار، والله أعلم .

٢ـ ما لا يجوز الوقف عليه لتعلق ما بعدها بما قبلها، وذلك في سبع مواضع :

الأنعام (٣٠) في قوله تعالى ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ﴾ [الأنعام:٣٠] وفي النحل (٣٨) سبأ (٣) ،الزمر (٥٩) الأحقاف (٣٤) التغابن (٧) القيامة (٤).

٣ ـ وفيه الخلاف بين جواز الوقف ومنعه ، والأحسن عدم الوقف لاتصالها بما قبلها؛ وذلك في خمس مواضع :

البقرة (٢٦٠) في قوله تعالى ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ﴾ [البقرة:٢٦٠]، الزمر (٧١) الزخرف (٨٠) الحديد (١٤) الملك (٩) .

السؤال الرابع:

ما الفرق بين أدوات الجواب التالية : نعم ـ بلى ـ أجل ـ أي ـ جلل ؟

الجواب:

أحرف الجواب هي :

نعم :

حرف تصديق ووعد وإعلام.

ـ التصديق: بعد الخبر، نحو : قد زارك محمد، فتقول : نعم .

ـ الوعد: بعد الأمر والنهي، نحو : لا تخبره بما حدث، فتقول : نعم.

ـ الإعلام: بعد الاستفهام، نحو : أحضر خالد؟ فتقول : نعم.

بلى :

مختصة بإبطال النفي، وهي لا تقع إلا بعد النفي.

شواهد قرآنية :

ـ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ﴾ [الأعراف:١٧٢] .

ـ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الملك:٨ – ٩] .

أجل : حرف جواب يقع بعد الخبر كثيراً فيكون تصديقاً له، نحو : أزارك خالد؟ فتجيب : أجل.

إي : بكسر الهمزة وسكون الياء وهي مثل ﴿نعم﴾ غير أنها لا تقع إلا قبل القسم فتكون تصديقاً للمخبر ووعداً للطالب وإعلاماً للمستفهم، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس:٥٣].

وللعلم فإن ﴿إي﴾ لا تكون إلا قبل القسم، وأمّا ﴿نعم﴾ فتكون مع القسم وغيره.

جلل : حرف بمعنى ﴿نعم﴾، واسم بمعنى ﴿عظيم﴾.

❋❋❋❋

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة:٨٣] و﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء:٣٦] ؟

الجواب:

١ـ لدينا آيتان، الأولى تتحدث عن اليهود، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة:٨٣] ؟ وفيها (ذي القربى) بدون باء.

و الآية الثانية تتحدث عن المسلمين، وهي قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء:٣٦] وفيها (بذي الْقُرْبَى) مع الباء .

هل هذه الباء زائدة وليس لها معنى؟ في الحقيقة لا؛ فرب العالمين بهذه الباء يرسم ما هومستقبل القربى عند اليهود وما هو مستقبل القربى عند المسلمين، أي: الترابط الأسري، والتناسب الخَلقي ومدى مسؤولية كل واحد في الأسرة .

ورب العالمين يعلم مقدماً أنه ما من أمة على وجه الأرض سوف تصل إلى ما وصل إليه المسلمون من العناية بالرحم و بالقربى، والكل يشهد بذلك، ونحن لا يوجد لدينا من يترك أمه وأباه في الملجأ، ولا يوجد من لا يعرف عمه أو خاله، أو من لا يعرف أباه أو جده، هذا مستحيل، في حين نجد عكس ذلك في بقية الأمم خاصة في أيامنا هذه.

فرب العالمين عز وجل عندما ترك الباء بهذه الآية [البقرة ٨٣] وأثبتها في آية [النساء ٣٦] أشار بذلك إلى أنّ هذه الأمة وحدها هي التي سوف تُعنى بالأرحام والأقارب والوالدين والتماسك الأسري مع الأعمام والأخوال والأجداد والجدات.

هذا هو أثر الباء، ووجودها في آية المسلمين وحذفها من آية أخرى لغير المسلمين.

٢ـ في آية البقرة ذُكرت الباء مع ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة:٨٣] وحُذفت مع كلمة ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [البقرة:٨٣] وأمّا في آية النساء فقد ذكرت الباء مع الوالدين وذي القربى .

٣ـ السياق في سورة النساء هو الكلام عن القرابات من أول السورة إلى آخرها، وليس في هذه الآية فقط؛ لذلك كان ذكر الباء مع ذي القربى في هذه الآية لمراعاة التفصيل والتوكيد.

وأمّا آية سورة البقرة فليس السياق في القرابات، وإنما عما مضى من أخذ ميثاق بني إسرائيل فحُذفت الباء في ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ مراعاة للاختصار .

والله أعلم .

السؤال الثاني:

المطلوب إعطاء مختصر عن أهم النقاط في تفسير آية البقرة ٨٣ ؟

الجواب:

١ـ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (يعبدون) بالياء على أنهم غيب أخبر عنهم، والباقون بالتاء على أنهم مخاطبون، والاختيار التاء.

٢ـ في قوله تعالى: ﴿تَعْبُدُونَ﴾ من الإعراب على خمسة وجوه :

آـ على الرفع بتقدير : بأنْ لا يعبدوا ، إلا أنه لما أُسقطت (أن) رُفِعَ الفعل، كما قال طَرَفَة :

ألا أيُّهذا اللائمي أحضرَ الوغى   وأن أشهدَ اللَّذاتِ هل أنت مُخلِدِي

فأراد (أنْ أحضر) ولذلك عطف عليه (أنْ أشهد)، وأجاز هذا الوجه الأخفش والفراء والزجّاج.

ب ـ موضعه رفع على أنه جواب القسم، كأنه قيل : وإذ أقسمنا عليهم لا تعبدون، وهذا الوجه أجازه المبرد والكسائي والفراء وأحد قولي الأخفش.

ج ـ في موضع نصب حال على تقدير : أخذنا ميثاقكم غير عابدين إلا الله.

د ـ قول الفراء أنّ موضع (لا تعبدون) على النهي، إلا أنه جاء على لفظ الخبر، كقوله تعالى ﴿لَا تُضَآرَّ وَالِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة:٢٣٣].

هـ ـ التقدير: أنْ لا تعبدوا، وتكون (أنْ) مع الفعل بدلاً عن الميثاق.

٣ـ هذا الميثاق يدل على تمام ما لا بدّ منه في الدين.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة:٨٣] انتصب بتقدير : أحسنوا بالوالدين إحساناً، أو: وصيناهم بالوالدين، أو بتقدير: أنْ تعبدوا وتحسنوا.

٥ـ أردف الحق عبادته بالإحسان إلى الوالدين، وذلك :

آـ نعمة الله على العبد أعظم النعم، ثم نعمة الوالدين.

ب ـ الله سبحانه هو الموجد والمؤثر الحقيقي للعبد، والوالدان هما المؤثر بحسب العرف الظاهر.

ج ـ لبيان عظم حقهما على الولد .

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ [البقرة:٨٣] اليتيم الذي مات أبوه حتى يبلغ الحلم، وجمعه أيتام ويتامى، ولا يقال لمن ماتت أمه : إنه يتيم ، أمّا في غير الإنسان فيُتمه من قِبَلِ أمّه .

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [البقرة:٨٣] جمع مسكين، أُخذ من السكون كأنّ الفقر قد سكنه، وهو أشد فقراً من الفقير عند أكثر أهل اللغة، وقيل غير ذلك .

وتأخرت درجتهم عن اليتامى؛ لأنّ المسكين قد ينتفع به في الاستخدام والميل إلى مخالطته أكثر من الميل إلى مخالطة اليتامى؛ ولأنّ المسكين يمكنه الاشتغال بتعهد نفسه ومصالح معيشته أكثر من اليتيم.

٨ـ قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣] أي: قولاً حسناً، لكنه جاء بصيغة الصفة المشبهة كقولك : رجل عدل، ليكون التقدير : ليكن قولكم للناس هو الحُسن بذاته.

وهذا القول خطاب بعد الإخبار على طريقة الالتفات، كقوله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس:٢٢].

والكلام مع الناس سواء كان في الأمور الدينية أو الدنيوية الأفضل أنْ يكون بالتلطف .

٩ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة:٨٣] وفيه وجوه :

آـ أنّ المقصود من تقدم من بني إسرائيل.

ب ـ أنه خطاب لمن كان في عصر النبي ﷺ.

ج ـ المراد بقوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ [البقرة:٨٣] من تقدم، وقوله: ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة:٨٣] من تأخر. والله أعلم.

السؤال الثالث:

استعمل القرآن في سياق الدعاء والبر للوالدين لفظة ﴿ٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ [النساء:١٣٥] دون لفظة (الأبوين) فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

الوالدان مثنى الوالد والوالدة، وهو تغليب للمذكر كعادة العرب في التغليب؛ إذ يغلّبون المذكر كالشمس والقمر يقولون عنهما (القمران)، والأبوان هما الأب والأم، ولكنه غلّب المذكر ولو غلب الوالدة لقال: الوالدتان، وسواء قال: بأبويه أو بوالديه فهو تغليب للمذكر.

لكنك لا تجد في القرآن الكريم البر أو الدعاء أو التوصية إلا بذكر الوالدين لا الأبوين كما في الآيات المذكورة أعلاه .

ولم يرد استعمال (الأبوين) إلا مرة واحدة في المواريث؛ لأنّ نصيب الأب أكبر من نصيب الأم أو التساوي في الأنصبة، لكنْ في البر والتوصية والدعاء لم يأت إلا بلفظ الوالدين إلماحاً إلى أنّ نصيب الأم ينبغي أنْ يكون أكثر من نصيب الأب .

كما أنّ لفظ (الأبوين) قد يأتي للجدين، كما قال تعالى: ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [يوسف:٦] ويأتي لآدم وحواء : ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٢٧] فاختيار (الوالدين) له دلالات مهمة، وينطبق هذا على وصية رسول الله ﷺ للصحابي الذي سأله : من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : «**أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك**» فأعطى كلا منهما على قدر ما قدم.

قد تقول: إنّ هذا الأمر تخلّف في قصة سيدنا يوسف عليه السلام عندما قال : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ [يوسف:١٠٠] فاختار الأبوين ، والجواب أنّ الأمر لم يختلف، بيان ذلك:

آ ـ في قصة يوسف لم يرد ذكر للأم مطلقاً، بل ورد ذكر الأب الحزين الذي فقد ابنه وذهب بصره.

ب ـ في هذا الاختيار أيضاً تكريم للأم؛ لأنّ العادة أنْ يكرم الابن أبويه وليس أنْ يكرم الأبوان الابن، وسجود التكريم حصل من الأبوين للابن، ولذلك جاء بلفظ الأبوين لا الوالدين إكراماً للأم، فلم يقل: (ورفع والديه).

ج ـ وفيها إلماحٌ أنّ العرش ينبغي أنْ يكون للرجال .

وهذا يناسب ما ذكر عن الأب فهو الأنسب من كل ناحية .

وهنا يرد سؤال: لماذا لم يرد ذكر الأم في قصة يوسف مع أنّ الأم هي التي تتأثر وتتألم وتحزن أكثر ؟ والجواب: أنّ الأم إمّا أنْ تكون قد توفيت من قبل على بعض الروايات، أو أنّ أم يوسف هي أم ليوسف وأخيه بنيامين فقط وليست أم بقية الإخوة، لذلك يكون كلامها حساساً مع إخوته، أمّا يعقوب عليه السلام فهو أبوهم جميعاً، فإذا عاتبهم أو كلمهم فهو أبوهم ، أمّا الأم فليست أمهم فإذا تكلمت ففي الأمر حساسية وهذا من حسن تقديرها للأمور، فكتمت ما في نفسها وأخفت لوعتها وتركت الأب يتصرف ، وهذا من حسن التقدير والأدب .

السؤال الرابع:

وردت كلمة ﴿إِحْسَانًا﴾ [البقرة:٨٣] وكلمة ﴿حُسْنًا﴾ [العنكبوت : ٨] في سياق الدعاء للوالدين، فما الفرق بينهما ؟

الجواب:

الله سبحانه وتعالى في جميع القرآن الكريم إذا أمر بالبر والدعاء يستعمل الوالدين وليس الأبوين، ولم يستعمل الأبوين إلا في موضوع المواريث أو في أمور أخرى، ولم يذكر في القرآن موقف بر أو دعاء إلا بلفظ الوالدين، وهو مثنى الوالد مع تغليب المذكر، ومشتقة من الولادة والولادة تقوم بها الأم، وهذه إشارة إلى أنّ البر بالأم أولى قبل الأب، كما جاء في الحديث الشريف : «أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك».

وقد وردت كلمة الوالدين بالدعاء لهما في سبع آيات يمكن الاطلاع عليها من خلال الجدول التـــالي :

الآية	﴿حُسْنًا﴾/ ﴿إِحْسَانًا﴾	الحمل	الوضع	أخرى	الوالدان	الطلب
لقمان [١٤]	-	✓	-	﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾	مشركان	على أن تشرك
العنكبوت [٨]	﴿حُسْنًا﴾	-	-	-	مشركان	لتشرك
الأحقاف [١٥]	﴿إِحْسَانًا﴾	✓	✓	﴿كُرْهًا﴾ / ﴿كُرْهًا﴾	مؤمنان	-
الإسراء [٢٣]	﴿إِحْسَانًا﴾	-	-	حالة الكبر	مؤمنان	-
البقرة [٨٣]	﴿إِحْسَانًا﴾	-	-	-	مؤمنان	-

النساء [٣٦]	﴿إِحْسَانًا﴾	-	-	-	مؤمنان	-
الأنعام [١٥١]	﴿إِحْسَانًا﴾	-	-	-	مؤمنان	-

البيـــــان :

أولاً :

هذه الدراسة أو المقارنة هي لآيات الوالدين في [العنكبوت والأحقاف ولقمان] فقط ونلاحظ ما يلي :

١ـ المراتب : الإحسان أعلى من الحُسن ، فأنْ تعامل إنساناً بحُسنٍ أمرٌ عادي لكن أنْ تحسن إليه هذه مرتبة أعلى من الحُسن؛ لأنّ الإحسان يتعدى خيره للآخرين، تقول : أحسنت إليه.

٢ـ حُسناً : مصدر حَسُنَ، وهو فعل لازم، تقول: حَسُنَ الشيء في نفسه، وإحساناً مصدر أحْسَنَ، فعلٌ متعدٍّ، تقول : أحسنت إليه، فالكلمتان حُسناً وإحساناً مصدران مختلفان لفعلين مختلفين، لكنّ (إحساناً) أعلى من(حسناً)، والإحسان أمكن من الحُسن في فعل الخير ونفع الآخرين.

٣ـ نلاحظ ما يلي :

آ ـ ذكر في آية الأحقاف أمرين : الحمل والوضع، وكلاهما كُره ومشقة، واستعمل: إحساناً.

ب ـ في آية العنكبوت : لم يذكر الحمل أصلاً ولا الوضع، واستعمل : حسناً.

ج ـ في آية لقمان : ذكر الحمل فقط ولم يذكر الوضع، ولم يستعمل حسناً أو إحساناً.

النتيجة : الوضع الأصعب في آية الأحقاف فناسب (إحساناً)؛ لأنها أعلى من (حسناً) .

٤ـ في الأحقاف الوالدان مؤمنان، وفي العنكبوت ولقمان الوالدان كافران، وبالتالي الوالدان المؤمنان يستحقان الإحسان أكثر من الوالدين الكافرين؛ فناسب في الأحقاف (إحساناً).

ثانياً ـ مقارنة بين آيتي لقمان وآية العنكبوت(حالة الوالدين في الآيتين مشركان):

١ـ في آية لقمان لم يذكر (حسناً) أو (إحساناً)، وإنما بيّن الحيثيات والمصاحبة، وذكر فيها :

آ ـ الوالدان مشركان أشد كفراً بسبب الفقرة التالية، وهي:

ب ـ المجاهدة من كليهما بصيغة الاستعلاء ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ﴾ [لقمان:١٥] وكأنها شرط، وفيها معنى شدة الحمل على الشيء وشدة الحمل على المجاهدة وهي أقوى من (لتشرك) التي تفيد بيان الغرض والتعليل.

ج ـ سياق السورة في آداب المصاحبة من الابن للأب وبالعكس؛ ومع الوالدين ومع المجتمع ؛ وتشمل هذه الآداب: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعدم التكبر عليهم، وعدم الاختيال.

٢ـ في آية العنكبوت : ذكر (حُسناً) وذكر فيها :

آ ـ الوالدان مشركان.

ب ـ المجاهدة من كليهما بصيغة ﴿لِتُشْرِكَ﴾ [العنكبوت:٨] اللام للتعليل، فهي أقل من ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ﴾ .

ج ـ لم يذكر المصاحبة .

فناسب في لقمان طلب حسن المصاحبة في الدنيا انسجاماً مع طابع السورة، وناسب في العنكبوت ﴿بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ﴾ [العنكبوت:٨] .

والنتيجة من استعراض آيات العنكبوت والأحقاف ولقمان من ناحية السياق أو من ناحية واقع الوالدين أنّ المناسب هو : الحُسن في العنكبوت والإحسان في الأحقاف والمصاحبة بالمعروف في لقمان، والله أعلم.

هذا الموضوع هوملخص رأي الدكتور فاضل صالح السامرائي حفظه الله ورعاه.

وأما رأي الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى فهو التالي حول تفسير آية لقمان [١٤، ١٥] :

آ ـ قال : ﴿ وَوَصَّيۡنَا ﴾ [لقمان:١٤] ولم يقل: (وأوصينا)؛ لأنّ القرآن يستعمل التشديد إذا كان أمر الوصية شديداً ومهماً؛ لذلك يستعمل (وصّى) في أمور الدين، وفي الأمور المعنوية، والفعل المشدد يفيد التكرار؛ أي: يفيد استمرار الإحسان والبر بالوالدين .

ب ـ بالرغم أنّ الوصية بالوالدين، إلا أنّ حيثيات الوصية خاصة بالأم ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾ [لقمان:١٤] فلم يذكر شيئا عن دور الأب، والسبب ـ والله أعلم ـ أنّ الله أراد أنْ يذكرنا بدور الأم خاصة؛ لأنها تصنع لك وأنت صغيرٌ لا تدرك ما تصنعه؛ فهو

مستور عنك لا تعرفه، أمّا أفعال الأب وصنعه لك فجاء حال كِبَرِك وإدراكك للأمور من حولك ،فالابن يعرف ما قدّم أبوه من أجله، فدور الأب ظاهر على خلاف دور الأم؛ لذلك ذكره الله تعالى هنا ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان:١٤] ويأتي من يقول: أليس الابن نتيجة التقاء الأب والأم فهما فيه سواء ؟ فنقول: بلى، ولكنّ مشقة الأم فيه أوضح أثناء الحمل وعند الولادة، ولولا أنْ الله ربط النسل بالشهوة لزهد الناس فيه لما تتحمله الأم من مشاق، ولما يتحمله الأب من تبعات الأولاد .

ونعرف قصة المرأة التي ذهبت تقاضي زوجها؛ لأنه يريد أنْ يأخذ ولدها منها، فقالت للقاضي وقد قال لها : أليس الولد ولدكما معاً ؟ قالت : بلى، ولكن حَمَلَه خِفّاً ووضعه شهوة، وحملتُه وهناً ووضعته كرهاً فحكم لها .

ومعنى: ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان:١٤] أي: ضعفاً على ضعف، فاجتمع للمرأة ضعفها الذاتي مع ضعفٍ بسبب الجنين الذي يتغذى منها ويكبر في أحشائها يوماً بعد يوم، ومن حكمة الله في خلق الرحم أنْ جعله قابلاً للتمدد والاتساع ليحتوي الجنين في مراحل نموه إلى أن يزيد الجنين زيادة لا يتحملها اتساع الرحم فينفجر إيذاناً بولادة إنسان جديد له مقومات حياة مستقلة غير متصل بأمه بعد أنْ كان تابعاً لأمه في غذائه وفي تنفسه، ومن العجيب أنّ الرحم يتسع بقدرة الله لعدة توائم كما نرى ونسمع .

ج ـ ثم قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ۝١٤﴾ [لقمان:١٤] فالله هو المستحق للشكر أولاً؛ لأنه سبحانه هو الذي أنشأ من عدم وأمدَّ من عدم، ثم للوالدين

لأنهما السبب الظاهري في الإيجاد وإنشاء الولد، وأنت لا تحسن شكر الله الخالق الأول والمسبب الأعلى حتى تحسن شكر الوالدين وهما السبب الثاني في وجودك .

د ـ ذكرت الآية الحمل والفصال، أي: الفطام، وبين الحمل والفطام كانت الولادة من الأم الوالدة؛ لذلك كانت الآيات التي تتحدث عن البر أو الدعاء أو التوصية للوالدين بصيغة الوالدين للتذكير بالأم التي كانت قد ولدتك، ومن هنا كان الاختيار لكلمة الوالدين دون الأبوين .

هـ ـ في هذه الآية جاءت الوصية للوالدين دون ذكرٍ لهاتين الكلمتين ﴿حُسْنًا﴾ و﴿إِحْسَانًا﴾بل ذكر فيها حيثيات هذه الوصية وأسبابها وعللها.

و ـ في خمس آيات وردت كلمة ﴿إِحْسَانًا﴾ وهي المذكورة في الآيات أعلاه في سور [البقرة و النساء والأنعام والإسراء والأحقاف] بينما وردت كلمة ﴿حُسْنًا﴾ في آية واحدة في سورة العنكبوت.

لكن ما الفرق بين ﴿إِحْسَانًا﴾ و﴿حُسْنًا﴾ ؟

الفرق: أنّ الإحسان مصدر أحسن، أي: الوصية بالإحسان إليهما . تقول : أحسن فلان لفلان إحساناً، أما حُسنا فمن الحُسن وهو المصدر الأصيل لهذه المادة ﴿حَسُن﴾ أي: أوصيك أنْ تعمل لهم الحُسن ذاته، كما تقول : فلان عادل ، فوصفته بالعدل فإنْ أردت أنْ تبالغ في هذا الوصف تقول: فلان عدل، أي: في ذاته لا مجرد وصف له، أي: كأنّ العدل تمثّل به، وكذلك رجل صومٌ لا صائم، وهذا يسمى الوصف بالمصدر، لذلك نسمي : الكاتب بالعدل، ولا نسميه: الكاتب العادل.

إذن : (حسناً)آكد في الوصف من (إحساناً)، فلماذا جاءت في هذه الآية فقط : ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت:٨] قالوا : لأنّ هذه الآية تتعرض لمسألة صعبة تمس قمة العقيدة فسوف يطلب الوالدان من الابن أنْ يشرك بالله ؛ لذا احتاج الأمر أنْ يوصى الابن بالحُسن في ذاته وفي أسمى توكيداته ﴿حُسْنًا﴾ حتى لا يظن الابن أنّ دعوة الوالدين إياه إلى الشرك مبرر لإهانتهما أو التخلي عنهما، لذلك يعلمنا ربنا أنْ يكون الموقف كما في الآية ١٥ من سورة لقمان ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥] .

❁❁❁❁

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾

السؤال الأول:

هذه الآية تخاطب بني إسرائيل الذين مضوا، ومع ذلك جاءت بصيغة المخاطب، فما السبب في مخاطبة من مضى؟

الجواب:

إنّ المخاطبة جاءت للخَلَف من بني إسرائيل لتبين للمؤمنين أنّ الخلف من بني إسرائيل هم بمنزلة أسلافهم؛ فأفعالهم واحدة وتصرفاتهم موروثة، والله أعلم .

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾

السؤال الأول:

في هذه الآية جاءت هاء التنبيه مؤخرة على الضمير ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [البقرة:٨٥] بينما جاءت هاء التنبيه مقدمة في آية آل عمران ١١٩ في قوله تعالى ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ﴾ [آل عمران:١١٩] فما السبب ؟

الجواب:

١ـ يُقدم التنبيه أو يُؤخر أو يُكرر بحسب الحاجة إليه، وقد يُحذف إذا لم يكن له داعٍ.

٢ـ في آية آل عمران قدّم التنبيه؛ لأنه تحذيرٌ لعباده المؤمنين مما هم فيه، وأنه ينبغي لهم أنْ يحذروا وينتبهوا .

بينما في آية البقرة أخّر التنبيه؛ لأنه أراد أنْ يُحضِّر أنفسهم أمام أعينهم هم ليشهدوا أعمالهم وصفاتهم، أي: أنتم هؤلاء المشاهدون الحاضرون بصورتكم الواضحة التي لا تخفى ، فهو لم يرد تحذيرهم من أمر كما في آية آل عمران .

فالتنبيه في آل عمران لتنبيه المؤمنين ولفت انتباههم إلى أمر قد يكونون غافلين عنه، وأمّا آية البقرة فلإحضار صورتهم أمام أعينهم ليشاهدوها .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية البقرة: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [البقرة:٨٥] فيه إشكال؛ لأنّ قوله ﴿أَنتُمْ﴾ للحاضرين وقوله : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ للغائبين فكيف يكون الحاضر نفس الغائب؟

الجواب:

التقدير هو :

- ثم أنتم يا هؤلاء.
- ثم أنتم، أعني: هؤلاء الحاضرين.
- هؤلاء تأكيد لأنتم، والخبر (تقتلون).

❋❋❋❋

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين استخدام كلمة ﴿يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [البقرة:٨٦] في هذه الآية وكلمة ﴿يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ في آية البقرة ١٦٢، وآية آل عمران ٨٨ ؟

الجواب:

لنستعرض الآيات أولاً :

ـ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [البقرة:٨٦] .

ـ قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة:١٦٢].

ـ قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [آل عمران:٨٨].

ثانياً :

لو نظرنا في سياق الآيات في سورة البقرة التي سبقت آية ٨٦ لوجدنا الآية ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة: ٨٤ ،٨٥] فالآيات تتكلم عن القتال والحرب والمحارب يريد النصر لذا ناسب أن تختم الآية ٨٦ بكلمة ﴿يُنصَرُونَ﴾ .

أمّا في الآية الثانية في سورة البقرة وآية سورة آل عمران ففي الآيتين وردت قبلهما ذكر اللعنة، واللعنة معناها الطرد من رحمة الله والإبعاد ، والمطرود كيف تنظر إليه؟

و كلمة ﴿يُنظَرُونَ﴾ تحتمل معنيين :

آ ـ لا يُمهلون في الوقت.

ب ـ ولا يُنظر إليهم نظَرَ رحمة .

فإذا أُبعد الإنسان عن ربه وطُرد من رحمة الله كيف يُنظر إليه ؟ إنه خارج النظر . فلمّا ذكرت اللعنة في سياق الآيتين في سورة البقرة وسورة آل عمران استوجب ذكر ﴿يُنظَرُونَ﴾ .

السؤال الثاني:

ماذا تعني الباء في الآية ﴿اشْتَرَوُا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [البقرة:٨٦] ؟

الجواب:

في أمور الشراء الباء مع الذاهب؛ فهم أخذوا الحياة الدنيا وكان الثمن الذاهب لها هو خسرانهم الآخرة .

❊❊❊❊

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِالرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

هل لمعنى لفظة ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ [البقرة:٨٧] الواردة في الآية علاقة باليد؟

الجواب:

معنى أيّدناه، أي: قوّيناه وشددنا أزره وعضده، والفعل أيدناه مأخوذ من اليد، فما صلة اليد بقويّناه؟ اليد تطلق عادة على القدرة والمنعة؛ لأنها آلة القوة والدفاع عن النفس ومنع الآخرين من الاعتداء.

السؤال الثاني:

لماذا اختلفت صيغة الفعل في قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة:٨٧] ؟

الجواب:

(كذبتم) فعل ماض، و(تقتلون) فعل مضارع.

آ ـ الأفعال تعبّر أحياناً عن الأحداث المستقبلية بأفعال ماضية، كقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزُّمَر:٧٣].

ب ـ أو تعبر عن الأحداث الماضية بأفعال مضارعة حكاية الحال فتُعبّر عن حدث ماضٍ بفعل مضارع، كأنما نريد أنْ نستحضر الحدث أمامنا، مثل قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف:٥٧].

ج ـ الفعل المضارع ﴿تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ جاء ليدل على إمكانية تجدد وتكرار الحدث، وهم قد فعلوا ذلك فعلاً عندما حاولوا قتل النبي ﷺ لولا أنْ عصمه الله منهم.

❁❁❁❁

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

السؤال الأول:

مامعنى قوله تعالى ﴿غُلْفٌ ۚ﴾ [البقرة:٨٨] ؟

الجواب:

الغلف : جمع أغلُف، وهي الأغشية، والمعنى أنهم يقولون : قلوبنا غلف مملوءة بالعلم والحكمة وهي مغشاة بأغطية مانعة من وصول أثر دعوة النبي ﷺ لهم ، أو هي كالغلاف الخالي لا شيء فيه .

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البقرة:٨٨] ؟

الجواب:

في معانيها وجوه :

آ ـ لا يؤمن منهم إلا القليل.

ب ـ لا يؤمنون إلا بقليل مما كلفوا، حيث إنهم يؤمنون بالله ويكفرون بالرسل.

ج ـ لا يؤمنون أصلاً لا قليلاً ولا كثيراً، كما يقال : قليلاً ما يفعل، بمعنى لا يفعل البتة.

السؤال الثالث:

لماذا نصبت ﴿فَقَلِيلًا﴾ ؟

الجواب:

لفظة (قليلاً) نصبت على تقدير :

آ ـ نائب مفعول مطلق بتقدير: إيماناً قليلاً ، و(ما) صلة.

ب ـ بنزع الخافض، أي: بقليل ما يؤمنون .

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

جاءت كلمة ﴿مُصَدِّقٌ﴾ [البقرة:٨٩] مرفوعة في هذه الآية وفي الآية[١٠١] بينما جاءت منصوبة في الآية [٩١] وجميع الآيات هي في سورة البقرة، فلماذا ؟

الجواب:

أولا: لنسنعرض الآيات :

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة:٨٩].

قوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ﴾ [البقرة:٩١] .

قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ [البقرة:١٠١].

ثانياً:

الآية[٨٩] كتابٌ: فاعل مرفوع، فتكون الصفة ﴿مُصَدِّقٌ﴾ مرفوعة.

الآية [٩١] جملة ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الواو: واو الحال، والجملة (هو الحق) مبتدأ وخبر في محل نصب حال ، و﴿مُصَدِّقًا﴾ حال منصوبة.

الآية[١٠١] رَسُولٌ: فاعل، وتكون ﴿مُصَدِّقٌ﴾ صفة مرفوعة .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما المقصود بـ ﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ [البقرة:٩١] في الآية ؟

الجواب:

١ـ الدين الذي كان سائداً قبل الإسلام في جزيرة العرب هو اليهودية وليس النصرانية، واليهود كانوا قبائل في جزيرة العرب، واليهودي لا يؤمن بنبوة عيسى عليه السلام، ولذلك بقي يهودياً وإلا لأصبح نصرانياً أو مسلماً.

٢ـ وقوله تعالى ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ أي: وراء ما أنزل الله عليهم مما أنزل الله على رسله ما قبل التوراة وما بعدها؛ لأنّ وراء تفيد: خلف وأمام، ولا شكّ أنّ هذا يشمل القرآن الكريم . وجاء بما يدلّ على القرآن بالصيغة الاسمية مع واو الحال ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ ليدل عليه بشكل ثابت وقطعي، وعلى حاله بكونه ﴿مُصَدِّقًا﴾ للتوراة من غير تفاوت بينهما في الأصول .

٣ـ والقرآن يدلّ على نبوة محمد ﷺ، فلمّا أخبر الله عنه أنه مصدق للتوراة وجب اشتمال التوراة على الإخبار عن نبوته، وإلا لم يكن القرآن مصدقاً للتوراة بل كان مكذباً لها .

٤ـ وإذا كانت التوراة مشتملة على نبوة محمد ﷺ وهم قد اعترفوا بوجوب الإيمان بها لزمهم من هذه الجهة الإيمان بالقرآن وبنبوة محمد ﷺ .

السؤال الثاني:

ما دلالة صيغة الفعل المضارع فى ﴿تَقْتُلُونَ﴾ ؟

الجواب:

هذا يُسمّى حكاية الحال، بمعنى أنه إذا كان الحدث ماضياً وكان مهماً فإنّ العرب تأتي بصيغة المضارع حتى تجعل الحدث وكأنه شاخص ومُشاهد أمامك.

والمضارع يدل على الحال والاستقبال، والإنسان يتفاعل عادة مع الحدث الذي يشاهده أكثر من الحدث الذي لم يره أو الذي وقع منذ زمن بعيد، فالعرب تحول صيغة الأحداث إلى صيـــغة مضارع وإنْ كانت ماضية .

وهذا الأمر ورد في القرآن كثيراً، كما في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة:٩١] قتل الأنبياء هو حالة مستغربة، وفي القرآن يأتي بصيغة المضارع مع الأشياء التي تدل على الحركة والحيوية والمهمة.

وقد جاء في قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ [فاطر:٩] جاء فعل (أرسل) بصيغة الماضي ثم فعل ﴿فَتُثِيرُ﴾ بصيغة المضارع ثم فعل ﴿فَسُقْنَاهُ﴾ بصيغة الماضي مع أنّ السّوق يأتي بعد الإثارة والأحداث كلها ماضية؛ لكنّ الإثارة مشهد حركة فجعلها بصيغة المضارع ليدلّ على الحضور.

وهذا الأمر نجده أيضاً في السيرة، ففيما روي عن الصحابي الذي قتل أبا رافع اليهودي الذي آذى الرسول ﷺ قال يصف ما حصل شعراً:

فناديت أبا رافع فقال نعم فأهويت عليه بالسيف فأضربه وأنا دهش ؟

فجعل صيغة المضارع للمشهد الأبرز وهو الضرب، فكأنّ السامع يرى الحادثة أمامه ويرى الصحابي وهو يضربه.

السؤال الثالث:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ في هذه الآية وفي القرآن الكريم؟

الجواب:

ورد هذا التركيب ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ في القرآن الكريم في (١٦) موضعاً وهي (البقرة ٩١،٩٣،٢٤٨،٢٧٨) وآل عمران (٥٦، ١٣٩، ١٧٥) المائدة (٢٣، ١١٢،٥٧) الأعراف (٨٥) الأنفال (١)التوبة (١٣) هود(٨٦) النور(١٧) الحديد (٨) .

بينما ورد التركيب ﴿إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ في مكان واحد في آية التوبة[٦٢] في قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [التوبة:٦٢] .

وهذا التركيب العجيب يضع الناس أمام أنفسهم وجهاً لوجه ، وسر هذا التركيب يكمن في كلمة (إنْ) وهي أداة شرط تستعمل في القرآن عندما يكون الأمر موضع شك قابلاً للظن والاحتمال ، أمّا (إذا) فتستعمل في مواضع اليقين .

وقد ورد تركيب ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٩١﴾ مع فئتين من الناس :

الأولى : وهم المؤمنون الصادقون الذين لا يُشَكُّ في صدقهم وحسن بلائهم وسابق جهادهم وصحبتهم للنبي ﷺ .

الثانية : وهم المنافقون الفاسقون الذين لا يُشَكُّ في خياناتهم وتلونهم وكذبهم.

ومن السهل أنْ نفهم التركيب ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٩١﴾ مع الفئة الثانية فهم يكذبون على الله وعلى رسوله وعلى المؤمنين، ولذلك يخاطبهم الله عز وجل بأسلوب الشك في إيمانهم ويبين للمؤمنين الصادقين كذبهم ونفاقهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٩١﴾ [البقرة:٩١].

أمّا ورود هذا التركيب مع فئة المؤمنين الصادقين المخلصين فكما في آية الأنفال [١] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١﴾ [الأنفال:١] وقد نزلت هذه الآية الكريمة على النبي ﷺ في غزوة بدر ومعه الصحابة الذين هم أكرم أهل الأرض بعد أنبياء الله ، فمن الواضح أنّ مثل هذه الآية عندما ترد مع مثل هؤلاء الناس تكون تطهيراً لهم وتعليماً وتذكيراً، كأنها تضعهم في منزلة الشك في إيمانهم إنْ لم يفعلوا ما يأمرهم الله به فيهبوا للعمل بأحكام الله فيدفعوا عنهم صورة التردد والشك، وليدخلوا في دائرة الإيمان الوثيق الذي يعلمه الله منهم بصدق أقوالهم وأعمالهم .

السؤال الرابع:

ما دلالة لفظة ﴿قَبۡلُ﴾ في هذه الآية ﴿قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ﴾ [البقرة:٩١]؟

الجواب:

قوله تعالى ﴿مِن قَبۡلُ﴾ طمأنة لرسول الله ﷺ إلى أنّ قتلهم الأنبياء انتهى ، وفي الوقت نفسه قضاء على آمال اليهود في أنْ يقتلوا محمداً ﷺ .

وبذلك نزع الله الخوف من صدور وقلوب المؤمنين على رسول الله ﷺ بأنّ ما جرى للرسل السابقين من بني إسرائيل لن يجري على رسول الله ﷺ وأنهم لو تآمروا على قتله عليه الصلاة والسلام فلن يفلحوا.

واليهود بعد نزول هذه الآية لم يتوقفوا عن تآمرهم على قتل رسول الله ﷺ مرة بمحاولة إلقاء الحجر عليه، ومرة بدس السم له، ومحاولات أخرى لكنها فشلت كلها.

السؤال الخامس:

كيف جاز قوله: ﴿فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ﴾ ولا يجوز أنْ يقال : أنا أضربك أمس؟

الجواب:

فيه قولان :

آ ـ أنّ ذلك جائز إذا كان بمنزلة الصفة اللازمة، كقولك : ويحك لِمَ تكذب؟ كأنك قلت: لم يكن هذا من شأنك ، وكقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة:١٠٢] ولم يقل: ما تلت؛ لأنه أراد من شأنها التلاوة.

ب ـ كأنه قال : لم ترضون بقتل الأنبياء من قبل إنْ كنتم آمنتم بالتوراة ؟

والله أعلم .

﴿ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

متى تُذكَّر ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أو تؤنَّثُ في الاستعمال القرآني ؟

الجواب:

جاءت كلمة ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بصورها المختلفة في القرآن الكريم حوالي ٥٢ مرة، فإنْ جاءت بمعنى المعجزات تؤنث، وإنْ جاءت بمعنى حبل الله أو القرآن تذكر .

❁❁❁❁

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما معنى ﴿وَأُشْرِبُوا۟﴾ في الآية ؟

الجواب:

الإشراب هو أنْ تسقي غيرك وتجعله يشرب، فكيف أُشربوا العجل؟

إنَّ الشرب هو جريان الماء في عروق الإنسان، وقد عبّر الله تعالى عن شدة شغف اليهود بالعجل بشرب الماء؛ لأنّ الماء أسرى الأجسام في غيره، ولذلك يقال: الماء مطية الأدوية ومركبها التي تسافر به في أقطار البدن، فجعل شدة حبهم للعجل وعدم قدرتهم

على إخراج هذا الحب الذي خالطهم أشبه ما يكون بالماء الذي لا غنى لأحد عنه وهو يسري في عروق الإنسان فيصبح جزءاً من جسم الإنسان ، وكذلك حُبُّ بني إسرائيل للعجل خالط لحومهم ودماءهم حتى غدا جزءاً منهم.

❁❁❁❁

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾

السؤال الأول:

عبّر الله تعالى في الآية عن الذنوب والمعاصي التي ارتكبها بنو إسرائيل بقوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:٩٥] فلِمَ خصَّ اليد بالذنب دون غيرها مع أنهم أساءوا لعيسى عليه السلام بلسانهم وكذبهم عليه؟

الجواب:

إذا رجعت إلى فظائعهم وجدت أفظعها باليد، فأكثر ما صنعوه هو تحريف التوراة ووسيلته اليد، وأفظع ما اقترفوه قتل الأنبياء وآلته اليد.

السؤال الثاني:

نفى التمني في هذه الآية بلن ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ [البقرة:٩٥] ونفاه في آية الجمعة بلا ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ﴾ [الجمعة:٧] فما سبب الفرق ؟

الجواب:

السبب هو اختلاف سياق الآيتين :

أولاً ـ السياق :

قال في الجمعة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾

وقال في البقرة : ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٩٥﴾

فأنت ترى الفرق واضحاً بين السياقين؛ فالكلام في آية البقرة عن الآخرة، والدار الآخرة للاستقبال؛ فنفى بـ(لن)؛ إذ هو حرفٌ خاصٌ بالاستقبال .

وأمّا الكلام في آية الجمعة فهو عام لا يختص بزمن دون زمن ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ [الجمعة:٦] فهذا أمر مطلق ؛ من أجل هذا نفى بـ (لا)، وهو حرف يفيد الإطلاق والعموم .

ثانياً :

لمّا كان الزمنُ في آية الجمعة عاماً مطلقاً غير مقيد نفاه بـ(لا) التي آخرها حرف إطلاق وهو الألف ، ولمّا كان الزمن مقيداً في آية البقرة للاستقبال وهو زمنٌ مقيد نفاه بـ(لن) التي آخرها حرف مقيد ، وهو النون الساكنة، وهو تناظر فني جميل .

ثالثاً :

تُعدّ هذه الآية بما فيها من تحدٍّ سافر لليهود إحدى معجزات القرآن وإحدى دلائل النبوة، ألا ترى أنها نفت صدور تمني الموت مع حرصهم على أنْ يظهروا تكذيب النبي ﷺ فكان تمني الموت فيه تكذيب لهذه الآية ومن ثَمَّ تكذيب للنبي عليه السلام، ومع ذلك لم يُنقل عن أحد منهم أنه تمنى الموت.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿قَدَّمَتْ﴾ في الآية، ما العلاقة بين التعبيرين (بما قدمت) و (بما كسبت) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

١ـ الآيات التي فيها فعل ﴿قَدَّمَتْ﴾ ليس فيها كسب .

شواهد قرآنية : ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ :

البقرة ٩٥ـ النساء ٦٢ـ القصص٤٧ـ الروم٣٦ـ الشورى ٤٨ـ الجمعة ٧

٢ـ آيات الكسب ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ يسبقها شيء يدل على الكسب، والكسب هنا هو الكسب غير المشروع.

شواهد قرآنية : ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ :

البقرة ٢٢٥ـ الأنعام ٧٠ـ الرعد ٣٣ـ الروم٤١ـ غافر١٧ـ الشورى ٣٠ـ الجاثية ٢٢ـ المدثر ٣٨.

فمثلاً : آية الشورى ٣٠ ، ورد فيها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾﴾ وسبقها في الآية ٢٧ قوله تعالى ﴿ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى:٢٧] وبسط الرزق يدل على الكسب.

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام كلمة ﴿حَيَوٰةٍ﴾ نكرة في هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ الآية في سياق الحديث عن اليهود، وجاءت كلمة ﴿حَيَوٰةٍ﴾ نكرة، وهي تعني أيَّ حياةٍ مهما كانت تافهة أو ذليلة، وهذه إشارة إلى أنهم يريدون أي حياة كانت وإنْ كانت تافهة أو مُهينة وليست الحياة الكريمة، لذا هم حرصوا على حياة تافهة ولا يتمنون الموت كما تحدّاهم به القرآن.

٢ـ المشرك حريص على الحياة؛ لأنه يعتقد أنّ الدنيا هي الغاية، بينما اليهود أشد حرصاً على الحياة من المشركين؛ لأنهم يخافون الموت لسوء أعمالهم السابقة، لذلك كلما طالت حياتهم ظنوا أنهم بعيدون عن عذاب الله، ولذلك هم لا يبالون أنْ يعيشوا في ذلة أو في مسكنة، المهم أنْ يعيشوا في أي حياة مهما كان نوعها، ولذلك جاءت بالتنكير؛ لأنّ النكرة تفيد الكثرة وهم يريدون الحياة المتطاولة، فناسب التنكير.

السؤال الثاني:

ما دلالة الود في الآية في أنْ يعيشوا ألف سنة ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ الود هو الحب، أي: أنهم يحبون أنْ يعيشوا ألف سنة أو أكثر، لكنّ هذا أيزحزحه عن العذاب ؟ بالطبع لا؛ لأنّ طول العمر لا يغير النهاية .

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ بصيغة المبني للمجهول؛ ليدل على أنّ الأمر بيد الله وأنّ العمر ليس ملكاً لإنسان.

السؤال الثالث:

لماذا ذُكرت الألف سنة ؟

الجواب:

لأنها هي نهاية ما كان العرب يعرفونه من الحساب، ولذلك فإنّ الرجل الذي أَسر في الحرب أخت كسرى فقالت له: كم تأخذ وتتركني ؟ قال : ألف درهم ، قالوا له: بكم فديتها؟ قال: بألف، قالوا: لو طلبت أكثر من ألف لكانوا أعطوك، قال: والله لو عرفت شيئاً فوق الألف لقلته، ولذلك كانوا يقولون عن المليون: ألف ألف .

السؤال الرابع:

أين مفعولا الفعل المتعدي ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ [البقرة:٩٦] في الآية ؟

الجواب:

الفعل ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾[البقرة:٩٦] هو فعل متعدٍّ إلى مفعولين، وهما الضمير(هم) في ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ [البقرة:٩٦] و ﴿أَحْرَصَ﴾ [البقرة:٩٦].

السؤال الخامس:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ﴾ [البقرة:٩٦] ما دلالتها ؟

الجواب:

الواو في الآية على ثلاثة أقوال :

آ ـ حرف عطف بتقدير أنّ اليهود أحرص الناس على حياة وأحرص من الذين أشركوا، وهذا القول أولى، والله أعلم .

ب ـ استئنافية؛ أي أن الكلام تم عند قوله تعالى ﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة:٩٦] ثم استأنف قوله .

ج ـ أنّ فيه تقديماً وتأخيراً، وتقديره : ولتجدنهم وطائفة من الذين أشركوا أحرص الناس على حياة، ثم فسر هذه المحبة بقوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [البقرة:٩٦] .

السؤال السادس:

من المقصودون في الآية ﴿ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ﴾ [البقرة:٩٦] ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ﴾ [البقرة:٩٦] قيل: هم المجوس، وقيل: الأعاجم، وقيل: هم مشركو العرب، وقيل: كل مشرك لا يؤمن بالمعاد .

السؤال السابع:

ما دلالة الزحزحة في الآية ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ [البقرة:٩٦] الزحزحة: هي التبعيد والإنحاء، والمراد: أنه لا يؤثر في إزالة العذاب أقل تأثير.

السؤال الثامن:

ما اللمسة البيانية في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة:٩٦] ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة:٩٦] و يراد به البصر والعلم، فالله بصير وعليم بأفعالهم.

وجاء بالفعل المضارع: ﴿يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة:٩٦] للدلالة على تجدد الحدث باستمرار.

السؤال التاسع:

في قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة:٩٦] ما الفرق بين العمل والفعل والصنع ؟

الجواب:

قال: ﴿يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة:٩٦] ولم يقل: يفعلون، أو يصنعون :

آـ يفعلون : الفعل عام، وقد يكون بقصد أو بغير قصد، ويصلح أنْ يقع من الحيوان أو الجماد .

ب ـ يعملون : في الأكثر فيه قصد، وهو مختص بالإنسان، وهو أخص من الفعل، لذلك قلّما ينسب إلى الحيوان ، والعرب لم تقله إلا في البقر التي تحرث الأرض.

ج ـ يصنعون : الصنع أخص، وهو إجادة الفعل ويحتاج إلى دقة، ولا ينسب إلى حيوان أو جماد فهو أخص من العمل، قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل:٨٨].

وعندما تأتي ﴿يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ فتعني ما يخططون وما يدبرون بدقة وإجادة.

فالفعل عام والعمل أخص منه، والصنع أخص ويحتاج إلى دقة .

لمزيد من التفصيل يرجى الرجوع لآية البقرة رقم (٧١) .

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [البقرة:٩٧] ؟

الجواب:

الحق سبحانه يريد أنْ يلفتنا إلى أعمال اليهود، فهم :

١ـ يقتلون الأنبياء.

٢ـ يحرفون التوراة.

٣ـ يعادون الملائكة وخاصة جبريل عليه السلام .

وعداوتهم للملائكة تؤكد ماديتهم فهم يقيسون الأمر على البشر.

والله يقول عن السبب :﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة:٩٧] .

وهكذا الحقُّ سبحانه يريد أنْ يلفتنا إلى وحدة الحق في الدين، فالمصدر هو الله جل جلاله، ورسوله من الملائكة هو جبريل، ورسله من البشر هم الرسل والأنبياء الذين بعثهم الله، وميكائيل ينزل بالخير والخصب؛ لأنَّ الإيمان أصل وجود الحياة .

لذلك من كان عدواً للملائكة والرسل وجبريل وميكال فهو كافر، وهذا الحكم لم يخبر به الله رسوله ﷺ فقط ، وإنما أمره بأنْ يعلنه حتى يعرفه الناس جميعاً ويعرفوا أنَّ اليهود كافرون.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة:٩٧] في هذه الآية وبين ﴿ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ [البقرة:٩٩] في آية البقرة ٩٩ ؟

الجواب:

أولا ـ لنستعرض الآيات :

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة:٩٧] وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [البقرة:٩٩] .

ثانياً ـ السياق :

١ـ آية البقرة [٩٧] تخص اليهود، حيث أعلنوا عداءهم لجبريل عليه السلام ، فكأنّ الآية تقول لهم : جبريل لم يصنع شيئاً من عند نفسه وإنما نزّل القرآن على قلب محمد ﷺ بإذنٍ من الله تعالى ،و(على) تفيد الاستعلاء.

والفعل (نزّل) بالتضعيف يفيد التكثير والتدريج.

٢ـ آيتا البقرة [٩٨،٩٩] ذكر الله جبريل عليه السلام في الآية [٩٨] لكنّ الله سبحانه في الآية [٩٩] وهو يتكلم عن إنزال القرآن الكريم لم يشر إلى جبريل، وإنما أشار إلى المصدر الأول وهو الله سبحانه، فقال بصيغة التوكيد: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ [البقرة:٩٩] والحرف (إلى) يفيد الإيصال ، أي: أوصلنا القرآن إليك لتبلغه للناس.

❋❋❋❋

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ذكر الملائكة ثم ذكر جبريل وميكال في هذه الآية ؟

الجواب:

لدينا نوعان رئيسان من العطف :

الأول : يسمى من باب عطف الخاص على العام لأهمية المذكور، كما في الآية ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة:٩٨]

جبريل وميكال من الملائكة، وهما من رؤساء الملائكة فذكرهم لأهميتهم، وهذا كثير في القرآن نحو:

قوله تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[البقرة:٢٣٨] والصلاة الوسطى من الصلوات؛ فهذا من باب عطف الخاص على العام.

وقوله تعالى عن الجنة: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن:٦٨] هذا لأهمية هذا الأمر وخصوصيته.

وكذلك فإنّ جبريل وميكال عليهما السلام ليسا كعموم الملائكة، لكنهم منهم فيسمونه عطف الخاص على العام، وذكر هؤلاء دلالة على أنّ للمذكور مزية خاصة ليست كالعموم.

الثاني: هو عطف العام على الخاص، كما في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة:١٣٦] وإبراهيم وإسماعيل من النبيين.

وهذا له قيمة بلاغية دلالية ليُظهر أهميته، فعندما يذكر الصلاة الوسطى والمحافظة عليها يذكرها لأهميتها الخاصة، وعندما يذكر جبريل وميكال يذكرهما لأنهما ليسا كعموم الملائكة؛ فجبريل مختص بالوحي.

السؤال الثاني:

ما معنى اسم (جبريل)؟

الجواب:

(جبريل) اسم عبراني للملك المرسَل من الله تعالى بالوحي لرسله وهو مركّب من كلمتين: كلمة (جِبر) وكلمة (إيل)، فأما كلمة (جِبر) فمعناها عبد أو القوة، وكلمة (إيل) تعني اسماً من أسماء الله في العبرانية.

وقد ورد اسم جبريل في القرآن في عدة صور منها: (جِبريل)، وبها قرأ الجمهور، ومنها (جَبريل) وبها قرأ ابن كثير، ومنها (جِبرائيل) وبها قرأ حمزة والكسائي، و(جَبرائيل) وبها قرأ أبو بكر عن عاصم.

السؤال الثالث:

ما دلالة ختام الآية في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة:٩٨] ؟

الجواب:

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة:٩٨] هي إجابة عامة وليست للشرط فقط ، والمقصود بها إرادة العموم، ولا يكون الجواب منحصراً بالشخص المذكور، فلم يقل مثلا: ﴿عدو لهم﴾ بل أفاد أنّ هؤلاء كافرون، والآية تشمل كل الكافرين، وهؤلاء دخلوا في زمرة الكافرين، ولا تقتصر عداوة الله تعالى على هؤلاء، وإنما تعم جميع الكافرين .

فأفاد في الآية أمرين :

آ ـ أنّ هؤلاء كافرون.

ب ـ وأنّ عداوة الله ليست مقصورة عليهم، وإنما تشمل كل كافر.

والآية نظير قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٠] فجاءت للعموم ولم يقل تعالى: (لا نضيع أجرهم) للأفراد، حتى لا يكون الأمر مقتصرا على الذين يمسكون بالكتاب ويقيمون الصلاة؛ بل ليشملهم ويشمل غيرهم من المصلحين.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ [البقرة:١٠٠] لِمَ عبّر الله تعالى عن نقض اليهود للعهد والميثاق بالنبذ؟

الجواب:

النبذ: هو الطرح والإلقاء، فما علاقة الطرح بنقض الميثاق؟ لقد جعل الله تعالى العهد والميثاق الذي أقرّ به اليهود بكتاب أحكموا قبضته بيدهم حتى لا يقع، ولكنهم سرعان ما تخلوا عن عهدهم وألقوا هذا الكتاب وطرحوه أرضاً إشارة إلى نقضهم للميثاق.

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ و ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ في الاستعمال القرآني؟

الجواب:

القرآن الكريم يستعمل أوتوا الكتاب في مقام الذم، ويستعمل آتيناهم الكتاب في مقام المدح، هذا خط عام في القرآن على كثرة ما ورد من (أوتوا الكتاب) و(آتيناهم الكتاب) فحيث قال: (أوتوا الكتاب) فهي في مقام الذم، وحيث قال: (آتيناهم الكتاب) في مقام الثناء والمدح. والقرآن الكريم له خصوصية خاصة في استخدام المفردات وإن لم تجرِ في سنن العربية.

شواهد قرآنية: (أوتوا الكتاب):

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة:١٠١] هذا ذم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ [البيّنة:٤] هذا ذم.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾ [النساء:٤٤] هذا ذم.

شواهد قرآنية : (آتيناهم الكتاب) :

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٢١] مدح .

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ﴾ [الرعد:٣٦] مدح.

والتعبير (أوتوا) في العربية لا يأتي في مقام الذم، وإنما هذا خاص بالقرآن الكريم.

وعموماً فإن رب العالمين يسند التفضل والخير لنفسه؛ ولذلك لما كان قوله تعالى: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ فيه ثناء وخير نسب الإيتاء إلى نفسه .

بينما (أوتوا) فيها ذم، فنسبه للمجهول، نحو قوله تعالى :

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾ [الجمعة:٥] هذا ذم

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤﴾ [الشورى:١٤] . هذا ذم .

بينما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ [فاطر:٣٢] فهذا مدح.

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ [البقرة:١٠٢] لِمَ نسب الله تعالى تعليم السحر لليهود؟

الجواب:

نسب الله تعالى تعليم السحر لليهود؛ لأنهم اشتُهروا في هذا المجال وعُرِفوا به وعُرِف بهم حتى غدا سمة من سماتهم ، وقد اعتقد المسلمون في المدينة أنّ اليهود سحروا المسلمين فلا يولد لهم؛ ولذلك استبشروا لما وُلِد عبد الله بن الزبير، وهو أول ولد للمهاجرين في المدينة.

السؤال الثاني:

ما السِّحرُ ؟

الجواب:

السحر هو مجموعة أشياء تفعلها تفرق بها بين الناس أو تؤذيهم أو تُنسّيهم، كما في آية البقرة [١٠٢]، والإنسان مليء بالطاقات الهائلة في الخير والشر، وواجبنا أنْ نتجه إلى الخير ونوجه طاقاتنا إلى الخير ونبتعد عن الشر.

ومن وسائل استجلاب الطاقة :

١ـ الصمت : وفي الحديث «**إذا رأيتم الرجل يُطيل الصمت فهو يُلقن الحكمة**».

٢ـ الخلوة والابتعاد عن كثرة الاختلاط مع الناس .

٣ـ التأمل .

٤ـ طاعة الله.

٥ـ التدريب العقلي لإبراز طاقات الإنسان.

السؤال الثالث:

ما دلالة استخدام صيغة الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ [البقرة:١٠٢] ؟

الجواب:

هما علّما الناس وانتهى الأمر، الفعل المضارع قد يستخدم ليعبّر به عن الماضي فيما نسميه (حكاية الحال)، كما يُعبّر عن الماضي للمستقبل، كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟

﴿وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة:١٤٤] وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة:٩١] فالفعل (تقتلون)، وقال معها: (من قبل).

وحكاية الحال هو أن يُعبّر عن الحال الماضية بالفعل المضارع للشيء المهم كأنّه يجعله حاضراً أمام السامع، واستحضار الصورة في القرآن كثير وفي غير القرآن .

السؤال الرابع:

ما إعراب ﴿مَا﴾ المتكررة في هذه الآية ﴿مَا تَتْلُوا۟﴾ ﴿وَمَا كَفَرَ﴾ ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ﴾ ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ﴾ ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ ؟

الجواب:

- ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ [البقرة:١٠٢] هذه مفعول به (اسم موصول).
- ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾ [البقرة:١٠٢] هذه نافية .
- ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ﴾ [البقرة:١٠٢] معطوفة على السحر(اسم موصول).
- ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ [البقرة:١٠٢] هذه نافية .
- ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة:١٠٢] هذه مفعول به بمعنى الذي .
- ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ﴾ [البقرة:١٠٢] هذه نافية .

- ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ [البقرة:١٠٢] هذه نافية بمعنى ليس، وما دام الجار والمجرور قد تقدم على اسمها فإنها لا تعمل، وقد تكون حجازية، لكن لا نعرفها لوجود (من) الزائدة، لأنّ الخبر جار ومجرور .

السؤال الخامس:

ما أهم دروس هذه الآية الكريمة ؟

الجواب:

وقفات مختصرة سريعة عند الآية الكريمة :

١ـ الحق سبحانه يقول: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ [البقرة:١٠٢] ولكنّ الشياطين تلت وانتهت، واستحضار اليهود حتى الآن لما كانت تتلوه الشياطين دليل على أنهم يؤمنون به وأنّ هذا الاتباع مستمر حتى الآن فجاء بصيغة المضارع .

٢ـ الجن فيهم المؤمن وفيهم الكافر، والشياطين هم مردة الجن المتمردون على منهج الله.

٣ـ قوله: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ [البقرة:١٠٢] أي: على أيام ملك سليمان.

٤ـ كانت الشياطين قبل نزول القرآن يسترقون السمع لكنْ بعد البعثة النبوية امتنع ذلك كله.

٥ـ أراد الله أولاً أنْ ينفي تهمة الكفر عن سليمان عليه السلام قبل أنْ يحكي حكاية الشياطين.

٦ـ حين أعطى الله سليمان المُلك، كان الشياطين يملأون الأرض بالسحر وكتبه، فأخذ سليمان عليه السلام هذه الكتب، وقيل: إنه دفنها تحت عرشه، فلما مات عثرت

الشياطين على هذه الكتب، وقال أولياؤهم من أحبار اليهود: إنّ هذه الكتب من السحر هي التي كان سليمان يسيطر بها على الجن والإنس وإنها كانت منهجه وأشاعوها بين الناس، فأراد الله أنْ يبرىء سليمان من هذه التهمة ومن أنه حكم بالسحر ونشر الكفر، فقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢].

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة:١٠٢] وصف أهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد (ولقد) ونفاه في آخر الآية عنهم؛ لأنهم لم يعملوا بعلمهم.

٨ـ السحر تخيُّل ، والشياطين لهم القدرة على التشكل بأي صورة من الصور، ونحن لا نستطيع أنْ ندرك الشيطان على صورته الحقيقية، ولكنه إذا تشكل نستطيع أنْ نراه في صورة مادية، وهو لا يبقى في تشكله إلا لمحة ثم يختفي في ثوان؛ لأنّ قانون التشكل يحكمه، وهذا من رحمة الله بنا، وإلا لكانوا أفزعونا وجعلوا حياتنا جحيماً.

٩ـ السحر يؤدي إلى اختلال التوازن في الكون؛ لأنّ الساحر يستعين بقوة أعلى في عنصرها من الإنسان وهو الشيطان، وهو مخلوق من النار خفيف الحركة قادر على التشكل .

١٠ـ الإنسان عندما يطلب تعلم السحر وكيف يسخر الجن يدعي أنه يفعل الخير في الكون ولكنها ليست حقيقة؛ لأنّ هذا يعينه على الطغيان، والذي يخل بالأمن هو عدم التكافؤ بين الناس، والله سبحانه يريد تكافؤ الفرص ليحفظ أمن وسلامة الكون؛ ولذلك يقول لنا: لا تطغوا وتستعينوا بالشياطين في الطغيان فيفسد أمن الكون.

١١ـ شاءت حكمة الله تعالى أنْ يضع في الكون ما يجعل كل مخلوق لا يغتر بذاتيته، فقد اغتر إبليس بذاتيته ورفض أنْ يسجد لآدم ؛ لذلك لمّا أراد الله أنْ يعلم البشر من القوانين ما يجعل هذا العنصر الأعلى - وهو الشيطان - يخضع للأدنى - وهو الإنسان- حتى يعرف كل خلق الله أنه إنْ ميزهم الله في عنصر من العناصر فإنّ هذا ليس بإرادتهم ولكنْ بمشيئة الله سبحانه .

ولذلك أرسل الملكين ببابل هاروت وماروت ليعلما الناس السحر الذي يُخضع الأعلى عنصراً للأدنى.

١٢ ـ هذان الملكان كلِّفا بأنْ يعلِّما الناس السحر وأنْ يحذّرا بأنّ السحر فتنة تؤدي إلى الكفر، وأنّ السحر لا ينفع إلا في الشر وفي التفريق بين الرجل وزوجه، وأنّ ضرر السحر لا يقع إلا بإذن الله وقد فعلا ذلك ، والفتنة هي الامتحان .

١٣ ـ ما قيل: إنّ امرأة جميلة فتنت الملكين قصة غير صحيحة مطلقاً، تتنافى مع طبيعة الملائكة بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم.

١٤ ـ الله يخبرنا أنْ تعلم السحر يضر ولا ينفع، وتجد من يعمل بذلك يعتمد في رزقه على غيره من البشر ، ويظل يبحث عن إنسان يغريه ليأخذ منه ماله، وتجد أنّ حياته وكل أموره غير مستقرة، وكل من يعمل بالسحر يموت فقيراً ، ثم يلعنه الله ولا يكون له في الآخرة إلا النار.

١٥ـ الله سبحانه وتعالى إذا كانت حكمته قد اقتضت أنْ يكون السحر من فتن الدنيا وابتلاءاتها فإنه سبحانه قد حكم على كل من يعمل بالسحر بأنه كافر، ولذلك لا

يجب على الإنسان أنْ يتعلم أو يقرأ عن السحر؛ لأنه وقت تعلمه قد يقول: سأفعل الخير، ثم ما يلبث أن يستخدمه في الشر، كما أن الشياطين التي يستعين بها الساحر غالباً ما تنقلب عليه لتذيقه وبال أمره، واقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن:٦] .

اللهم إنك قد أقدرت بعض خلقك على السحر والشر ، ولكنك احتفظت لنفسك بإذن الضر فأعوذ بما احتفظت به بما أقدرت عليه بحق قولك: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢] .

ومن أنواع السحر المعروف قديماً :

١ـ سحر الكلدانيين، وهم قوم يعبدون الكواكب ويعتقدون أنّ أفعال الخير والشر تصدر منها.

٢ـ سحر أصحاب الأوهام مع النفس القوية.

٣ـ الاستعانة بالأرواح الأرضية، مثل الجن.

٤ـ التخيلات والأخذ بالعيون.

٥ـ الأعمال العجيبة نتيجة الحيل.

٦ـ الاستعانة بخواص استعمال المواد مثل الكبريت والفوسفور وخواص الكهرباء.

٧ـ كلمات منظومة السحر في القرآن هي [السحر ـ العين ـ الحسد ـ النفث] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٠٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما مناسبة نزول هذه الآية عقب آيات السحر؟

الجواب:

نُهِيَ المؤمنون عن التلفظ بكلمة ﴿رَٰعِنَا﴾ وهذه كلمة تشبه كلمة في العبرانية تعني المسبّة، فقال المنافقون واليهود: كنا نسبّ الرسول ﷺ سرّاً فأعلنوا بها الآن، فأنزل الله تعالى النهي عن هذه الكلمة وكشف عمل اليهود والمنافقين.

لكنْ ما مناسبة نزول هذه الآية عقب آيات السحر؟ لو رجعنا إلى أصل السحر لرأيناه يرجع إلى التمويه وأنّ من ضروب السحر ما هو تمويه الألفاظ، فأذى الشخص بقول أو فعل لا يُعلم مغزاهما كخطابه بلفظ يفيد معنى ومقصود المتكلم به أذى، كما فعل المنافقون بقولهم: ﴿رَٰعِنَا﴾ فهم يظهرون معنى ويبطنون غيره.

السؤال الثاني:

ما دلالة هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ اعلم أنّ الله قد خاطب المؤمنين بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في تسعة وثمانين موضعاً من القرآن، وكان يخاطب في التوراة بقوله: (يا أيها المساكين)، فكأنه سبحانه لمّا خاطبهم أولاً بالمساكين أثبت المسكنة لهم آخراً، والمسكنة هي تشديد المحن

حيث قال: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾ [البقرة:٦١] وهذا يدل على أنه تعالى لمّا خاطب هذه الأمة بالإيمان أولاً؛ فإنه يعطيهم الأمان من العذاب في النار يوم القيامة.

واسم المؤمن من أشرف الأسماء والصفات، فخاطبنا الله به فنرجو من فضله وكرمه أنْ يعاملنا في الآخرة بأحسن المعاملات ، اللهم آمين.

٢ـ في الآية الكريمة نداء للمؤمنين بأنْ يمتنعوا عن قول ﴿رَٰعِنَا﴾ ويقولوا بدلاً عنها ﴿ٱنظُرۡنَا﴾ .

كلمة ﴿رَٰعِنَا﴾ في اللغة العربية مشتقة من الرعاية والراعي، وتصبح الكلمة بمعنى: احفظنا وخذ بيدنا وراقبنا.

لكن هذه الكلمة عند اليهود في لغتهم العبرانية مأخوذة من الرعونة، ولذلك كانوا إذا سمعوا من صحابة رسول الله كلمة ﴿رَٰعِنَا﴾ اتخذوها وسيلة للسباب بالنسبة لرسول الله ﷺ ، والمسلمون لا يدرون شيئاً، لذلك أمرهم الله أنْ يتركوا هذه الكلمة حتى لا يجد اليهود وسيلة لستر سبابهم وأمرهم بأن يقولوا: ﴿ٱنظُرۡنَا﴾ .

٣ـ ثم قال الحق بعدها: ﴿وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ ، وهنا يشير الله إلى الفرق بين اليهود والمؤمنين، فاليهود قالوا : (سمعنا وعصينا) ولكنّ الله يقول للمؤمنين ﴿وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ سماع طاعة وسماع تنفيذ.

سعد بن معاذ رضي الله عنه سمع واحداً من اليهود يقول لرسول الله ﷺ ﴿رَٰعِنَا﴾ وسعد كان سابقاً من أحبار اليهود ويعرف لغتهم ، فلمّا سمع ما قاله فهم

مراده فذهب إلى اليهودي وقال له : لو سمعتها منك مرة أخرى لضربت عنقك . فقال اليهودي: أَوَلستم تقولونها لنبيكم ؟ أهي علينا حرام وحلال لكم ؟ فنزلت هذه الآية.

كلمة ﴿رَٰعِنَا﴾ وكلمة ﴿ٱنظُرۡنَا﴾ لهما نفس المعنى ، ولكن كلمة ﴿ٱنظُرۡنَا﴾ ليس لها نظير في لغة اليهود التي تعني الإساءة لرسول الله ﷺ .

٤ـ ثم قال: ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾ [البقرة:١٠٤] أي: من يقول: ﴿رَٰعِنَا﴾ إساءة لرسول الله ﷺ لهم عذاب أليم، وقدّم الجار والمجرور للحصر.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾

السؤال الأول:

ما دلالة وصف الفضل بالعظيم؟

الجواب:

وُصِف الفوز في القرآن الكريم وكذلك الفضل بأنه عظيم وكبير ومبين.

الفضل وُصِف بالعظيم في ثماني آيات في القرآن كله، ووصف بالكبير في ثلاث آيات، ووصف بالمبين في آية واحدة .

والخلاصة التي نقدمها في هذا الموضوع ابتداء قبل استعراض الآيات :

١ـ أنّ الوصف إذا كان بلفظ العظيم يكون متصل الإسناد مباشرة باسم الجلالة (الله)، ويكون الوصف متعدداً .

٢ـ وعندما تكون الإشارة إلى فضل من الله تعالى بغير إسناد مباشر للفظ الجلالة (الله) يوصف الفضل بالكبير .

٣ـ وعندما يكون الأمر دنيوياً ويكون شيئاً مباشراً ظاهراً ملموساً يستعمل كلمة (مبين) في وصف الفضل.

٤ـ جاءت كلمة (الفضل) في القرآن معرّفة، أي: (الفضل)، وجاءت نكرة أيضاً ؛ أي: فضل، فإذا كان ما قبلها معرّفاً جاءت معرّفة، وإذا كان ما قبلها نكرة جاءت نكرة.

شواهد قرآنية (الفضل العظيم) ٨ آيات :

قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة:١٠٥]

فلمّا كان الفضل متصلاً بخبر اسم الجلالة كان استعمال كلمة ﴿العظيم﴾ للفضل .

وكذلك الآيات [٧٤] آل عمران [٢٩] الأنفال [٢١] الحديد [٢٩] الحديد [٤] الجمعة [١٧٤] آل عمران [١١٣] النساء

أمّا من حيث المعنى، فلو نظرنا إلى الآيات في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [البقرة:١٠٥] سنجده سبحانه يختص الرحمة التي هي شيء واسع بمن يشاء، والدليل على سعة الرحمة قوله تعالى ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] وعندما

يكون الشيء واسعاً يتناسب معه استعمال كلمة (العظيم)، وعندما يكون الشيء منحصراً تستعمل كلمة (الكبير).

شواهد قرآنية (الفضل الكبير) ٣ آيات :

- ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر:٣٢].

- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾ [الشورى:٢٢].

- ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾ [الإسراء:٨٧].

شواهد قرآنية (الفضل المبين) ١ آية :

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل:١٦].

السؤال الثاني:

لِمَ عطف الله تعالى قوله ﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٠٥] على ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البقرة:١٠٥] مع أنّ المشركين كافرون؟

الجواب:

لقد عطف الله تعالى قوله: ﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٠٥] على ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البقرة:١٠٥] لئلا يقع في الظن أنّ الحسد يقع من أهل الكتاب وحدهم دون غيرهم، فالكفر سبب البُغض والحسد لأيٍّ ما كان وفي أيِّ زمن كان.

السؤال الثالث:

الحرف ﴿مِنْ﴾ تكرر في الآية ثلاث مرات، فما دلالة كل مرة ؟

الجواب:

﴿مِنْ﴾ الأولى للبيان؛ لأنّ الذين كفروا جنس تحته نوعان: أهل الكتاب والمشركون، والثانية : لاستغراق الخير، والثالثة : لابتداء الغاية.

السؤال الرابع:

ما الدروس المستفادة من هذه الآية بشكل مختصر ؟

الجواب:

١ـ لمّا بيّن سبحانه في الآيات السابقة حال اليهود والكفار في العداوة والمعاندة حذّر المؤمنين منهم بهذه الآية، فنفى عن قلوبهم الود والمحبة لكل ما يظهر به فضل المؤمنين .

والخيرهو الوحي، وكذلك الرحمة كقوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزُّخرُف:٣٢] والمعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأنْ يوحى إليهم فيحسدوكم ولا يحبوا أنْ ينزل عليكم شيء من الوحي .

٢ـ ثم بيّن سبحانه أنّ ذلك الحسد لا يؤثر في زوال ذلك، فإنه سبحانه يختص برحمته وإحسانه من يشاء.

والله أعلم .

﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

السؤال الأول:

في الآية هناك قراءتان لكلمة ﴿نُنسِهَا﴾ ما الفرق بينهما؟

الجواب:

قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وأبو جعفر وخَلَف ﴿نُنسِهَا﴾ وقرأها ابن كثير وأبو عمرو (ننسأها)، فأمّا قراءة ﴿نُنسِهَا﴾ فهي من النسيان، أي: نُنسي الناس إياها وذلك بأمر الرسول ﷺ بترك قراءتها حتى ينساها المسلمون، وقراءة (ننسأها) بمعنى نؤخّرها، أي نُؤَخِّرُ تلاوتها، أو نؤخر العمل بها، مما يؤدي إلى إبطال العمل بقراءتها أو بحكمها.

السؤال الثاني:

ولكن لِمَ قال تعالى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ [البقرة:١٠٦] ولم يبين بأي شيء هي أفضل وخير من الآية المنسوخة؟

الجواب:

﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ أُجمِلت جهة الخيرية ولم يُذكر وجه الخير؛ لتذهب نفسك كل مذهب ممكن، فقد ترى أنّ الخيرية في الاشتمال على ما يناسب مصلحة الناس، ويرى غيرك ما فيه رفق بالمكلفين ورحمة بهم في مواضع الشدة وهكذا.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين الإنساء والنسيان ؟ وما علاقة النسيان بالشيطان ؟

الجواب:

١ـ النسيان : خلقه الله في الإنسان؛ لذلك ينسى الشخص من تلقاء نفسه، ويكون عما كان. أمّا السهو فيكون عما لم يكن .

٢ـ الإنساء : من أنسى ، مثل : أكرم إكراماً .

٣ـ لا النسيان ولا الإنساء يختص بالشيطان، لكنْ قد تستطيع أن تُنسي شخصاً أمراً ما بإلهائك إياه ببعض الأمور الأخرى .

٤ـ الله تعالى ينسب الإنساء لنفسه كما في قوله تعالى : ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر:١٩] .

شواهد قرآنية :

ـ آية طه [٥٢] ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه:٥٢] لا ينسى من تلقاء نفسه.

ـ آية الكهف [٦٣] ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف:٦٣] فتى موسى يتكلم عن نفسه أنّ الشيطان بسبب وساوسه ألهاه فنسي.

ـ آية يوسف [٤٢] ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف:٤٢] هذا سرد لما حدث؛ يتكلم عن الشخص الذي ظن أنه ناج، أي: أنّ الشيطان بسبب وساوسه وإلهائه له جعله ينسى موضوع يوسف عليه السلام.

ـ آية البقرة [٢٨٦] : ﴿إِن نَّسِينَآ﴾ [البقرة:٢٨٦] عامة من تلقاء أنفسهم.

ـ آية المؤمنون: ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾ [المؤمنون:١١٠] أي: أنّ انشغالكم بسخرية المؤمنين أنساكم ذكر الله والإيمان به.

ـ آية البقرة [١٠٦] ﴿۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا﴾ [البقرة:١٠٦] متعلقة بالله تعالى.

❁❁❁❁

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧﴾

السؤال الأول:

ما فائدة تقديم الجار والمجرور ﴿لَهُۥ مُلۡكُ﴾ [البقرة:١٠٧] ؟

الجواب:

هذا يفيد الحصر والقصر، أي: لا أحد يملك السماوات والأرض إلا الله سبحانه وحده.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين الملك والملكوت ؟

الجواب:

كلمة المُلك والملكوت كلمتان مشتقتان من (ملك)، وزيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى، فبصورةٍ أولية كلمة (الملكوت) هي أوسع من كلمة ﴿المُلك﴾، وبهذا المعنى استعملت في القرآن الكريم .

فعندما نأتي إلى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٨٥] وعطف الخلق العام ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٨٥] كله داخل في ملكوته ، فالعطف هنا هو من عطف الخاص على العام، فكل ما خلق هو داخل ضمن عموم كلمة (الملكوت). والملك والملكوت كله لله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [البقرة:١٠٧] .

والفارق بين الملك والملكوت أنّ الله سبحانه يمكن أنْ يعطي من ملكه جلت قدرته لعبيده يتصرفون فيه من سلطان أو مال، فكل ما في الكون هو ملك لله سبحانه وتعالى، فيعطي لهؤلاء العبيد، وهو لا يخرج من ملكية الله سبحانه وتعالى بل هو باقٍ، ويستعمله عبيده على سبيل العارية المردودة والمسترجعة، فله ملك السموات والأرض.

وعندما ننظر لاستعمال الملك والملكوت في القرآن الكريم، نجد أنّ الملك يمكن أنْ يوجه إلى عبيد الله سبحانه وتعالى، أي: إلى البشر، لكن لم يرد في القرآن الكريم أنه أعطي من الملكوت للبشر ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٦] فالملك ملك الله سبحانه وتعالى ممكن أنْ يُعار بعضه ؛ أي: يُملك على سبيل الإعارة نحو قوله تعالى : ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور:٣٣] أي: هو مال الله .

أمّا الملكوت فهو العز والسلطان، وملكوت الله سلطانه، والملكوت ملك الله خاصة ، أي: لا يعطي منه لأحد، والملك داخل في الملكوت، والملكوت عام، فالله عز وجل لم يقل : (تؤتي الملكوت من تشاء) بل ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ﴾ وملك الله عز وجل ما في

السموات وما في الأرض، فملكوت الله عز وجل واسع، والملكوت هو هذا الملك الواسع مما لا يمكن أنْ يتخيله الإنسان.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام:٧٥] الموطن موطن تعجب وموطن عظمة، فقال: نريه ملكوت السماوات والأرض .

وقد وردت كلمة ﴿مَلَكُوتَ﴾ في القرآن الكريم أربع مرات، وليس فيها إشارة إلى إعطائها لأحد، والآيات هي : الأنعام [٧٥] الأعراف [١٨٥] المؤمنون[٨٨] يس [٨٣]

وملكوت كلمة عربية على وزن فعلوت مثل رهبوت، وفي اللغة :الرهبة والرهبوت وتعني الرهبة العظيمة .

❁❁❁❁

﴿أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾

السؤال الأول:

في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [البقرة:١٠٨] ما المتروك؟ وما المأخوذ ؟

الجواب:

الباء مع الذاهب ﴿بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ أي: أنّ الإيمان عندهم ذهب بعد أنْ أخذوا محله الكفر .

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿ضَلَّ﴾ من منظومة كلمات (التيه)، فما هذه الكلمات ؟

الجواب:

كلمات منظومة (التيه) هي :

تاه: ومنه التيه في الأرض (تيْهان) ، والتيه في العقيدة، (تائه)، وهو المتحير الذي لا يعرف المكان الذي هو فيه ولا كيف يتوجه فهو تائه وتيهان.

ضاع : الضياع يكون بالإهمال وقلة الوعي، نحو قوله تعالى: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم:٥٩] و كذلك في آل عمران: ١٩٥.

فقد : الفقدان هو زوال الشيء عنوة وهو عزيز، والفقد لا يكون إلا لعزيز، والضائع لا يعود، والمفقود يعود وقد لا يعود، يوسف: ٧٣.

ضلّ : الضلال هو الخروج عن طريق مستقيم واضح إلى طريق متعرج مجهول، وفي القرآن تطلق كلمة (ضلّ والضلال) على الكفر والشرك وتطلق على النسيان ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة:٢٨٢] وعلى الخطأ اليسير ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾ [يوسف:٨] .

الضلال البعيد : كل ضلال بعيد في القرآن هو كفر وشرك، والضالون مخلدون في النار [الشورى : ١٨].

الضلال عن سواء السبيل: كان مؤمناً فتحيّر فارتد مشركاً فهو من المرتدين، انظرآية البقرة: ١٠٨.

الضلال المبين: هو آخر فرصة للضال قبل أنْ تأتيه العقوبة، وتطلق على الكافرين المشركين الخالدين في النار. آية مريم: ٣٨.

❁❁❁❁

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال هنا في آية البقرة: ﴿مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة:١٠٩] وقال في آية البقرة: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة:٥٦] بينما لم يذكر (من) في آية آل عمران ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [آل عمران:١٠٠] فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة : ٥٦.

السؤال الثاني:

لم قال تعالى: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة:١٠٩] ولم يقل منهم؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة:١٠٩] تأكيد على تأصيل هذا الحسد فيهم وصدوره من أنفسهم أكثر من قوله منهم.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾

السؤال الأول:

أداة الشرط (ما) في الآية ماذا تفيد من معنى ؟

الجواب:

(ما) : أداة شرط وهي أعم من (مَن)، وهي لغير العاقل: ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ [آل عمران: ١١٥]، ولصفات العقلاء نحو: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ [النساء:٢٤] وهي تفيد الزمان نحو: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ ۚ﴾ [التوبة:٧] أي: مدة استقامتهم لكم ، كما تكون غير زمانية كما في هذه الآية ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٠].

السؤال الثاني:

يقول تعالى في هذه الآية: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ [البقرة:١١٠] وفي آية أخرى يقول: ﴿بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة:٩٦] فهل للتقديم والتأخير لمسة بيانية؟

الجواب:

التقديم والتأخير يأتي لسبب، والسياق قد يكون الحاكم والموضح للأمور، فإذا كان السياق في الكلام أو الآية عن العمل يقدّم العمل على البصر، وإذا كان الكلام ليس في السياق عن العمل أو الكلام عن الله تعالى وصفاته يقدّم صفته.

شواهد قرآنية :

١ـ فمن باب تقديم العمل على البصر، قوله تعالى:

- ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ [البقرة:١١٠] السياق عن العمل والله بهذا العمل بصير.

- ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة:٢٦٥] هذا إنفاق وهو عمل فقدّم العمل .

- ﴿ ۞ وَالْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾ [البقرة:٢٣٣] الرضاعة عمل فقدّم العمل .

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [البقرة:٢٣٧] العفو عمل فقدّم العمل.

- ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾ [هود:١١١] توفية العمل فقدّم العمل.

- ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود:١١٢] الكلام عن العمل فقدّم العمل .

- ﴿أَنِ اعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [سبأ:١١] قدّم العمل.

- ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فُصِّلَت:٤٠] قدّم العمل.

٢ـ ومن باب تقديم البصر على العمل، قوله تعالى:

- ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة:٩٦] ليس فيها عمل فقدّم صفة من صفاته تعالى.

- ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [المائدة:٧١] لا يوجد عمل فقدّم صفة من صفاته تعالى.

- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحُجُرات:١٨] يتكلم عن الله تعالى فيقدم صفة من صفات الله تعالى.

❋❋❋❋

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾

السؤال الأول:

في الآية طلب كشف مدى صدق دعواهم وهو نوع من طلب التحقيق، فما دلالة ذلك ؟ وما فرق التحقيق عن التبيين ؟

الجواب:

التحقيق هو كشف مدى صدق الدعوى، وهو يختلف عن التبيين الذي هو لمعرفة صدق الخبر، والفرق بين التبيين والتحقيق أنك في الأول تجعل صاحب الخبر يبين ، أمّا في الآخر فإنك تجعل صاحب الدعوى يأتي بالبرهان على صحة دعواه كما في هذه الآية.

السؤال الثاني:

ما كلمات منظومة التحري والتحقيق؟

الجواب:

الكلمات هي :التحري ـ الاستخبار ـ التبيين ـ التحقيق ـ القص ـ التوسم .

لمزيد من المعلومات راجع منظومة التحري والاستخبار في القرآن الكريم في آية الكهف ٦٤ .

❁❁❁❁

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في هذه الآية: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [البقرة:١١٢] وورد الفعل ﴿أَسْلَمَ﴾ بالماضي وفي آية لقمان ورد الفعل بالمضارع ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [لقمان:٢٢] فما الفرق بينهما؟

الجواب:

أولاً ـ استعراض الآيات :

آية البقرة ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [البقرة:١١٢] .

آية لقمان ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان:٢٢].

ثانياً ـ اختلاف الصيغ بين الآيتين :

نوجز ذلك بالجدول التالي :

	آية البقرة	آية لقمان	البيان
-	﴿أَسْلَمَ﴾ بالماضي	﴿يُسْلِمْ﴾ بالمضارع	اختلاف الصيغتين
-	﴿لِلَّهِ﴾ باستعمال اللام	﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ بإستعمال إلى	استعمال اللام / إلى
-	-	﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ﴾	لم يقل ذلك في البقرة
-	﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾	-	هذا الجواب لم يرد في لقمان

سياق الآيتين يوضح الاستعمال.

من الناحية اللغوية :

١ـ أسلم، أي: انقاد واستسلم وخضع واتبع وفوّض.

آ ـ معنى (أسلم إلى الله) أي:انقاد له وفوض أمره إليه وسلم نفسه إليه كما يسلَّم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه، والمراد التوكل عليه والتفويض إليه، و(إلى) هنا هي للغاية.

ب ـ ومعنى: (أسلم وجهه لله) أي: جعل نفسه لله خالصاً، أي: لله فقط، والاختصاص والوجه بمعنى النفس والذات، فاللام للملك والاختصاص، أمّا (إلى) فهي للغاية؛ لذلك (أسلم له) أعلى من (أسلم إليه).

وقد وردت في عموم القرآن الكريم متصرفات الفعل (أسلم) متعدية باللام، ولم يرد ذلك الفعل متعدياً بإلى إلا في آية لقمان: ٢٢.

٢ـ أنه إذا وقع فعل الشرط مضارعاً بعد أداة الشرط فهذا يفيد التكرار غالباً، وإذا وقع بالماضي يفيد وقوع الحدث مرة في الغالب .

المعنى العام للتعبير:

استعمال (إلى) تدل على أنّ الله هو الغاية، والغاية لا بُدّ لها من طريق للهداية يوصّل إليها.

أمّا اللام، فتعني الوصول لله مباشرة دون قطع طريق، وهذا الوصول لا يكون إلا بدرجة عالية من الإخلاص لله.

فمعنى آية لقمان: أنك على الطريق الموصل إلى الله تعالى، وأنك تؤدي ما افترضه عليك.

ومن إسلام الوجه لله قول ملكة سبأ : ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل:٤٤] فالكلام هنا على لسان ملكة، فلم تقل: أسلمت لسليمان، لكنْ قالت: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل:٤٤].

وإسلام الوجه لله أو إخلاص العمل لله عملية دقيقة تحتاج من العبد إلى كثيرٍ من المجاهدة لأنّ النفس لا تخلو من هفوة.

ما سبب اختيار الفعل (أسلم) ؟

١ـ ذكرنا أنّ أهم معاني (أسلم)هو الاتباع والتفويض.

آـ معنى الاتباع :

في آية لقمان [٢١] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان:٢١] فذكر فيها الاتباع للآباء بمعنى أنهم أسلموا قيادة أمرهم إلى الشيطان، فناسب هنا ذكر اتباع الله فقال: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [لقمان:٢٢] .

ب ـ معنى التفويض :

ذكر في آية لقمان [٢٢] أنّ المرء يفوض أمره إلى الله وخاصة في حالة الشدائد، فقال تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان:٢٢] فكأنها تعصم من الشدائد؛ لأنّ حبل الله متين مأمون انقطاعه؛ ولأنّ النتيجة هي بيد الله وإلى الله عاقبة الأمور .

لذلك ناسب اختيار (يُسلم)

مقارنة بين آية البقرة وآية لقمان

١ـ جاءت لفظة ﴿أَسْلَمَ﴾ بالماضي في سورة البقرة، وجاءت بصيغة المضارع في آية لقمان؛ وذلك بسبب:

آ ـ في البقرة جاءت رداً على اليهود والنصارى، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة:١١١] فجاء الرد ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة:١١٢] أي: دخل في الإسلام، وهذا يحدث مرة واحدة في العمر، والباقي أعمال فجاءت في صيغة الماضي.

ب ـ أمّا في آية لقمان فجاء بصيغة المضارع؛ لأنّ معاني الاتباع متعددة والتفويض يتكرر في كل أمر عند الشدائد فناسب فعل المضارع.

٢ـ يقدّم القرآن الجار والمجرور على الفعل (أسلم) في مقام التوحيد ونفي الشرك، فيقول: ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ [الحج:٣٤] وفي غيره لا يقدم.

شواهد قرآنية:

آ ـ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الحج:٣٤] فقدّم الجار والمجرور ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ لأنه تقدمها ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾.

ب ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزُّمَر:٥٤] لم يقدّم الجار والمجرور؛ لأنها ليست في مقام التوحيد.

ج ـ آية لقمان [٢٢] لم يقدم الجار والمجرور؛ لأنها ليست في مقام التوحيد.

د ـ وتقديم الجار والمجرور يفيد الحصر كما في قوله تعالى : ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ﴾ [الملك:٢٩].

ففي آية الملك قدّم الجار والمجرور على الفعل ﴿وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ﴾ [الملك:٢٩] وقدم الفعل ﴿ءَامَنَّا﴾ [الملك:٢٩] على الجار والمجرور ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الملك:٢٩] وذلك لأنّ الإيمان ليس منحصراً في الإيمان بالله فقط، بل لا بدّ معه من الإيمان بالرسل والملائكة والكتب واليوم الآخر وغيره مما يتوقف عليه صحة الإيمان عليه، بخلاف التوكل فإنه لا يكون إلا على الله وحده لتفرده بالقدرة والعلم القديمين، لذلك قدّم الجار والمجرور فيه ليؤذن باختصاص التوكل من العبد على الله دون غيره؛ لأنّ غيره لا يملك ضراً ولا نفعاً فيتوكل عليه .

لذلك لا يصح من الناحية البيانية أنْ تقول (به آمنا).

٣ـ قال في لقمان: ﴿يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [لقمان:٢٢] بالتعدية بـ (إلى) وقال في البقرة: ﴿أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١١٢] والسبب كا ذُكر أعلاه؛ فمعنى (يسلم وجهه إلى الله) أي: يفوض أمره إلى الله ويتوكل عليه، ولذا كان جواب الشرط: ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢﴾ [لقمان:٢٢] .

بينما معنى (أسلم وجهه لله) أي: دخل في الإسلام واستسلم لوجه الله وانقاد له وجعل نفسه خالصاً له، ولذا كان الجواب: ﴿فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١١٢﴾ [البقرة:١١٢].

٤ـ قال في البقرة: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦] ولم يذكرها في لقمان، والسبب : أنه لما ذكر في البقرة ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وهو رأس كل طغيان، وقد يصيب المرء أحياناً بسبب الكفر بالطاغوت أذى شديد وعذاب وهلكة فاحتاج إلى ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦] للتحفيز على الاستمساك بالعروة الوثقى وهو حبل الله تعالى، وهو حبلٌ مأمونٌ انقطاعه وخاصة في الشدائد، بينما لا يوجد في آية لقمان معنى الأذى والعذاب والتهلكة، فلم يحتج إلى ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ .

٥ـ وصف العروة بأنها ﴿ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦] ولم يقل :(الوثيقة) للدلالة على أنها أوثق العرى وليس ثمة عروة أوثق منها؛ ولأنّ الوثقى مؤنث الأوثق، أي: الدرجة العليا في التوثيق، أي: أوثقها وأقواها.

٦ـ وجاء في آية البقرة [٢٥٦] ولقمان [٢٢] بـ﴿فَقَدِ﴾ مع الفعل الماضي للدلالة على التحقق، أي: تحقق استمساكه بالعروة الوثقى.

مع ملاحظة أن (قد) إذا دخلت غلى الفعل المضارع أدت عدة معانٍ : التكثير والتحقيق، وأحد معانيها التقليل، وأمّا (قد) مع الفعل الماضي فهي للتحقيق، وقد تقلب الدعاء معها إلى خبر، فتقول مثلاً في الدعاء : رزقك الله ولداً، وأمّا إذا قلت: قد رزقك الله ولداً، فهذا خبر.

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة:١١٢] أي: يسلم وجهه إلى الله في حالة اتصافه بالإحسان

٨ـ قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَمۡسَكَ﴾ [البقرة:٢٥٦] ولم يقل: أمسك، والوزن استفعل يفيد الطلب، نحو: استنصر، أي: طلب النصرة، واستغفر، أي: طلب المغفرة، ويفيد معنى الصيرورة نحو : استنوق الجمل، واستحجر الطيب، ويفيد معنى ثالثاً، وهو المبالغة كما هو في هذه الآية: ﴿ٱسۡتَمۡسَكَ﴾، وكذلك (استيئس) للدلالة على المبالغة في اليأس.

مع ملاحظة أن كلمة ﴿ٱسۡتَمۡسَكَ﴾ [البقرة:٢٥٦] لم تأت في القرآن إلا في أمور الدين، كقوله تعالى ﴿فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ۝٢١﴾ [الزُّخرُف:٢١].

٩ـ قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٢٢﴾ [لقمان:٢٢] :

آ ـ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾ [لقمان:٢٢] قدّم الجار والمجرور لتفيد الحصر، وهي رد على الكفرة في زعمهم مرجعية آلهتهم لبعض الأمور، والآية تفيد أنّ الأمور جميعها هي صائرة إليه عز وجل لا إلى غيره، فيجازي الله سبحانه المتوكل عليه أحسن الجزاء، ويجازي ذلك المجادل بما يليق به بمقتضى الحكمة .

ب ـ وأل التعريف في قوله: ﴿ٱلۡأُمُورِ ۝٢٢﴾ [لقمان:٢٢] هي للاستغراق.

وهكذا نجد السياق في آية لقمان فيه وضوح المبالغة في ﴿ٱسۡتَمۡسَكَ﴾ و ﴿ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ و ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾ فيها حصر .

وبشكل عام وفي كلا الآيتين (من أسلم لله) و(أسلم إلى الله) كلاهما محسن ، ولذلك قال القدامى : (أسلم لله) أعلى من (أسلمت إلى الله) كما قال الرازي: واختلف الأجر وكل أجر مناسب لكل واحد، ذاك فوض أمره إلى الله فقد استمسك بالعروة

الوثقى، وذاك جعل نفسه خالصاً لله فله أجره عند ربه، وكونه مسلماً دخل في الإسلام. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

السؤال الأول:

متى يأتي الفعل(كانوا) أو (كنتم) مع كلمة (يختلفون) و(تختلفون)، كما في الآيات ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة:١١٣] ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يونس:١٩] وما سبب ذلك ؟ ومتى لا يأتي الفعل (كان) كما في آية يونس ١٩ ؟

الجواب:

عندما يقول: ﴿كَانُوا۟﴾ أو ﴿كُنتُمْ﴾ فالكلام عن يوم القيامة، والاختلاف كان في الدنيا ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة:١١٣] الاختلاف في الدنيا.

علماً بأن (كان) هو فعل ماض ناقص، وأحياناً يأتي تاماً، وله استخدامات كثيرة.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٩﴾ [يونس:١٩] فهذه الآن، وليس في يوم القيامة ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس:١٩] لأنها تقصد الدنيا؛ فلا حاجة للفعل ﴿كان﴾.

السؤال الثاني:

لماذا أنّث الفعل ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ [البقرة:١١٣] ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾ [البقرة:١١٣] في الآية ؟

الجواب:

القاعدة تقول :

١ـ يجوز تذكير وتأنيث جمع التكسير.

٢ـ يونث الفعل مع الكثرة ويذكر مع القلة ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [يوسف:٣٠] ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾ [الحُجرات:١٤] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ [البقرة:١١٣] ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾ [البقرة:١١٣]؛ لأنّ الأعراب كُثر واليهود كُثُر والنصارى كُثر كذلك فأنث .

❁❁❁❁

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١٤﴾

السؤال الأول:

ما نوع الاستفهام فى الآية؟

الجواب:

يوجد في هذه الآية استفهام بـ﴿وَمَنْ﴾ وليس الغرض منه الاستفهام الحقيقي وانتظار جواب، وإنما هو استفهام إنكاري خرج إلى النفي، ومعناه : أي لا أحد أظلمُ ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه.

السؤال الثاني:

ما المساجد المقصودة في الآية حتى جُمِعت؟

الجواب:

نزلت الآية في أهل مكة؛ لأنهم منعوا المسلمين دخول المسجد الحرام. ومع ذلك نرى أنّ الآية قد جُمِع فيها المسجد ﴿مَسَٰجِدَ﴾ للتعظيم من شأن المسجد، وهذا واضح كما يقول الفرد في معرض الفخر والتعظيم لنفسه: (نحن نقول) وكذلك كلمة (المساجد) أتت جمعاً ليكون الوعيد شاملاً لكل مخرِّب لمسجد أو مانع العبادة فيه.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين استعمال كلمتي (عقاب وعذاب) كما وردتا في القرآن الكريم؟

الجواب:

هذه الكلمات هي من لهجات مختلفة فليس بينها فروق، ويستدلون بكلمة السكين والمُدية.

وأما عن كلمتي العقاب والعذاب في القرآن الكريم فهو أن :

١ـ كلمة العقاب ومشتقاتها وردت في القرآن في ـ ٦٤ـ موضعاً.

٢ـ كلمة العذاب ومشتقاتها وردت في القرآن في ـ٣٧٠ـ موضعاً.

٣ـ الفعل الثلاثي لكل من الكلمتين (عذب) و(عقب)، والحرفان الأول والثالث مشتركان بينهما الخلاف في الحرف الثاني.

وحرف الذال من أحرف الرخاوة وفيه امتداد، بينما حرف القاف من أحرف الشدة وفيه سرعة، ويسمى في الدراسات الحديثة حرفاً انفجارياً، وأمّا حرف الذال ففيه طول ورخاوة؛ ولذلك فإن امتداد الذال يكون للدنيا والآخرة.

لذلك نستنتج أنّ كلمة (العقاب) تكون للشيء السريع، والشيء السريع يكون في الدنيا، ومن هنا نجد أنّ الآيات التي تحدثت عن عقوبات الأمم السابقة في الدنيا جاء معها كلمة (العقوبة).

٤ـ أي أنّ العقاب فيه شدة وسرعة واستعملها القرآن في الدنيا، بينما استعمل (العذاب) في الدنيا والآخرة.

٥ـ ليس في القرآن (سريع العذاب) وإنما (سريع العقاب) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام:١٦٥] والآية وصف لله سبحانه وتعالى، لكنه جلّت قدرته لم يصف نفسه بأنه سريع العذاب.

٦ـ العذاب: الفعل (عذّب) والعذاب قد يكون في الدنيا نحو قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ [البقرة:١١٤]، وقد يكون في الآخرة ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة:١١٤]، وجاء بها بمعنى العقاب ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور:٢] فهذه عقوبة سمّاها عذاباً، ما يدل على أنّ العذاب أوسع من العقاب؛ لأنه يستعمل دنيا وآخرة ويستعمل بمكان العقاب.

شواهد قرآنية على العقاب:

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنعام:١٦٥].

﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج:٦٠].

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران:١٣٧].

شواهد قرآنية على العذاب:

﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة:١١٤] عذاب في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾﴾ [الحشر:٣].

❁❁❁❁

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ [البقرة:١١٥] لِمَ خصّ الله تعالى ملكه بالمشرق والمغرب؟

الجواب:

لم تذكر الآية جهة الشمال والجنوب، وإنما ذكرت فقط المشرق والمغرب؛ لأنّ الأرض تنقسم بالنسبة لمسير الشمس إلى قسمين: قسم يبتدئ من حيث تطلع الشمس، وقسم ينتهي من حيث تغرب الشمس. والله أعلم

السؤال الثاني:

ما الفرق بين ﴿ثُمَّ﴾ بالضم، و ﴿ثَمَّ﴾ بالفتح ؟

الجواب:

١ـ ثُمَّ - بالضم- : حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي، كما في آية عبس: ٢١، وآية هود: ٥٢.

٢ـ ثَمَّ : ظرف بمعنى هناك، وهو للبعيد بمنزلة هنا للقريب، وقد تلحقها التاء فيقال: ثَمَّة – بالتاء– .

ولذلك من الخطأ الشائع أن يقال : ومن ثُمَّ - بالضم – والصحيح: ومن ثَمَّ – بالفتح–.

❁❁❁❁

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ختام الآية بالوصف بالقنوت فى هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ القنوت هو الخضوع والانقياد مع الخوف، وهذا الأمر لا يقوم به إلا كل عاقل مبصر؛ فلذلك جمع الله تعالى في هذه الآية كلمة (قانت) جمع مذكر سالم ﴿قَانِتُونَ﴾ وهو مختص بجمع الذكور العقلاء ليبيّن لنا سمة أهل الخشوع والقنوت إنهم أصحاب العقول الراجحة التي تخشى الله عن إرادة وبصيرة.

٢ـ والقنوت أصله الدوام، ثم استعمل على أربعة وجوه:

آـ الطاعة: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ ﴾ [آل عمران:٤٣].

ب ـ طول القيام: لمّا سئل النبي ﷺ : أي الصلاة أفضل؟ قال: «**طول القنوت**» .

ج ـ السكون: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة:٢٣٨].

د ـ الدوام.

السؤال الثاني:

ما الإضاءات الفكرية في هذه الآية ؟

الجواب:

أراد الله سبحانه أنْ يرد على الذين حاولوا أنْ يجعلوا لله معيناً في ملكه الذين قالوا اتخذ الله ولداً، وجاء الرد في ثلاث نقاط :

آ ـ ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ أي: تنزه الله أنْ يكون له ولد.

ب ـ ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ .

ج ـ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾.

فإذا كان هذا ملكه وإذا كان الكون كله من خلقه وخاضعاً له فما حاجته للولد؟

١ـ قضية (إنّ لله ولداً) جاءت في القرآن الكريم (١٩) مرة ومعها الرد عليها؛ لأنها قضية في قمة العقيدة، فقد تكررت وتكرر الرد عليها مرة بعد مرة.

٢ـ الله سبحانه يريدنا أنْ نعرف أنّ هذا ادعاء خطير مستنكر، ولقد عالجت سورة مريم هذه المسألة علاجاً واسعاً اشترك فيه انفعال السماوات والأرض والجبال حتى كادت الجبال تخر وكادت الأرض تنشق من هذا الافتراء على الله.

٣ ـ السؤال هنا : ما الشبهة التي جعلتهم يقولون: ولد الله ؟ النصارى فُتِنُوا في ولادة عيسى عليه السلام؛ لأنّ عنصر الأبوة ممتنع، وكان الأولى أنْ يُفتنوا بولادة آدم؛ لأنه بدون أب ولا أم، ومن العجيب أنّ النصارى لم يذكروا الفتنة في آدم، وذكروا الفتنة فيما فيه عنصر غائب من عنصرين غائبين في آدم.

٤ـ الملكية تنافي الولدية، لماذا؟ لأنّ الذي يخلق شيئاً يكون فاعلاً، والفاعل له مفعول، والمفعول لا يكون منه أبداً، هل رأيت واحداً صنع صنعة منه ؟ الذي يصنع سيارة أو طائرة هل هي من لحمه ودمه ؟ طبعاً لا.

إذن مادام ملكية فلا يقال: إنها من نفس جنس صاحبها، ولا يقال: إنّ الفاعل أوجد من جنسه ، وكل فاعل يوجد شيئاً أقل منه .

وقول الله في الآية: سبحانه؛ أي تنزيه له، لماذا؟ لأنّ الولد يُتخذ لاستبقاء حياة والده، فهو يحمل اسمه بعد أنْ يموت ويرث أملاكه، إذن هو من أجل بقاء نوعه، والذي يريد بقاء نوعه لا يكفيه أنْ يكون له ولد واحد.

٥ـ إذن فما سبب اتخاذ الولد ؟ هل هو معونة ؟ الله لا تضعف قوته.. هل هو ضمان للحياة ؟ الله حياته أزلية.

إذن كل هذا الكون لم يضف صفة من صفات الكمال إلى الله، بل إنّ الله بكمال صفاته هو الذي أوجده.

٦ ـ لو فرضنا جدلاً أنّ لله ولداً، فأين ذرية الولد ؟ لم نر ولم نسمع أولاداً لمن زعموا أنه ابن لله .

وماذا استجد على الله وعلى كونه بعد اتخاذ الولد كما يزعمون ؟ لم يتغير شيء في الوجود .

إذن فالولد لم يعط الإله أي مظهر من مظاهر القوة؛ لأنّ الكون قبل أنْ يوجد الولد وبعده لم يتغير فيه شيء.

٧ ـ ثم إذا كان لله سبحانه زوجة وولد فمن الذي وجد أولاً؟ إذا كان الله وُجِدَ أولاً ثم بعد ذلك أوجد الزوجة والولد فهو خالق وهما مخلوقان .

وإذا كان كل واحد قد أوجد نفسه فهم ثلاثة آلهة !!!

إذن الكمال الأول لله لم يزده الولد شيئاً؛ ومن هنا يصبح وجوده لا قيمة له.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ولم يكرر اسم الموصول ﴿مَا﴾ كما في آية طه: ٦، وآية سبأ: ١، أو في آيات التسبيح ؟

الجواب:

١ـ إذا قصد بالسياق قصد الجنس أو الاهتمام بما هو المقصود في الآية لم يكرر ذكر اسم الموصول إلا مرة واحدة، كما في هذه الآية وآية الرحمن: ٢٩ ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ [الرحمن:٢٩] .

٢ـ والقرآن يكرر اسم الموصول (ما) في مواطن الشمول والإحاطة والتفصيل، كما في آية طه: ٦ ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾.

فقد كرّر اسم الموصول (ما) في سورة طه؛ لأنّ الموطنَ موطنُ شمولٍ وإحاطةٍ وتفصيل، فقد ذكر أنّ له ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ و ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ و ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ و ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾ بينما أجملَ في سورة النحل فلم يكرر.

٣ ـ التفصيل في آيتي سبأ واضحٌ في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [سبأ: ١ - ٢] لذا كرّر اسم الموصول، بخلاف آية البقرة حيث لم يفصل فلم يكرر.

٤ـ وأمّا تكرار اسم الموصول مع آيات التسبيح فسيتبين في حينه.

السؤال الرابع:

لماذا جاء بـ(ما) في الآية وهي لغير العاقل، ولم يأت بـ(من) وهي للعاقل ؟

الجواب:

١ـ جاء بـ (ما) لتتناول جميع الأشياء؛ لأنّ (ما) تشمل صفات العقلاء وتشمل ذوات غير العاقل. بينما (مَن) مختصة بالعقلاء لذلك (ما) أوسع استعمالاً من (مَن).

٢ـ يقال: كيف جاء بـ (ما) وهي لغير العاقل، مع قوله: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [البقرة:١١٦] والجواب: كأنه جاء بـ(ما) دون (مَن) تحقيراً لشأنهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ
يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما استخدامات كلمة (آية) في القرآن الكريم ؟

الجواب:

كلمة (آية) وردت في القرآن الكريم لخمسة معان؛ وهي :

١ ـ البناء العالي: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الشعراء:١٢٨].

٢ ـ عبرة و موعظة: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ﴾ [يونس:٩٢].

٣ ـ جملة من القرآن: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ﴾ [النحل:١٠١].

٤ ـ علامة واضحة: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ﴾ [البقرة:١١٨].

٥ ـ المعجزة: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء:٩١].

❁❁❁❁

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ
ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا
نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة كلمة ﴿مِلَّتَهُمْ ۗ﴾ [البقرة:١٢٠] في هذه الآية؟ ولماذا لم ترد كلمة (ملتيهما)؟

الجواب:

لو قال تعالى: (ملتيهم) لكان المعنى: لن ترضى عنك اليهود حتى تتبع ملتيهما، ولن ترضى عنك النصارى حتى تتبع ملتيهما، وهذا لا يصح؛ لأنّ اليهود يريدون أنْ يتّبع ملتهم فقط وليس ملتيهما، وكذلك النصارى.

السؤال الثاني:

لماذا جاء بـ ﴿وَلَا﴾ في قوله: ﴿ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠] ؟

الجواب:

١ـ لو قال: (ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم) من دون (لا) لاحتمل ذلك أحد معنيين:

آ ـ أنّ الجميع لا يرضون حتى تتبع ملتهم، بمعنى أنك إذا اتبعت ملة اليهود رضيت عنك اليهود والنصارى .

ب ـ وإذا اتبعت ملة النصارى رضيت عنك اليهود والنصارى، وهذا المعنى لا يصح وهو غير مراد.

٢ ـ لذلك يبقى فقط احتمال ثان، وهوما نصت عليه الآية، بمعنى أنه لن ترضى عنك اليهود حتى تتبع ملتهم، و لن ترضى عنك النصارى حتى تتبع ملتهم.

٣ـ ونلاحظ أنّ القرآن كرر النفي؛ وذلك حتى نفهم أنّ رضا اليهود غير رضا النصارى، ولو قال الحق : (ولن ترضى عنك اليهود و النصارى) بدون لام لكان معنى ذلك أنهم مجتمعون على رضى واحد أو متفقون، ولكنهم مختلفون بدليل أن الله قال فيهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣].

السؤال الثالث:

ما الفرق في المعنى بين قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة:١٢٠] وقوله: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾ [الشورى:٣١] ؟

الجواب:

التعبير ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني من غير الله، أمّا التعبير ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: ليس لكم ولي من الله ينصركم، ولم يهيء لكم ولياً أو أحداً ينصركم، وليس هنالك نصير من جهة الله ينصركم، من الملائكة أو من غير الملائكة.

أمّا (من دون الله) فتعني من غير الله، إذن المعنى مختلف تماماً.

السؤال الرابع:

ما الفرق بين ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ﴾ [البقرة:١٤٥] وبين ﴿بَعۡدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ﴾ [البقرة:١٢٠] في الآيتين ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة:١٤٥] وفي الآية ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة:١٢٠] ؟

الجواب:

هناك فرقان:

آ ـ استعمل في الأولى [١٢٠] اسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾ واستعمل ﴿مَا﴾ في الآية الثانية[١٤٥].

ب ـ كما استعمل في الآية [١٤٥] ﴿مِّنۢ بَعۡدِ﴾ واستعمل في الآية [١٢٠] ﴿بَعۡدَ﴾.

الحكم النحوي : اسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾ يوصف بأنه مختص، و﴿مَا﴾ مشترك. والمختص أعرف من المشترك.

أي أنّ ﴿ٱلَّذِى﴾ أعرف من ﴿مَا﴾ لأنّ ﴿مَا﴾ تكون للمفرد والمذكر والمؤنث والمثنى والجمع، أمّا ﴿ٱلَّذِى﴾ فهي خاصة بالمفرد المذكر. إذن ﴿ٱلَّذِى﴾ أعرف باعتباره مختص، و ﴿مَا﴾ عام.

السياق :

١ـ قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [البقرة:١٢٠ ، ١٢١] فقوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ﴾ [البقرة:١٢١] أي: الكتاب، أي: التوراة والإنجيل إذن صار محدداً، ﴿يَتْلُونَهُۥ﴾ أي: يتبعون العلم الذي جاء به إذن تحدد الذي بالسياق في هذه الآية.

٢ـ جاءت الآية [١٤٥] في موضوع تحويل القبلة كما في الآية [١٤٤] التي سبقتها ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة:١٤٤] هذا مطلق ولم يحدد بشيء فاستعمل ﴿مَا﴾ في المطلق، واستعمل ﴿ٱلَّذِى﴾ في المقيَّد.

٣ـ استعمل ﴿ٱلَّذِى﴾ في الآية الأولى ١٢٠، بينما استعمل ﴿مَا﴾ في الآية الثانية ١٤٥، علماً بأنّ كليهما اسم موصول، لكنّ أحدهما أعرف من الآخر، فاسم الموصول

﴿ٱلَّذِى﴾ هو اسم مختص للمفرد المذكر، بينما اسم الموصول ﴿مَا﴾ هو مشترك يستعمل لذوات غير العقلاء ولصفات العقلاء، أي: أنها تقع على ذاتٍ متصفة بوصف من صفات العقلاء، وهو اسم موصول مشترك في المفرد والمثنى والجمع المذكر والمؤنث.

فاستعمل ﴿ٱلَّذِى﴾في الأخص، واستعمل ﴿مَا﴾ في المطلق.

٤ـ التعبير ﴿ مِنۢ بَعۡدِ ﴾ من لابتداء الغاية، ابتداء المكان، بداية الشيء من كذا إلى كذا، وتدل على الالتصاق، وأمّا ﴿ بَعۡدِ ﴾ فتحتمل أنْ هناك فاصلا زمنيا.

أي: أنّ التحذير باتباع أهواء أهل الكتاب يبدأ مباشرة من لحظة مجيء العلم لرسول الله ﷺ بتحويل القبلة وليس هناك وقت للانتظار، ولو لم يذكر (من) لاحتمل الموضوع التأخير مدة من الزمن .

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ﴾ [البقرة:١٤٥] السياق في الكلام في تحويل القبلة، وتحويل القبلة متى يؤمر به المسلم؟ عندما تنزل الآية مباشرة ينبغي أنْ يتحول إلى القبلة، ومن سمع بها نفّذها، والذي كان في الصلاة وسمع هذه الآية اتجه مباشرة إلى الكعبة، إذن (من) لابتداء الغاية.

بينما الآية الأولى ١٢٠ ليس فيها هذا الشيء فلم يقل (من) .

شواهد قرآنية :

آ ـ ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا﴾ [يس:٩] أي: أنّ هناك فاصلا يبدأ من أيديهم يمنعهم من الحركة، ولو قال : (بين أيديهم) بدون (من) لاحتمل وجود مسافة بين أيديهم والسد.

ب ـ ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ﴾ [فُصِّلَت:٥] أي: أنّ الحجاب لم يترك فاصلاً بينهما .

ج ـ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا﴾ [فُصِّلَت:١٠] أي: مباشرة ليس هنالك فاصل، ولو قال ﴿فَوۡقِهَا﴾ كانت تحتمل القريب والبعيد.

د ـ ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ﴾ [ق:٦] مسافة كبيرة.

هـ ـ ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ﴾ [النساء:١٥٤] هناك مسافة بين الطور ورؤوسهم.

السؤال الخامس:

في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ﴾ [البقرة:١٢٠] وقوله في آية الأنعام : ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ﴾ [الأنعام:١٢١] ما سبب الاختلاف في مستوى التوكيد ؟

الجواب:

١ـ القاعدة اللغوية: يستعمل القرآن اللام للتوكيد، فقوله: ﴿لَئِن﴾ آكد من قوله: ﴿وَإِنۡ﴾ .

٢ـ قال تعالى في آية الأنعام [١٢١]: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١﴾ .

وقال في آية البقرة: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ [البقرة:١٢٠] فأكّد في آية البقرة باللام دون آية الأنعام .

والسبب أنّ آية البقرة تستدعي قدراً زائداً من التوكيد؛ فإنها تحذير للرسول ﷺ من ترك ملة الإسلام واتباع اليهود والنصارى وهو من أكبر المعاصي، إذ كيف يصح من

رسولٍ يتنزل عليه الوحي من ربه أنْ يترك أمر الله إلى ملة أخرى لا يرضاها ربه ؟ فاحتاج ذلك إلى قدر من الوعيد أكبر.

أمّا آية الأنعام فهي في الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه، لذلك ترى أنّ المعصية في آية البقرة أشد وأكبر فاحتاج ذلك إلى قدر من التوكيد أكبر .

السؤال السادس :

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ بينما قال في آية الأنعام [٥١]: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ﴾ فزاد (من) المؤكدة في البقرة ، فما دلالـــة ذلك ؟

الجواب :

١ـ آية الأنعام ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام:٥١] وهم على كل حال مؤمنون بهذا اليوم وترجى لهم التقوى .

٢ـ أمّا آية البقرة فقد ذكرفيها أنّ اليهود والنصارى لن ترضى عن الرسول حتى يترك دينه ويتبع ملتهم، وهذا كفر صريح وانسلاخ من الدين، ولذا عقب عليه بقوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ [البقرة:١٢٠] أي: إنّ فعل ذلك ما له من الله من ولي ولا نصير، فالفرق بين المقامين واضح، فاحتاج الكلام في آية البقرة إلى توكيد نفي الولي والنصير دون آية الأنعام .

٣ ـ وكذلك المقام في آية الرعد [٣٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ .

السؤال السابع:

ما دلالة ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ في آية البقرة [١٢٠] قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ بينما قال في آية آل عمران [٧٣]: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ وفي آية الأنعام [٧١] ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ ؟

الجواب:

١ـ قال في آية البقرة [١٢٠]: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: قدّم هدى الله، وجاء بضمير الفصل.

وقال كذلك في آية الأنعام [٧١]: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: قدّم هدى الله، وجاء بضمير الفصل.

بينما قال في آية آل عمران [٧٣]: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ فقدّم الهدى ولم يأت بضمير الفصل.

٢ـ لعل السبب - والله أعلم - أنّ الآيتين الأوليين في الأديان، فالأولى في اليهودية والنصرانية والثانية في الشرك، فناسب الرد بتقديم الهدى وهو الإسلام، فكأنه قال لهم: إنّ الإسلام هو الهدى الكامل الصحيح التام لا هدايتكم، فناسب تقديمه وحصر الهداية عليه، وجاء بضمير الفصل توكيداً لهذا المعنى .

أمّا الآية الثالثة فهي ليست في الموازنة بين أهل الأديان، وإنما هي رد على تصرف سيِّءٍ ومكر، حيث قالت طائفة من أهل الكتاب: آمنوا بما أنزل على محمد وجه النهار واكفروا آخره ، وقولوا نحن آمنا به ظناً بأنه حق ولكن استبان لنا أنه باطل فرجعنا عنه

إلى ديننا الذي هو الحق لعلهم يرجعون عن دينهم، فنزلت الآية رداً على مكرهم وكيدهم وادعائهم الهدى، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران :٧٣] أي: أنّ الهدى أنْ يهديكم الله إلى الدين الصحيح وإلى الحق وليس الهدى أنْ تعملوا مثل هذا المكر والتبييت، والله أعلم.

السؤال الثامن:

ما سبب اختلاف الفاصلة بين آية البقرة [١٢٠] ﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ وفاصلة آية الرعد [٣٧] ﴿وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ ؟

الجواب:

آية الرعد [٣٧] هي قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ .

١ـ في آية الرعد قال: ﴿وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد:٣٧] والواقي هو الحافظ وهو أعم من النصير؛ لأنّ الواقي قد يكون عاقلاً أو من الجمادات أو غيرها، فالسقف واق والملابس واقية.

وأمّا النصير فلا يكون إلا عاقلاً قادراً .

٢ـ حدد الأهواء وعينها في آية البقرة ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠] ولم يحددها في الرعد بل أطلقها، فجعل العام وهو الواقي مع العام وهو عموم الأهواء مع الاسم الموصول المشترك ﴿مَا﴾وجعل الخاص مع الأهواء المحددة مع الاسم الموصول المختص وهو ﴿ٱلَّذِى﴾ .

٣ـ النصير ينصر صاحبه على الخصم ويمكّنه منه، وأمّا الواقي فإنه يحفظه منه وقد لا يتمكن من نصره، ولذلك فوجود النصير أتم في النعمة من وجود الواقي.

لذلك جعل نفي النصير وهو النعمة الأتم، مع الوزر الأعظم وهو ترك ملة الإسلام، وجعل نفي الواقي الذي هو دون ذلك مع ما هو أقل وهو إنكار بعض الأحزاب بعض ما أنزل إليه.

٤ـ تناسب الفاصلة مع السياق، ففي آية البقرة ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠] فإذا اتبع ملتهم كان منهم، وأهل الملة ينصرون أتباعهم على غيرهم، فنفى النصير عنه.

وأمّا آية الرعد فلم يذكر فيها ذلك، وإنما قال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ [الرعد:٣٦] واتباع البعض قد لا يقتضي النصرة ومحاربة الأعداء من أجل ذلك البعض، لكن ربما يحفظونه إذا وقع في شدة.

٥ـ انظر الجدول التالي حيث يتبين تناسب اختيار الكلمات مع تناسب عدد التكرار في السورتين :

السورة	تكرار كلمة (نصير)	تكرار كلمة (واق)	الآيات
البقرة	٢	-	١٠٧-١٢٠
الرعد	-	٢	٣٤-٣٧

٦ـ تناسب الفاصلة في كل سورة والله أعلم.

السؤال التاسع:

ما الدرس المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١٢٠] ؟

الجواب:

كان اليهود يدخلون على رسول الله ﷺ مدخل كيد ولؤم، فيقولون: هادنا، أي: قل لنا ما في كتابنا حتى ننظر إذا كنا نتبعك أم لا ، فأراد الله أنْ يقطع على اليهود مكرهم فأخبر رسوله بأنه لا اليهود ولا النصارى سيتبعون ملتك وإنما يريدون أن تتبع ملتهم .

والخطاب وإنْ كان للرسول ﷺ فهو أيضاً لأمته إلى يوم القيامة، فليتنبه المسلمون إلى ذلك .

❊❊❊❊

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا حذف الجار والمجرور المقدر(فيه) مع الفعل ﴿تَجْزِى﴾ [البقرة:١٢٣] في الآية ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة [٤٨].

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة:١٢٣]، وقال في آية البقرة [٤٨] :﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة:٤٨] فما سبب هذا الاختلاف؟ ومتى تذكر الشفاعة أو تؤنث؟.

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة: ٤٨.

السؤال الثالث:

ما خصوصية استعمال القرآن لكلمتي: العدل والقسط؟

الجواب:

١ـ القسط: هو الحظ والنصيب، والقرآن لم يستعمله إلا مع الموازين، وهذا من خصوصية الاستعمال القرآني، والقسط يستعمل مع غير الميزان، لكنّ القرآن يستعمله مع الميزان ولا يستعمل العدل مع الميزان، والقسط قد يكون في القسمة وفيه ارتباط بالآلة (قسطاس).

ولذلك في القرآن الكريم لم يستعمل مع الوزن إلا القسط، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الرحمن:٩] ، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء:٣٥] والقسطاس هو ميزان العدل، وأصل كلمة قسطاس عدل، فسموا الميزان قسطاساً؛ لأنه عدل.

٢ـ العدل معناه المساواة في الأحكام، وعندنا عَدلٌ وعِدلٌ، فالعِدلُ ـ بكسر العين ـ فهو فيما يُبصر من الأشياء، تقول: هذا عِدل هذا، مثل حِملَينِ متساويين.

أمّا العَدلُ ـ بفتح العين ـ فهو أحكام ومساواة في الحكم وفيما لا يُبصر من الأشياء، نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة:٩٥] أي: ذوا قسط ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة:٩٥]

والصيام لا يُبصر﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الأنعام:٧٠] لم يقل كل قسط، ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة:١٢٣] . والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الدروس المستفادة من هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ (إذ) معناها اذكر وقت أنْ ابتلى اللهُ إبراهيم بكلمات.

٢ـ الابتلاء هو الامتحان، والابتلاء ليس شراً ولكنه مقياس لاختبار الخير والشر وهو من أسس التربية.

٣ـ الابتلاء هنا بكلمات، والكلمات جمع كلمة، والكلمة قد تطلق على الجملة، كقوله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف:٥] .

٤ـ قال العلماء: إنّ الابتلاءات كانت عشرة، وقالوا: أربعين، منها عشرة في سورة التوبة (الآية١١٢) ، وعشرة في سورة المؤمنون (الآيات ١ـ١٠) وعشرة في الأحزاب (الآية ٣٥) وعشرة في المعارج (الآيات ٢٢ـ٣٤).

ونخرج من هذا الجدل بأنْ نقول: إنّ الله ابتلى إبراهيم عليه السلام بكلمات تكليفية (افعل كذا ولا تفعل كذا) فقد ابتلاه في النار فلم يجزع، فأتاه جبريل عليه السلام فيقول: ألك حاجة؟ فيرد إبراهيم: أمّا إليك فلا، وأمّا إلى الله فعلمه بحالي يغنيه عن سؤالي، وابتلي بذبح ابنه الوحيد وهو شيخ كبير فيطيع بنفس مطمئنة .

وكون إبراهيم أدى جميع التكليفات بعشق وحب وزاد عليها من جنسها فقد نجح في الابتلاء ووفّى ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النجم:٣٧] فكان الله أعز عليه من نفسه وأهله وولده.

٥ـ كافأه الله بقوله: ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة:١٢٤] أي: إماماً للبشر، فاستقبل إبراهيم هذه البشرى وأراد أنْ ينقل الإمامة إلى أولاده وأحفاده حتى لا يحرموا من القيم الإيمانية خلال حياتهم، فردّ الله على إبراهيم بقضية إيمانية أيضاً فيها تقريع لليهود الذين تركوا القيم وعبدوا المادة فقال: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة:١٢٤] وعهد الله هو الفاعل الذي يجذب صاحبه.

٦ـ في الآية استقراء للغيب أنه سيأتي من ذرية إبراهيم من سيفسق ويظلم، والمقصود بذلك اليهود.

٧ـ الرسالة ليست ميراثاً، ومن العجائب أنّ موسى وهارون عليهما السلام كانا رسولين ، والرسول الأصيل موسى وجاء هارون ليشد أزره، وشاءت مشيئة الله أنْ تستمر الرسالة في ذرية هارون وليس في ذرية موسى.

٨ـ الأنبياء اصطفاؤهم اصطفاء قيم، وأبناؤهم هم الذين يأخذون منهم هذه القيم، وليسوا الذين يأخذون الجنس والدم واللون، وانظر إلى قصة نوح عليه السلام مع ابنه لتتحقق من ذلك.

٩ـ إمامة الناس عطاء ألوهية لا يناله إلا المؤمن، أمّا الرزق فعطاء ربوبية يناله المؤمن والكافر؛ لأنّ الله هو الذي استدعانا للحياة جميعاً وكفل لنا الرزق جميعاً.

السؤال الثاني:

ما دلالة تأخير لفظ (ربه) في قوله تعالى ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ﴾ [البقرة:١٢٤] ؟

الجواب:

الابتلاء هو الاختبار، فإن كلّفت شخصاً بشيء فما يكون تكليفك له متضمناً معنى اختيار فعله أو تركه.

وابتلاء الله لإبراهيم تكليف له؛ لأنّ الله كلفه بأوامر ونواهٍ. وفي هذه الآية تقديم ما حقه التأخير، فـ ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ مفعول به، وقد تقدّم على الفاعل ﴿رَبُّهُۥ﴾ فما الهدف من هذا التقديم؟

المقصود من هذا تشريف سيدنا إبراهيم عليه السلام بإضافة اسم ربه إلى اسمه وهو الهاء في قوله ﴿رَبُّهُۥ﴾ أي: رب إبراهيم.

السؤال الثالث:

لم سمى الله عز وجل إبراهيم إماماً في الآية؟

الجواب:

سمّى الله تعالى إبراهيم في هذه الآية إماماً، وقصد بإمامته أنه رسول، فلِمَ عدل عن تسميته رسولاً إلى تسميته إماماً؟

والجواب: ليكون ذلك دالاً على أنّ رسالته تنفع الأمة المرسَل إليها بالتبليغ وتنفع غيرهم من الأمم بطريق الامتداد، سيما وأنّ إبراهيم عليه السلام قد طوّف بالآفاق.

السؤال الرابع:

قوله تعالى ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيٓ﴾ [البقرة:١٢٤] (من) للتبعيض،فلِمَ خصّ إبراهيم بالدعاء بعض ذريته ؟

الجواب:

قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيٓ﴾ [البقرة:١٢٤] ولم يقل: ذريتي؛ لأنه يعلم أنّ حكمة الله تعالى تقتضي ألا يكون جميع أبناء الرجل ممن يصلحون لأن يُقتدى بهم، ولذلك لم يسأل الله تعالى ما هو مستحيل عادة، لأنّ ذلك ليس من آداب الدعاء، ولم يجعل الدعاء عاماً شاملاً لكل الذرية بحيث يقول: (وذريتي).

السؤال الخامس:

لماذا نصبت كلمة الظالمين في الآية ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة:١٢٤] ؟

الجواب:

الظالمين مفعول به والعهد الفاعل، الظالمين مفعول به منصوب بالياء؛ لأنه جمع مذكر سالم.

السؤال السادس:

وردت كلمة ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ في القرآن كله بالياء إلا في سورة البقرة جاءت بدون الياء ﴿إِبْرَاهِمَ﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب:

وردت كلمة (إبراهيم) في القرآن الكريم ٦٩ مرة، منها ١٥ مرة في سورة البقرة كلها بدون الياء، والباقي ٥٤ مرة بالياء.

وهذا من خط المصحف، والقاعدة تقول: خط المصحف لا يقاس عليه.

والمصحف كتبه عدد كبير من الكتبة، والرسم الذي كتبوا به هو كتابتهم في أزمانهم، فمرة يرسم حرف العلة ومرة لا يرسم، وأحيانا يكون الرسم لاختلاف القراءات، فيوضع الرسم الذي يجمع القراءات المتواترة، مثل (ملك) في سورة الفاتحة بدون ألف؛ لأنه ورد قراءة متواترة (ملك يوم الدين) وشروط القراءة الصحيحة أنْ تكون موافقة لرسم المصحف.

وكلمة (إبراهيم) في سورة البقرة ورد فيها قراءتان متواترتان: إحداهما (إبراهم) بدون ياء، والثانية بالياء، فكتبت بالشكل الذي يحتمل القراءتين. والله أعلم.

السؤال السابع:

هل من تفصيل أكثر وأوسع للسؤال السابق؟

الجواب:

كلمة (إبراهيم) اسم أعجمي، والعرب كانت تتصرف في الاسم الأعجمي، وورد في «زاد المسير» أنه في إبراهيم ست لغات، وهي:

إبراهيم ـ وهي أشهرها ـ إبراهُم ـ إبراهَم ـ إبراهِم ـ إبراهام ـ إبرهم.

١ ـ لقد وردت كلمة (إبراهيم) في القرآن الكريم ٦٩ مرة، اختلف القراء في ٣٣ موضعاً ، منها ١٥ مرة في سورة البقرة كتبت كلها بدون الياء (إبراهم) وذلك في الآيات التالية :

(١٢٤ـ١٢٥ـ١٢٥ـ١٢٦ـ١٢٧ـ١٣٠ـ١٣٢ـ١٣٣ـ١٣٥ـ١٣٦ـ١٤٠ـ٢٥٨ـ٢٥٨ـ٢٥٨ـ٢٦٠).

والباقي ٥٤ مرة موزعة على ٢٤ سورة أخرى غير سورة البقرة مكتوبة بالياء إبراهيم وذلك حسب الجدول التالي :

السورة	عدد المرات	أرقام الآيات
البقرة	١٥	انظر أعلاه
آل عمران	٧	٣٣ـ٦٥ـ٦٧ـ٦٨ـ٨٤ـ٩٥ـ٩٧
النساء	٤	٥٤ـ١٢٥ـ١٢٥ـ١٦٣
الأنعام	٤	٧٤ـ٧٥ـ٨٣ـ١٦٤
التوبة	٣	٧٠ـ١١٤ـ١١٤
هود	٤	٦٩ـ٧٤-٧٥ـ٧٦
يوسف	٢	٦ـ٣٨
إبراهيم	١	٣٥
الحجر	١	٥١

النحل	٢	١٢٠ـ١٢٣
مريم	٣	٤١ـ٤٦ـ٥٨
الأنبياء	٤	٥١ـ٦٠ـ٦٢ـ٦٩
الحج	٣	٢٦ـ٤٣ـ٧٨
الشعراء	١	٦٩
العنكبوت	٢	١٦ـ٣١
الأحزاب	١	٧
الصافات	٣	٨٣ـ١٠٤ـ١٠٩
ص	١	ـ٤٥ـ
الشورى	١	ـ١٣ـ
الزخرف	١	ـ٢٦ـ
الذاريات	١	ـ٢٤ـ
النجم	١	ـ٣٧ـ
الحديد	١	ـ٢٦ـ
الممتحنة	٢	ـ٤ـ٤ـ
الأعلى	١	ـ١٩ـ

المجموع : ٦٩ مرة، وعدد السور ٢٥ سورة.

٢ـ حذفوا ياء (إبراهيم) في سورة البقرة فقط، وكتبوها (إبراهم) مع وضع إشارة ياء صغيرة فوق الكلمة لتدل على وجود قراءتين متواترتين.

٣ـ رسمت كلمة إبراهيم بلا ياء في المصاحف العراقية والشامية وفي مصحف الإمام، أمّا في باقي المصاحف فرسمت بياء .

وبالتالي فإنّ رسمها بلا ياء في سورة البقرة ليس مجمعاً عليه، ولكنّ المصحف المنتشر برواية حفص ترسم فيه بحذف الياء في سورة البقرة .

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في «عقيلة أتراب القصائد» :

والحذفُ في ياءِ ابراهيمَ قيل هنا   شامٌ عراقٌ ونِعمَ العِرقُ ما انتشرا

أي: حُذِفت ياء (إبراهيم) من الرسم الشامي والكوفي والبصري.

٤ـ وسبب ذلك بشكل عام هو وجود قراءتين، لكن بشكل عام نجد أنّ :

آ ـ خط المصحف لا يقاس عليه.

وللعلم فقد حصل تطور في تاريخ الكتابة منذ زمن النبي ﷺ فبدأت الكتابة العربية تستقر، ولذلك نرى أكثر من رسم للكلمة، مثل كلمة (لكيلا) فيمكن كتابتها موصولة أو مفصولة، (لكي لا) وكلاهما جائز عند العرب.

ب ـ الإمام عبد الله بن عامر الشامي هو أحد القراء السبعة المشهورين لدى علماء القراءات، ولابن عامر راويان هما: هشام بن عمار الدمشقي، والآخر أحمد بن ذكوان الدمشقي.

أمّا هشام فقرأ كلمة (إبراهيم) بالألف في ثلاثة وثلاثين موضعاً، منها جميع ما في سورة البقرة أي: قرأها (إبراهام) أي: بإبدال الياء ألفاً.

وأمّا ابن ذكوان فقرأها بالألف وبالياء.

وفي سورة البقرة فقط اجتمع الراويان بالألف هشام وابن ذكوان، فكتبت بدون ياء في سورة البقرة مع وضع ياء صغيرة فوقها للدلالة على القراءة الأخرى.

لذلك نرى أنّ قراءة الياء في المرسوم بها قياسية، وفي محذوفها اصطلاحية كما في كلمة (إسرائيل) و(الداع).

ج ـ كتابة مصحف ابن عامر ومصحف المدينة رواية حفص عن عاصم متقاربة.

د ـ هكذا وصلت إلينا صيغة الكتابة من الصحابة رضوان الله عليهم الذين كتبوا القرآن ولم ينكشف سر ذلك لأحد، والله سبحانه علام الغيوب، والرسم بُني على حكمة ذهبت بذهاب كتبته، والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا لا يُذكر سيدنا إسماعيل مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في القرآن؟

الجواب:

١ـ هذا السؤال ليس دقيقاً؛ لأنه توجد في القرآن مواطن ذُكر فيها إبراهيم وإسماعيل ولم يُذكر إسحق، وهناك ٦ مواطن ذُكر فيها إبراهيم وإسماعيل وإسحق، وهي قوله تعالى:

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة:١٣٣].

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة:١٣٦].

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة:١٤٠].

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران:٨٤].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم:٣٩].

﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء:١٦٣].

٢ـ وكل موطن ذُكر فيه إسحق ذُكر فيه إسماعيل بعده بقليل أو معه، مثل قوله تعالى:

ـ ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴾ [مريم:٤٩] و ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ [مريم:٥٤].

إلا في موطن واحد في سورة العنكبوت ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [العنكبوت:٢٧] .

٣ـ وفي قصة يوسف عليه السلام لا يصح أن يُذكر فيها إسماعيل؛ لأنّ يوسف من ذرية إسحق وليس من ذرية إسماعيل .

٤ـ وقد ذُكر إسماعيل مرتين في القرآن بدون أن يُذكر إسحق:

آـ في سورة البقرة ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [البقرة:١٢٥] .

ب ـ ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٧] لأنّ إسحق ليس له علاقة بهذه القصة – وهي رفع القواعد من البيت– أصلاً.

السؤال الثاني:

بعض العلماء يقول: إنّ إسماعيل هو الذبيح، والبعض يعترض ويقول آخرون: (إسحق) فما المختار بين الرأيين؟

الجواب:

ليس هناك أثر صريح صحيح، لكنْ عندما ننظر في الآيات نجد التالي:

١ـ الآية في سورة هود ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود:٧١] هذه المرأة هي زوجة إبراهيم عليه السلام التي كانت عاقراً وكانت كبيرة في السن، وهي امرأته الأولى بُشِّرت بإسحق.

وأمّا المرأة الثانية فهي زوجة إبراهيم وهي التي ولدت له هذا الذي أخذها وإياه وأسكنهما بواد غير ذي زرع عند البيت المحرم.

وعندما ننظر في الوقائع في الآيات نجد نوعاً من الترجيح أنه إسماعيل الذي ذهب إلى ديار العرب وتزوج منهم وعاش هناك؛ لأنّ الكلام الأول كان عن إسحق.

٢ـ وعندما نأتي إلى الآيات في سورة الصافات ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات:١٠١-١٠٢] وبعد أنْ يمضي في القصة وبعد أنْ ينتهي من قصة الذبيح يقول تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصافات:١١٢] إذن جاءت البشارة بإسحق بعد البشارة بالذبيح، وإسحق ذكر اسمه في القرآن، وإسماعيل ذكر اسمه في القرآن، فالمرجح أنّ الذبيح هو إسماعيل وليس إسحق.

٣ـ ونقول: الذبيح من الصابرين، وعندما ننتقل إلى الآيات ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء:٨٥] ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢] من الذي وُصِف بوصف الصبر؟ إسماعيل، بينما إسحق ما وصف بهذا وإنما قال:

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ [هود:٧١] لكن نقول: والمسألة لا يترتب عليها أمر من أمور الدين؛ فالخوض فيها غير مثمر.

٤ـ إنه أحد ابني إبراهيم، وعندنا قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾ [البقرة:١٢٥] .

٥ـ وإبراهيم عليه السلام عنده ولدان: إسماعيل وإسحق،ومن ذرية إسحق أنبياء ورسل كثيرون، ومن ذرية إسماعيل نبيٌ واحد هوخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ .

٦ـ من أولاد إسماعيل محمد ﷺ وهؤلاء أبناء عمومتهم "سأبعث من أبناء عمومتهم في فاران" (وفاران هو المكان الذي ترك فيه إبراهيم ولده إسماعيل، وهم يزعمون أنّ فاران في مكان آخر في فلسطين) . لوصح الحديث «**أنا ابن الذبيحين**» لانتهى الحوار، لكنه لم يصح عن الرسول ﷺ . والله أعلم.

السؤال الثالث:

ما أهم الوقفات مع هذه الآية ؟

الجواب:

١ـ ﴿جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ﴾ البيت مأخوذ من البيتوتة وهو المأوى الذي تأوي إليه، ولذلك سُميت الكعبة بيتاً؛ لأنها المكان الذي يستريح إليه كل خلق الله.

٢ـ ﴿مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ : يعني مرجعاً تذهب إليه وتعود، مثل شعور الناس بالشوق للرجوع إلى الكعبة، ولو ظلت جاذبية بيت الله في قلوب الناس مستمرة لتركوا كل

شؤون الحياة ليبقوا بجوار البيت، ولذلك كان عمر رضي الله عنه حريصاً على أنْ يعود الناس إلى أوطانهم وأولادهم بعد انتهاء مناسك الحج مباشرة.

٣ـ ﴿وَأَمْنًا﴾: يعني يؤمّن الناس فيه، حتى كان ذلك قبل الإسلام فيلقى أحدهم قاتل أبيه في بيت الله فلا يتعرض له إلا عندما يخرج، والله لا يخبرنا بأنّ البيت آمِنٌ، ولكنه يطلب منا أنْ نؤمّن من فيه، فالآية تشريع وليس خبراً.

٤ ـ ﴿مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ مَقام: - بفتح الميم- اسم لمكان من قام، أمّا بضمها – مُقام- فهو اسم لمن أقام.

٥ـ أمرنا الله أنْ نتخذ من مقام إبراهيم مصلى؛ لأنّ المسلمين كانوا يتحرجون عن الصلاة فيه، فلا يريدون أنْ يكون بينهم وبين الكعبة شيء، فيخلون ذلك المكان الذي فيه مقام إبراهيم.

وقد سأل عمر رضي الله عنه الرسول ﷺ : ألا نتخذ من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت هذه الآية.

٦ـ في الآية إقرار من الله بوجود مقام إبراهيم في مكانه بين المصلين خلفه وبين الكعبة؛ وذلك لأنّ مقام إبراهيم له قصة تتصل في العبادة ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران:٩٧].

ومقام إبراهيم هو مكان قيامه عندما أمره الله برفع القواعد من البيت، والترتيب الزمني للأحداث هو أنّ البيت وُجد أولاً، ثم بعد ذلك رفعت القواعد ووضع الحجر الأسود في موقعه بيد إبراهيم عليه السلام.

٧ـ الله سبحانه لا يريد أنْ يعطينا التاريخ بقدر ما يريد أنْ يعطينا العبرة.

٨ـ البيت وُضع للناس، فالناس لم يضعوه ولكنّ الله سبحانه هو الذي حدده والملائكة هم الذين وضعوه بأمر الله، والله مع نزول آدم شرع التوبة وأعدّ هذا البيت ليتوب الناس فيه إلى ربهم وليقيموا الصلاة فيه.

٩ـ عندما أراد إبراهيم أنْ يقيم القواعد من البيت كان يكفي أنْ يقيمها على قدر طول قامته، ولكنه لعشقه تكاليف ربه جاء بالحجر ليزيد القواعد بمقدار ارتفاع الحجر.

وإنّ الحجر الذي كان يقف عليه إبراهيم به حُفَرٌ على شكل قدميه، وهما بين قائل: أنّ الحجر تأثر تحت قدمي إبراهيم من خشية الله، وبين قائل: إنّ إبراهيم هو الذي قام بحفر مكانٍ في الحجر على هيئة قدميه ليساعده على توازنه عندما يرفع يده إلى الأعلى خلال العمل.

١٠ـ وقوله تعالى: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ فيه دليل على أنّ البيت زالت معالمه تماماً وأصبح مثل سائر الأرض، فذُبحت فيه الذبائح وألقيت المخلفات، فأمر الله سبحانه أنْ يطهر هو وإسماعيل البيت من كل هذا الدنس ويجعله مكاناً لثلاث طوائف : الطائفين، العاكفين، والركع السجود.

السؤال الرابع:

ورد في الآية ذكر للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وورد ذلك أيضاً في آية آل عمران: ٤٣، وآية الحج[٢٦ و ٧٧]، وذكر فيها القائمين لكنْ مع التقديم والتأخير، فهل من توضيح لهذا الأمر ؟

الجواب:

أولاً: استعراض الآيات:

﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة:١٢٥].

﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران:٤٣].

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج:٢٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧].

ثانياً ـ ستكون دراسة الآيات من ناحيتين اثنتين وهما:

آ ـ دراسة الآيات من حيث التقديم والتأخيربحسب الكثرة والقلة.

ب ـ دراسة الآيات من ناحية تعاور أو تناوب المفردات.

الناحية الأولى:

تدرّج في ترتيب المذكورات من القلة إلى الكثرة، وقد قال في البقرة: ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ [البقرة:١٢٥] وفي الحج ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ [الحج:٢٦].

والعاكفون هم أهل البلد الحرام المقيمون أو الغرباء الذين عكفوا عنده، أي: أقاموا لا يبرحون وقيل هم المعتكفون فيه.

١ ـ في آية البقرة [١٢٥] الكلام عن بيت الله الحرام، فالطائفون هم ألصق المذكورين بالبيت؛ لأنهم يطوفون حوله، وهم من يقصد البيت حاجاً أو معتمراً فبدأ

بهم، ثم تدرّج إلى العاكفين في هذا البيت أو في بيوت الله عموماً، ثم الركع السجود الذين يتوجهون إلى هذا البيت في ركوعهم وسجودهم في كل الأرض، والراكعون أقل من الساجدين؛ وذلك لأنّ لكل ركعة سجدتين، إضافةً أنّ هناك سجوداً ليس له ركوع كسجود التلاوة وسجود الشكر، فتدرج من القلة إلى الكثرة.

٢ـ في آية الحج: ٧٧ ، بدأ بالركوع وهو أقل المذكورات، ثم السجود وهو أكثر، ثم عبادة الرب وهو أعم، ثم فعل الخير، فتدرج من القلة إلى الكثرة .

٣ ـ في آية آل عمران :٤٣، كان التدرج معكوساً من الكثرة إلى القلة، فبدأ بالقنوت وهو عموم العبادة، ثم السجود وهو أقل وأخص، ثم الركوع وهو أقل وأخص .

الناحية الثانية : دراسة الآيات من ناحية تعاور أو تناوب المفردات :

فقد قال في البقرة: ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ [البقرة:١٢٥] وفي الحج ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ [الحج:٢٦].

التعاريف :

العاكفون :

آـ هم أهل البلد الحرام المقيمون .

ب ـ الغرباء الذين عكفوا عنده وجاوروه.

القائمون:

آـ المصلون، أي: الركع السجود، أي: ذكر أهم أركان الصلاة القيام والركوع والسجود.

ب ـ المتمسكون بدين الله الثابتون عليه والعازمون المواظبون على ذلك.

الأدلة على معنى القائمين:

ـ التمسك: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران:١١٣].

ـ العزم: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن:١٩] أي: لما عزم.

﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف:١٤] أي: عزموا فقالوا.

الأدلة على معنى العاكفين:

﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الأعراف:١٣٨] أي: يقيمون.

﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه:٩٧] أي: مقيماً.

﴿وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧] أي مقيمون في المساجد لا يخرجون إلا لضرورة.

آيات البقرة: ١٢٦-١٢٩

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

جاءت في سياق ذكر أهل البلد الحرام وذرية إبراهيم وإسماعيل، ومن هؤلاء السكان المقيمين في البلد الحرام بُعث النبي الأمين ﷺ الذي دعا به إبراهيم وإسماعيل

فناسب ذكر العاكفين وهم أهل البلد الحرام المقيمون أو المجاورون وعموم من لزم المسجد الحرام.

آية الحج : ٢٦

١ـ ذكر فيها القائمين ولم يذكر العاكفين، ذلك أنه قال قبلها في الآية: [٢٥] ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج:٢٥] فجعل العاكفَ فيه وغيرَه سواءً؛ فليس من المناسب أنْ يفرد العاكفين فقال: ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ والقائمون قد يكونون من العاكفين وغيرهم.

٢ـ وذكر بعدها فريضة الحج والحجاج الذين يأتونه من كل فج عميق، ولم يذكر أهل البلد الحرام فقال: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج:٢٧-٢٨-٢٩].

ومن هؤلاء المذكورين من سيعود إلى أهليهم بعد قضاء فريضة الحج فلا يناسب ذلك ذكر العُكوف والإقامة، وإنما يناسبه القيام الذي من معانيه القيام بأمر الدين والاستمساك به؛ ومن ذلك القيام بالصلاة ومناسك الحج وغيرها من الطاعات .

فناسب ذلك ذكر العاكفين في سورة البقرة والقائمين في سورة الحج، والله أعلم.

السؤال الخامس:

ما الفرق بين سُجّد وسجود ؟ولِمَ قال: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ ولم يقل: (الركع السُجّد)؟

الجواب:

١ـ الوزن (فُعّل) نحو: رُكَّع وسُجَّد وضُرَّب يدل على الحركة الظاهرة.

٢ـ السجود في الأصل مصدر كالخشوع والخضوع، وهو يتناول السجود الظاهر والباطن، وهو يطلق على وضع الجبهة بالأرض وعلى الخشوع، كما في آية البقرة (والركع السجود) ولو قال: (السُجّد) لم يتناول إلا المعنى الظاهر، ومنه قوله تعالى: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح:٢٩] وهو من رؤية العين التي تتعلق بالظاهر فقط، فقصد بذلك الرمز إلى السجود المعنوي والصوري، بخلاف الركوع فإنه ظاهر في أعمال الظاهر دون أعمال القلب.

٣ـ وردت كلمة (السُجّد) في القرآن في أحد عشر موطناً، كلها للدلالة على الحركة الظاهرة وهي الآيات:

﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح:٢٩].

﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف:١٠٠].

﴿وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ [النحل:٤٨].

﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة:٥٨] ـ [الأعراف:١٦١].

﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الإسراء:١٠٧].

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ [طه:٧٠].

﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان:٦٤].

﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم:٥٨].

﴿خَرُّواْ سُجَّدًا ﴾ [السجدة:١٥].

وكل هذه الآيات بلفظ (السُجّد) للدلالة على الحركة الظاهرة.

٤ـ لم يرد لفظ السجود (جمع ساجد) إلا في موضعين هما البقرة ١٢٥، والحج ٢٦ للدلالة على السجود الحقيقي؛ وهو الخشوع، وهو مناسب للتطهير في الآية، فإنّ الخشوع يدل على طهارة الباطن وهو مناسب لطهارة البيت وليس المراد به السجود الظاهري.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ [التكوير:١٥-١٦]فالخُنَّس والكُنَّس هن اللاتي يخنسن ويختفين كثيراً لا مرة واحدة.

❁❁❁❁

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا﴾ [البقرة:١٢٦] وقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾ [إبراهيم:٣٥] ؟

الجواب:

الآية الأولى هي دعاء سيدنا إبراهيم قبل أنْ تكون مكة بلداً، فجاء بصيغة التنكير ﴿بَلَدًا﴾ [البقرة:١٢٦]، أمّا الآية الثانية فهي دعاء سيدنا إبراهيم بعد أنْ أصبحت مكة بلداً معروفاً فجاء بصيغة التعريف في قوله: ﴿ٱلۡبَلَدَ﴾ [إبراهيم:٣٥] .

في الآية الثانية المكان صار بلداً وصار فيه ناس، بل أكثر من ذلك جاء إليه من يعبد الأصنام، وقوله تعالى: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم:٣٥] معناه: أنّ هناك في البلد من القبائل أو من الأعراب الذين سكنوا مع هاجر من كانوا يعبدون الأصنام، فلا يريد لذريته أنْ يتأثروا بهؤلاء فانصب الطلب على الأمن ودفع عبادة الأصنام.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في البقرة قال: ﴿ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦﴾ [البقرة:١٢٦] بضمير المفرد وفي آية لقمان: ٢٤ بالجمع ﴿ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾ [لقمان:٢٤] فما الفرق بينهما؟

الجواب:

حتى نفهم المسألة نقرأ سياق آية البقرة؛ لأنّ السياق هو الذي يوضّح ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦﴾ [البقرة:١٢٦] إذن آية البقرة في مكة، وأمّا آية لقمان فهي عامة﴿ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا﴾ [لقمان:٢٤] كلام عام، وليس في بلد معين ولا لأناس معيَّنين.

١ـ آية البقرة هي دعاء على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام لأهل مكة قبل أنْ توجد حيث ذكر ﴿بَلَدًا﴾، وأمّا آية لقمان فهي عامة و ليست في بلد معين أو أناس معينين، لذلك نجد أنَّ:

آ ـ في آية لقمان حيث توجد الكثرة النسبية جاء فيها بالجمع﴿ نُمَتِّعُهُمۡ﴾ [لقمان:٢٤] ﴿ نَضۡطَرُّهُمۡ﴾ [لقمان:٢٤] .

ب ـ وفي آية البقرة العدد أقل نسبياً، فجاء بضمير الإفراد ﴿أَضۡطَرُّهُۥٓ﴾ [البقرة:١٢٦] والله هو صاحب البيت ﴿أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ﴾ [البقرة:١٢٥] وهو يتولى العذاب.

٢ـ في آية البقرة جاء فيها قوله تعالى: ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة:١٢٦] وهذا هوطلب الرزق كنوع من التمتيع، وهذا ليس في التبليغ؛ لذلك عندما قال: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [البقرة:١٢٦] كان الجواب ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا﴾ [البقرة:١٢٦].

وأمّا في آية لقمان فقال: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ و﴿ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ﴾ و﴿نَضۡطَرُّهُمۡ﴾ كلها بالجمع؛ لأنها تخص التبليغ والدعوة.

٣ـ قال في آية لقمان: ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ وفي البقرة: ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ﴾ [البقرة:١٢٦] والثانية فيها حرق فهي أشد من ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ فقد يكون بعصا غليظة مثلاً، والسبب في ذلك أنّ آية البقرة هي في أهل مكة، وفي مكة قد تتضاعف السيئات كما تتضاعف الحسنات، فالمعاصي فيها أكبر ذنباً والعذاب بسبب ذلك أشد؛ لأنّ من أساء في مكة ليس كمن أساء في غيرها، ولذلك شدّد العذاب فقال: ﴿عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦﴾ [البقرة:١٢٦] . والله أعلم

٤ـ وفي القرآن يراعي هذا الشيء، نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ٤٢﴾ [يونس:٤٢] الذين يستمعون أكثر من الذين ينظرون، فقال: يستمعون، هذه تسمى مناسبة، وهذا ما جعل المفعول في لقمان بالجمع، وفي البقرة بالمفرد.

السؤال الثالث:

جاء في الآية لفظة النداء ﴿رَبِّ﴾ [البقرة:١٢٦] وفي آيات كثيرة ﴿رَبَّنَا﴾ فهل من معانٍ لهذا النداء ؟

الجواب:

١ـ كلمة ﴿رَبَّنَا﴾ هي منادى بإسقاط حرف النداء، والمنادى هو طلب الإقبال، وهو اسم يقع بعد أداة من أدوات النداء، وأدوات النداء تختلف باختلاف المسافة بينك وبين المنادى.

آ ـ فإذا كان المنادى بجوارك تقول : محمدٌ افعل كذا، أي :بدون أداة نداء.

ب ـ فإنْ كان بعيداً تقول: أمحمدُ، أي: باستعمال الهمزة.

ج ـ فإنْ كان أبعد من سابقه تقول: يا محمد، أي: باستعمال الياء.

د ـ فإنْ كان أبعد من سابقه تقول: أيا محمد، أي: باستعمال الهمزة والياء.

٢ـ إذا أضيف المنادى إلى ياء المتكلم، جاز حذف الياء والاستغناء عنها بالكسرة، نحو قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه:١١٤] .

٣ـ قد يأتي المنادى ويحذف حرف النداء، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

وأنت أيها المؤمن حين تنادي ربك وإنْ لم تكن أنت قريباً من الله فالله قريب منك، ولذلك لا تستخدم أداة النداء لا للقريب ولا للبعيد، ويكفي في هذا القرب قول الله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦﴾ [ق:١٦].

وقد ورد في القرآن الكريم لفظ ﴿رَبِّ﴾ كمنادى في خمس وستين آية بدون أداة نداء، أولها في سورة البقرة في الآية [١٢٦] على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة:١٢٦] إلى قول نوح عليه السلام في سورة نوح: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ [نوح:٢٨].

والله قريب منا بالفعل، وإنْ حدث بُعدٌ فمنك أنت أيها العبد، وأكثر ما يكون العبد قرباً من الله حين يكون مضطراً حتى إنْ كان بعيداً عن الله قبل الاضطرار.

وفي آيتين فقط من كتاب الله نودي الربُّ تبارك وتعالى بأداة النداء، وهذان الموضعان حكاية عن كلام النبي ﷺ وهما :

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان:٣٠] .

﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الزُّخرُف:٨٨] والسؤال لماذا لم تأتِ أداة النداء إلا من سيدنا محمد ﷺ في نداء ربه؟

والجواب: أنّ النبي ﷺ كان شديد الحرص على هداية قومه ونصرة دعوته حتى خاطبه ربه بقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء:٣].

وقد مرّ الرسول ﷺ بمواقف صعبة لدرجة جعلته يستبطىء نصر الله، كما قال سبحانه في سورة البقرة الآية [٢١٤]: ﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] .

فخاف ﷺ أنْ يكون بعُدَ عن ربه، وهذا البعد ما هو إلا مظنة من رسول الله أو اتهامٌ للنفس فلمّا ذهب ﷺ يدعو ربه ويشتكي إليه أنّ قومه هجروا القرآن نادى ربه من

منزلة البعيد، فقال :(يا رب)، وكأنه ﷺ ظن في نفسه التقصير أو الفشل، ورأى أنّ ذلك يُبعده عن ربه، لكنّ الله تعالى أنصفه وأكد نداءه، بل وأقسم به فقال الحق عز وجل: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزُّخرُف:٨٨-٨٩] .

أي: أقسم بقولك: ﴿إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۝٣٠﴾ [الفرقان:٣٠].

والله تعالى يقسم بما يشاء على ما يشاء، ولم يقسم بأحد من الخلق إلا برسول الله، في قوله: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٢﴾ [الحِجر:٧٢] وأقسم الله كذلك بقول رسوله فقال سبحانه: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨﴾ [الزُّخرُف:٨٨].

❁❁❁❁

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٢٧﴾

السؤال الأول:

ما فائدة الضمير ﴿أَنتَ﴾ في الآية ؟

الجواب:

جاء الخبر ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ معرفةً، ووقع بين ﴿إِنَّ﴾ والخبر ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ ضمير الفصل ﴿أَنتَ﴾ بقصد المبالغة في كمال الوصفين السميع والعليم له سبحانه وتعالى، ولينزَل سمع وعلم غيره منزلة العدم، ألا ترى أنك لو قلت لرجل: أنت سامع، إذا أردت أنه أحد السامعين، أما إذا عرّفت فقلت: أنت السامع، فهذا يعني أنه السامع لا غيره.

السؤال الثاني:

هل يُضمَرُ القول في القرآن الكريم؟ وما حالات إضمار القول ؟

الجواب:

١ـ الأصل أنْ يُذكر فعل القول والمقول، كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٣٠] (قال) هي فعل القول، و ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ هي المقول.

٢ـ قد يُحذف فعل القول ويُذكر القول، كقوله تعالى في آية التوبة [١٢٧] والبقرة[١٢٧]:

ـ ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [التوبة:١٢٧] أي: يقولون: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [التوبة:١٢٧] ولم يذكر فعل القول.

ـ ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة:١٢٧] أي: يقولون: ربنا تقبل منا، بدون ذكر فعل القول.

٣ـ قد يُذكر فعل القول ويُحذف المقول، كقوله تعالى في آية يونس: ٧٧ :

ـ ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ [يونس:٧٧]؛ وبيان ذلك :

آـ قال موسى: أتقولون للحق لمّا جاءكم، هنا فعل القول والمقول من موسى عليه السلام لقومه، بمعنى: أي ما تقولون في الحق الذي جئت به ؟

ب ـ ثم بعد أنْ ذكر فعل القول لقوم موسى وهو ﴿أَتَقُولُونَ﴾ [يونس:٧٧] حذف عنه المفعول به وهو مقولهم لدلالة الحال عليه.

ج ـ ثم قال مرة أخرى : ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ [يونس:٧٧] وهذا استفهام على سبيل الإنكار، ثم احتج على أنه ليس بسحر في قوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يونس:٧٧] .

٤ـ قد يُذكر مقولان لقائلين مختلفين ويُحذف الفعل لواحد منهما، كقوله تعالى:

ـ ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النحل:٢٨] ففي الآية مقولان:

آـ ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ﴾ [النحل:٢٨] وهذا مقول الظالمي أنفسهم، وذكر فعل القول (ألقوا) أي: أسلموا وأقروا بالعبودية عند الموت، فقالوا : ما كنا نعمل من سوء، والمراد بالسوء هنا: الشرك.

ب ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النحل:٢٨] وهذا مقول الملائكة رداً عليهم وتكذيباً، وأُدمج المقولان، وهو مفهوم من السياق.

٥ـ أن يُذكر فعل القول ومقوله، ثم يدمجه مع مقول آخر .

شواهد قرآنية :

آية يوسف: [٥١ـ٥٢]:

ـ ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْـَٰٔنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ الصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ الْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف: ٥١ - ٥٢] وتفصيل ذلك :

آ ـ ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْـَٰٔنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ الصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف:٥١] في الآية فعل القول: قالت، ومقولها : أنا راودته.

ب ـ ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ [يوسف:٥٢] هذا مقول يوسف عليه السلام عند أكثر المفسرين.

آية النمل[٣٤]:

ـ ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ [النمل:٣٤] وهذا كلام بلقيس، ثم إنه تعالى قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤)﴾ [النمل:٣٤].

آية آل عمران [٩]:

ـ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران:٩] هذا كلام الداعي، ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩)﴾ [آل عمران:٩].

٦ـ أنْ يُذكر فعل القول ولا يُذكر المقول، بل يُذكر فحواه، كقوله تعالى:

ـ ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم:٣١] أي: أقيموا الصلاة، وهذا فحوى القول.

ـ ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء:٥٣] أي: يقولوا القول الحسن.

❃❃❃❃

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الفرق في الترتيب بين آية سورة البقرة ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾ [البقرة:١٢٩] وآية

سورة الجمعة ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة:٢] ؟

الجواب:

أولا :

وردت في القرآن الكريم مثل هذه الآيات أربع مرات، ثلاثاً منها عن الله تعالى، ومرة على لسان إبراهيم عليه السلام، وهي الآيات التالية:

١. سورة البقرة ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ۝١٥١﴾ [البقرة:١٥١] .

٢. آل عمران ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤﴾ [آل عمران:١٦٤].

٣. سورة الجمعة ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة:٢] .

وعلى لسان إبراهيم عليه السلام:

٤. سورة البقرة ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٢٩﴾ [البقرة:١٢٩] .

وهذا يعود إلى ترتيب الأولويات والأهمية في الخطابين، فعندما دعا إبراهيم عليه السلام ربه أنْ يرسل رسولاً أَخَّرَ جانب تزكية الأخلاق إلى آخر مرحلة بعد تلاوة الآيات وتعليمهم الكتاب والحكمة.

أمّا في آية سورة الجمعة وسورة البقرة:١٥١ وسورة آل عمران : فالخطاب من الله تعالى بأنه بعث في الأميين رسولاً يتلو عليهم آياته ويزكيهم قبل مرحلة يعلمهم الكتاب والحكمة؛ لأنّ الجانب الخُلُقي يأتي قبل الجانب التعليمي، ولأنّ الإنسان إذا كان غير مزكّى في خلقه لن يتلقى الكتاب والحكمة على مُراد الله تعالى، والرسول ﷺ من أهم صفاته أنه على خلق عظيم كما شهد له رب العزة بذلك في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم:٤] .

والتزكية هي ربع المهمّة المحمدية (تلاوة الآيات، تعليم الكتاب، تعليم الحكمة، التزكية).

ثانياً ـ هذا الترتيب في الآية؛ لأنّ آيات القرآن تعلمنا التفكير والمنطق ودقة اللفظ وترتيب الأفكار، والله سبحانه وتعالى رتب هذه الصفات على حسب ترتيب وجودها؛ لأنّ أول تبليغ الرسالة القرآن ثم يكون تعليم معانيه، كما في قوله في موضع آخر: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ [القيامة:١٨-١٩] فإذا ما حصلت على علم القرآن انتقلت إلى المرحلة الأخيرة وهي التزكية.

السؤال الثاني:

ما دلالة قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:١٢٩] في الآية ؟

الجواب:

كلمة ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:١٢٩] تَرُدُّ على اليهود الذين أحزنهم أنّ رسول الله ﷺ من العرب، وأنّ الرسالة كان يجب أن تكون فيهم.

ونحن نقول لهم: إنّ جدنا وجدكم إبراهيم، وأنتم من ذرية يعقوب بن إسحاق، ومحمد ﷺ من ذرية إسماعيل بن إبراهيم وأخ لأسحاق، ولا حجة لما تدّعونه من أن الله فضّلكم واختاركم على سائر الشعوب، إنما أراد الله أنْ يسلب منكم النبوة؛ لأنكم ظلمتم في الأرض وعهدُ الله لا يناله الظالمون.

ثم قال الله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة:١٣٠] فهو سفيه لا يملك عقلاً يميز بين الضار والنافع .

ثم قال: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة:١٣٠] فقد اصطفاه الله في الدنيا بالمنهج وبأنْ جعله إماماً وبالابتلاء، وهو في الآخرة من الصالحين، أي: من الفائزين.

وقد يظن كثير من الناس أنّ مقامات الناس في الدنيا وزخرفها مبرر لأنْ يعتقدوا أنّ لهم منزله عالية في الآخرة.

نقول: لا، فمنازل الدنيا لا علاقة لها بالآخرة، ولذلك قال الله: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ وأضاف : ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لنعلم أنّ إبراهيم عليه السلام له منزلة عالية في الدنيا والآخرة معاً .

السؤال الثالث:

قوله تعالى في هذه الآية [١٢٩] ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ بينما قال في آية آل عمران [١٦٤]: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وفي آية التوبة: ١٢٨ ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ فلماذا ؟

الجواب:

آية البقرة في سياق دعاء إبراهيم عليه السلام وهو عام .

أمّا في آل عمران والتوبة فهما في سياق ذكر المِنَّة على المؤمنين، فناسب ذكر ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ لمزيد الحنوّ والمنة، وكذلك ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

❋❋❋❋

﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال تعالى في آية البقرة ١٣١ : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [البقرة:١١٢]

وورد الفعل ﴿أَسْلَمَ﴾ بالماضي في آية البقرة ١٣١- وفي آية لقمان [٢٢] بالمضارع ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [لقمان:٢٢] فما الفرق بينهما؟

الجواب:

انظر السؤال الأول في آية البقرة: ١١٢.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة:١٣١] ما الفرق بين (عالم- عوالم- عالمين- علاّم) في الاستعمال ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الفاتحة ٢.

❊❊❊❊

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين ﴿وَصَّىٰ﴾ وأوصى؟

الجواب:

١ـ الله تعالى يقول: ﴿وَصَّىٰ﴾ بالتشديد إذا كان أمر الوصية شديدا ومهماً، لذلك يستعمل وصى في أمور الدين، وفي الأمور المعنوية: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة:١٣٢] ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١] .

أمّا (أوصى) فيستعملها الله تعالى في الأمور المادية: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١] .

٢ـ لم ترد في القرآن (أوصى) في أمور الدين إلا في مكان واحد اقترنت بالأمور المادية، وهو قول السيد المسيح عليه السلام : ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم:٣١] . وفي غير هذه الآية لم ترد (أوصى) في أمور الدين، أمّا في هذا الموضع الوحيد فقد اقترنت الصلاة بالأمور المادية، وقد قالها السيد المسيح في المهد وهو غير مكلف أصلا، وجاء بعدها ذكر الزكاة.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق من الناحية البيانية بين فعل (حضر، وجاء) في القرآن الكريم مع الموت؟

الجواب:

من الناحية اللغوية :

فعل (حضر) :الحضور في اللغة: يعني الوجود، وليس معناه بالضرورة المجيء إلى الشيء، يقال: كنت حاضراً إذ كلّمه فلان، بمعنى (شاهد وموجود)، وهو نقيض الغياب، ويقال: كنت حاضراً مجلسهم، وكنت حاضراً في السوق، أي: كنت موجوداً فيها.

أما المجيء: فهو الانتقال من مكان إلى مكان، فالحضور إذن غير المجيء، ولهذا نقول: الله حاضر في كل مكان، وهو دليل وجوده في كل مكان.

وفي القرآن يقول تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف:٩٨] بمعنى: جاء الأمر، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود:٤٠]. إذن الحضور معناه الشهود، والمجيء معناه الانتقال من مكان إلى مكان .

من الناحية البيانية :

أمّا من الناحية البيانية ففى قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة:١٣٣] وفي المؤمنون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ [المؤمنون:٩٩] .

القرآن الكريم له خصوصيات في التعبير، وكلمتا (حضر) و(جاء) لكل منها خصوصية أيضاً، فأما التعبير (حضر الموت) فيستعمل للكلام عن أحكام ووصايا بوجود الموت حاضراً مع الشهود، وأمّا التعبير (جاء) فيستعمل مع فعل الموت إذا كان المراد الكلام عن الموت وأحوال الشخص في الموت.

فحضور الموت يُستعمل في القرآن الكريم في الأحكام والوصايا كما في آية سورة البقرة، وكأنّ الموت هو من جملة الشهود، والقرآن هنا لا يتحدث عن الموت نفسه أو أحوال الناس في الموت، فالكلام هو في الأحكام والوصايا ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة:١٨٠] ووصية يعقوب لأبنائه بعبادة الله الواحد.

أمّا مجيء الموت في القرآن فيستعمل في الكلام عن الموت نفسه أو أحوال الناس في الموت كما في آية سورة المؤمنون، حيث يريد هذا الذي جاءه الموت أنْ يرجع ليعمل صالحاً في الدنيا، فالكلام إذن يتعلق بالموت نفسه وأحوال الشخص الذي يموت.

ويستعمل الفعل (جاء) مع غير كلمة (الموت) أيضاً كالأجل ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ وسكرة الموت ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [ق:١٩] ولا يستعمل هنا (حضر الموت)؛ لأنه كما

أسلفنا (حضر الموت) تستعمل للكلام عن أحكام ووصايا بوجود الموت حاضراً مع الشهود، أمّا (جاء) فيستعمل مع فعل الموت إذا كان المراد الكلام عن الموت وأحوال الشخص في الموت.

السؤال الثاني:

ما دلالة تقديم المفعول به مع ذكر الموت ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ [البقرة:١٣٣] وما الفرق بين (حضر) و(جاء) و(أدرك) و(أصاب)؟

الجواب:

١ـ جاء لفظ الموت فاعلاً في ١١ موضعاً في القرآن الكريم كله، ويقول العلماء: إنّ تقديم المفعول به وإبعاد الفاعل، هو إمّا للاهتمام بالمقدَّم والتلهف لمعرفة الفاعل، أو لإبعاد شبح الموت، وهو شيء مكروه لكل البشر فالكل لا يحب قدومه.

٢ـ انظر الجدول التالي للأفعال التي جاءت مع الموت في القرآن:

الفعل مع الموت	عدد المواضع	الآيات
﴿حَضَرَ﴾	٤	البقرة ١٣٣ـ البقرة ١٨٠ـ المائدة ١٠٦ـ النساء ١٨
﴿جَآءَ﴾	٢	الأنعام ٦١ـ المؤمنون ٩٩
﴿يُدْرِكُ﴾	٢	النساء ٧٨ـ النساء ١٠٠
﴿يَأْتِي﴾	٢	إبراهيم ١٧ـ المنافقون ١٠
﴿يَتَوَفَّى﴾	١	النساء ١٥

المجموع: ١١ موضعاً

الفعل ﴿حَضَرَ﴾:

فعل (حضر) هو من الحضور وهو نقيض الغياب، وقولك: كنت حاضراً معهم، أي: موجوداً، ولهذا نقول: (الله حاضر في كل مكان)، ونلمس بالفعل (حضر) شدة القرب.

واستعمل القرآن الكريم في الآيات حضور الموت للأحكام والوصايا، وكأنّ الموت من جملة الشهود، والقرآن لا يتحدث في آيات (حضر) عن الموت نفسه أو أحوال الناس في الموت، لكنّ الكلام هو في الأحكام والوصايا ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة:١٨٠] ووصية يعقوب لأولاده.

الفعل ﴿جَآءَ﴾:

فيه معنى القرب الشديد وتحقق الوقوع، والفعل (جاء) معناه الانتقال من مكان إلى مكان، وفي القرآن ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف:٩٨] بمعنى(لم يكن موجوداً، وإنما جاء الأمر) وكذلك ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [المؤمنون:٢٧].

و مجيء الموت في القرآن يستعمل في الكلام عن الموت نفسه أو أحوال الناس في الموت كما في آية المؤمنون [٩٩] وآية الأنعام [٦١].

وكذلك يستعمل فعل (جاء) مع غير كلمة الموت كالأجل ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ وسكرة الموت ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾.

الفعل: ﴿يُدْرِككُّمُ﴾ [النساء:٧٨]

أدرك: أي: لحق به وقبض عليه، وفيه صورة الملاحقة، كما في آية النساء: ٧٨، حيث تصور الآية من ينتقل من مكان لآخر هرباً من الموت، والموت يسعى وراءه حتى يدركه ولو كان متحصناً في بروج مشيدة.

الفعل : ﴿يَأْتِي﴾

إتيان الموت: المراد به إتيان أسبابه من وسائل التعذيب و الكلام عن المعذَّب بنار جهنم، كما في آية إبراهيم: ١٧، يونس ٣٦.

الفعل : ﴿يَتَوَفَّى﴾

كلمة (توفّى) تأتي في القرآن على ثلاثة ألوان :

١ـ ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزُّمَر:٤٢].

٢ـ ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [السجدة:١١].

٣ـ ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام:٦١].

فهو سبحانه ينسب الموت له ولملك الموت ولرسله، فأخذ الأرواح وقبضها إلى الله أمراً، وإلى ملك الموت وسيلة وواسطة، وإلى الرسل تنفيذاً .

السؤال الثالث:

لماذا لا يُذكر سيدنا إسماعيل مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في القرآن ؟

الجواب:

انظر الجواب في السؤال الأول في الآية [١٢٥].

السؤال الرابع:

ما الفرق في الاستعمال القرآني بين الوالد والأب ؟

الجواب:

يستعمل القرآن لفظة (الوالدان) للأب المباشر، أي: أبو الولد وأمه، بينما تأتي لفظة (الأب) بمعنى أشمل من الوالد، إذ يندرج في تضاعيفه معنى: الجد والعم والأب الوالد، كما في آية البقرة [١٣٣] ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة:١٣٣].

لذلك نجد أنّ الأبوة بمعناها الشامل تضمنت: الجد إبراهيم، والعم إسماعيل، والأب الوالد: إسحق .

السؤال الخامس:

في الآية متعاطفان ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ [البقرة:١٣٣] فما أهم أقسام العطف في اللغة ؟

الجواب:

المتعاطفان يكونان على أقسام :

١ـ عطف الشيء على مغايره،وهو الأصل، نحو: رأيت محمداً وخالداً .

٢ـ عطف الشيء على مرادفه، نحو :هذا كذب وافتراء.

٣ـ عطف العام على الخاص، آية الحجر ٨٧ ، ونحو : اشتريت رماناً وفاكهة.

٤ـ عطف الخاص على العام: آية البقرة ٩٨، ويأتي لبيان الأهمية ، فإنّ جبريل وميكال هم رؤساء الملائكة وليسوا كعمومهم، ومثله آية البقرة ٢٣٨، وآية الرحمن ٦٨ .

٥ـ عطف الشيء على نفسه لزيادة الفائدة، كما في آية البقرة ١٣٣ .

٦ـ عطف الصفات بعضها على بعض والموصوف واحد: الأعلى الآيتان ١ـ٤، ونحو : مررت برجل فقيه وشاعر وكاتب .

٧ـ عطف الاسم على الفعل وبالعكس، والأصل أنْ يعطف الاسم على الاسم والفعل على الفعل.

٨ـ قد يعطف الاسم المشبه بالفعل كاسم الفاعل على الفعل وبالعكس، كما في آية الملك ١٩، آية الأنعام ٩٥، حيث عطف اسم الفاعل ﴿ وَمُخْرِجُ ﴾ على الفعل ﴿ يُخْرِجُ ﴾ وكذلك في آيتي سورة العاديات (٣ ـ٤) ﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ ﴾ .

❋❋❋❋

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٣٤ ﴾

السؤال الأول:

ما الدروس المستفادة من الآية ؟

الجواب:

١ـ المقصود بالآية الأمم التي ذكرهم الله في الآيات المتقدمة، والمعنى أنه ليس لكم نفع سيرتهم ولا أفعالهم .

٢ـ الآية دالة على بطلان التقليد، ولو كان التقليد جائزاً لكان كسب المتبوع نافعاً للتابع .

٣ـ الآية دالة على ترغيبهم في الإيمان واتباع الرسول محمد ﷺ.

٤ـ الآية دالة على أنّ الأبناء لا يثابون على طاعة الآباء، بخلاف قول اليهود بأنّ صلاح آبائهم ينفعهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام:١٦٤] وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤] وفي الحديث : «**من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه**» .

٥ـ الآية تدل على بطلان قول من يقول من اليهود : الأبناء يعذبون بكفر آبائهم .

٦ـ الآية تدل على أنّ العبد مكتسِبٌ، وجعل كسبه شبيهاً بكسب الأموال.

السؤال الثاني:

لماذا كررت ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة:١٣٤-١٤١] في الآيتين ١٣٤و ١٤١، مع أنّ الآيتين متجاورتان ؟

الجواب:

١ـ الآية الأولى وردت إثباتاً لما نفاه أهل الكتاب من دين الإسلام الذي وصى به إبراهيم ويعقوب .

٢ـ وأمّا الثانية فوردت نفياً لما ادَّعَوه من أنّ إبراهيم ومن ذُكر بعده كانوا هوداً أو نصارى.

والمعنى العام: أنّ أولئك فازوا بما تدينوا به من دين الإسلام وعليكم إثم مخالفتهم وما اقترفتم عليهم من التهود والتنصر الذي هم براء منه .

٣ـ الآيتان [١٣٣، ١٣٤] تقول لليهود: إنّ نسبكم إلى إبراهيم وإسحاق لن يشفع لكم عند الله بما حرفتموه وغيرتموه في التوراة وبما تفعلونه خلاف ما شرّع الله، فاعلموا أنّ عملكم هو الذي ستحاسبون عليه وليس نسبكم .

أما الآية: ١٤١، فقد قالوا: إنّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق كانوا هوداً أو نصارى.

والله تبارك وتعالى لا يجادلهم وإنما يقول لهم: لنفرض، وهذا فرض غير صحيح، أنّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق كانوا هوداً أو نصارى، فهذا لن يكون عذراً لكم؛ لأنّ لهم ما كسبوا ولكم أنتم ما كسبتم، فلا تأخذوا ذلك حجة على الله يوم القيامة.

لذلك فإنّ سياق الآية الأولى يقول: لا شفاعة لكم يوم القيامة في نسبكم إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، بينما سياق الآية الثانية يقول: لا حجة لكم يوم القيامة في قولكم: إنهم كانوا هوداً أو نصارى، فلن ينفعكم نسبكم إليهم ولن يقبل الله حجتكم.

❊❊❊❊

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ﴾ [البقرة:١٣٥] ما معنى (حنيفاً)، وما دلالتها؟

الجواب:

الحَنَفُ: هو الميل عن الضلال إلى الاستقامة، والحَنَفُ: الميل في المشي عن الطريق المعتاد، وسُمِّيَ دينُ إبراهيم حنيفاً على سبيل المدح للمِلّة؛ لأنّ الناس يوم ظهور ملّة إبراهيم كانوا في ضلالة عمياء، فجاء دين إبراهيم مائلاً عنهم، فلُقّب بالحنيف لقب مدح.

❁❁❁❁

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾

السؤال الأول:

جاء في نفس الآية: ﴿أُنزِلَ﴾ و ﴿أُوتِيَ﴾ فما الفرق بينهما في الدلالة ؟

الجواب:

الإنزال يأتي من السماء ويستعمل للكتب، أمّا الإيتاء فهو يستعمل للكتب وغيره مثل المعجزات؛ لذلك (الإيتاء) أوسع من (الإنزال) .

في سورة البقرة نجد أنّ حجج موسى عليه السلام لم تكن في الكتاب، وإنما جاءه الكتاب بعدما أُوتي المعجزات .

وجدير بالذكر أنه لم ترد في القرآن كله كلمة ﴿أُنزِلَ﴾ مطلقاً لموسى عليه السلام، وإنما استعملت معه كلمة ﴿أُوتِيَ﴾ .

أمّا بالنسبة للرسول ﷺ فقد جاء الفعلان ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر:٨٧] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤] .

السؤال الثاني:

قوله تعالى في آية البقرة [١٣٦] ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾ وفي آية آل عمران [٨٤] ﴿وَٱلنَّبِيُّونَ﴾ بدون الإيتاء، فلماذا ؟

الجواب:

تقدّم آية آل عمران، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران:٨١] فأغنى عن إعادة إيتائهم ثانياً، ولم يتقدم مثل ذلك في البقرة، فصرح به بإيتائهم ذلك .

السؤال الثالث:

ما الفرق بين ﴿أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ و﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ في آيتي البقرة [١٣٦] وآل عمران [٨٤]؟

الجواب:

أولاً : استعراض الآيات :

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة:١٣٦] .

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران:٨٤].

ثانياً : البيان :

١ـ الحرف (إلى) يأتي للغاية أو الوصول، والحرف (على) فيه نوع من الاستعلاء، كما في قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ [القصص:٧٩].

٢ـ آية البقرة [١٣٦] فيها دعوة مباشرة لغير المسلمين أنْ يأتوا إلى الإسلام، فهو حديث بشر لبشر فقال المسلمون: (وما أُنزل إلينا) أي: هذا القرآن قد وصل إلينا وتسلمناه وهو خير مما عندكم، فجاءت (إلينا) بمعنى الوصول، ثم عُطف ما بعده عليه، فقال: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة:١٣٦] .

٣ـ آية آل عمران [٨٤] هي في أخذ الميثاق على الأنبياء أنْ يوصوا أتباعهم باتباع النبي محمد ﷺ الذي سيأتي ، وميثاق الله تعالى فيه علو ورفعة، فناسب ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [آل عمران:٨٤] .

٤ـ أعاد في آية البقرة كلمة: أوتي ﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:١٣٦] ولم يعدها في آية آل عمران، والسبب أنّ إيتاء النبيين ورد في آل عمران في الآية ٨١ قوله ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ فلم يكررها، بينما هناك لم يذكرها فكررها .

السؤال الرابع:

هل من زيادة في التفصيل في جواب السؤال السابق ؟

الجواب:

قال في آية البقرة: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ وكرر ﴿أُوتِىَ﴾ مرتين.

وفي آية آل عمران: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ ولم يكرر ﴿أُوتِىَ﴾.

أولاً: معنى الأحرف:

(على) موضوعة لكون الشيء فوق الشيء أومجيئه من علو، وأنّ من معاني (إلى) المنتهى أو الانتهاء، كما تقول: سرت من الدار إلى السوق.

ثانياً: البيـــان:

١ـ آية البقرة مصدرةٌ بخطاب المسلمين: ﴿قُولُوٓا۟﴾ فوجب أنْ يختار لهم (إلى)؛ فالمؤمنون لم ينزل الوحي عليهم من السماء، وإنما أُنزل على الأنبياء ثم انتهى من عندهم إليهم، فلمّا كان ﴿قُولُوٓا۟﴾ خطاباً لغير الأنبياء، وكان لأممهم كان اختيار (إلى) أولى من اختيار (على).

ولمّا كانت سورة آل عمران قد صدّرت بما هو خطاب للنبي ﷺ وهو قوله: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [آل عمران:٨٤] كانت (على) أحق بهذا المكان؛ لأنّ الوحي أنزل عليه.

٢ـ أنّ تكرار لفظ ﴿أُوتِيَ﴾ في البقرة يقتضيه التعبير لأكثر من سبب:

آ ـ آية البقرة جاءت في سياق ذكر عدد من الأنبياء وأخبارهم، مثل إبراهيم وإسماعيل ويعقوب وبنيه وغيرهم من الأنبياء، فلمّا جرى ذكر الأنبياء السابقين ناسب ذلك تكرار الإيتاء لهم، بخلاف آية آل عمران فإنها ليست في مثل هذا السياق.

ب ـ آية البقرة وردت بعد قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ۗ﴾ [البقرة:١٣٥] فلمّا جرى ذكر هاتين الملتين ناسب ذلك تخصيص نبيهما بالإيتاء.

ج ـ آية آل عمران وردت بعد أخذ الميثاق من النبيين على الإيمان بسيدنا محمد ﷺ إنْ هم أدركوه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران:٨١] .

كما وردت في سياق التأكيد على الإسلام والإيمان به فقد قال قبلها : ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران:٨٣] وقال بعدها :﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥] فناسب ذلك عدم تكرار الإيتاء للأنبياء فيها؛ وذلك لأنّ السياق فيما أوتي سيدنا محمد لا فيما أوتي الأنبياء الآخرون.

لذلك لمّا كان السياق في البقرة في ذكر الأنبياء ذكر الإيتاء لهم، ولمّا كان السياق في آل عمران في الإيمان بمحمد ودينه وأخذ الميثاق من الأنبياء على الإيمان به ناسب عدم تكرار الإيتاء للأنبياء .

د ـ إنّ مشتقات الإيتاء من نحو: آتى وآتينا وأوتي وغيرها، وردت في سورة البقرة في ٣٤ موضعاً، وفي آل عمران ١٩ موضعاً، فاقتضى الجو التعبيري تكرار لفظ الإيتاء في البقرة دون آل عمران. والله أعلم .

السؤال الخامس :

في الآية الكثير من حرف العطف (الواو) فهل من فكرة عن حروف العطف في اللغة ؟

الجواب:

حروف العطف تتوسط اسمين أو فعلين، ويكون للاسم أو الفعل الذي يليها نفس حكم الاسم أو الفعل الذي يسبقهما من حيث الإعراب، وهي تسعة أحرف :

١ـ حرف الواو :

وهي لمطلق الجمع، وقد تأتي للترتيب كما في آية البقرة: ١٣٦، وآية الوضوء المائدة: ٦، وقد تأتي بدون الترتيب، كما في آية البقرة: ١٣٦ ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ [البقرة:١٣٦] فلا شك أنّ ما أنزل إلينا متأخر عما أنزل إلى باقي الآنبياء.

والواو تستعمل مقرونة : بـ ﴿إمّا﴾ و(لكن) و(لا)، وتستعمل في عطف الشيء على نفسه أو مرادفه أو لعطف العام على الخاص، كما في آية الحجر: ٨٧، والبقرة: ١٣٦، ونوح: ٢٨ .

وأمّا عطف الخاص على العام، كما في آية البقرة: ٩٨، والبقرة: ٢٣٨ ، فلا تختص بها الواو بل قد يشاركها فيه غيرها نحو : مات الناس حتى الأنبياء .

والتقديم والتأخير موضوع هام يرجى الرجوع إليه في باب التقديم والتأخير لبيان تفاصيله وأمثلته.

٢ـ حرف الفاء :

وتفيد الترتيب والتعقيب:

وربما لا تفيد الترتيب، بل لعطف مفصّل على مجمل، نحو آية النساء: ١٥٣ ﴿فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [النساء:١٥٣] فقوله: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ هو تفصيل لقوله: ﴿فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾.

ويمكن للفاء في القرآن أنْ لا تفيد التعقيب كما في آية الأعلى: ٤ ـ٥ ﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ۝٥﴾ [الأعلى: ٤-:٥] فالغثاء لا يعقب خروج المرعى بل يكون بعده

بمدة، كما في آية الزمر: ٢١ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ [الزُّمَر:٢١] فعبّر عن جعله حطاماً بـ (ثم).

لكنْ يمكن القول : إنّ الأصل في الفاء أنْ تكون للتعقيب، وهذا التعقيب قد يكون حقيقياً ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾﴾ [عبس:٢١] وقد يكون مجازياً الهدف منه تقصير المدة حسب المقام، فقد تقول: الدنيا قصيرة، في مقام، وتقول : الدنيا طويلة، في مقام آخر.

وقد تفيد الفاء الدلالة على السبب، كقوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥] وكذلك البقرة [٢٢]، وربما لا تفيد السبب، كما في قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ [الذاريات:٢٦-٢٧].

٣ـ الحرف (ثُمَّ) :

يفيد الترتيب والتراخي :

والتراخي إمّا للزمان وهي المهلة، أو للتباين في الصفات وغيرها من غير قصد مهلة زمانية.

٤ ـ الحرف (حتَّى) :

حرف عطف يفيد الغاية، وحتى للعطف لا تفيد ترتيباً، بل هي كالواو.

٥ـ الحرف (أَمْ) :

وهي متصلة ومنفصلة ، والمتصلة تنحصر في نوعين :

آـ أنْ تتقدم عليها همزة يطلب بها وأم للتعيين، نحو: أخالد عندك أم محمد ؟

ب ـ أنْ تتقدم عليها همزة التسوية، كقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة:٦].

والمنفصلة : تقع بين جملتين مستقلتين وتفيد الإضراب عن الكلام الأول، وقد يكون الاستفهام الذي تفيده إمّا حقيقياً أو غير حقيقي ويراد به الإنكار والتوبيخ، كقوله تعالى: ﴿أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ۝٣٩﴾ [الطور:٣٩] .

٦ـ الحرف (أو) :

وله عدة معان منها :

آـ الشك: نحو قوله تعالى: ﴿لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٍ﴾ [المؤمنون:١١٣].

ب ـ الإبهام.

ج ـ التخيير.

د ـ الإباحة: إذا دخلت (لا) الناهية على التخيير أو الإباحة امتنع فعل الجميع، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

هـ ـ الإضراب: نحو قوله تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ۝١٤٧﴾ [الصافات:١٤٧] وقيل: (أو) هنا للإبهام أو للتخيير، حسب ما يراه الرائي.

وـ التقسيم: نحو: الناس مسلم أو كافر .

زـ بمعنى الواو: كقوله ﷺ : «**اسكن أُحُد، فما عليك إلا نبي أو صدّيق أو شهيد**».

٧ ـ الحرف **(لكن)** : تفيد الاستدراك، نحو: ما أقبل محمد لكنْ خالد، وتعطف بعد نفي أو نهي بشرط إفراد معطوفها.

٨ ـ الحرف (بل) :

حرف إضراب يدخل على المفردات والجمل ، فإنْ دخلت على جملة كان معنى الإضراب إمّا إبطالياً وإمّا إنتقالياً.

الإضراب الابطالي :

هو أنْ تأتي جملة تبطل معنى الجملة السابقة، كما في آية الأنبياء: ٢٦ ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنبياء:٢٦] .

الإضراب الانتقالي :

فهو أنْ تنتقل من غرض إلى غرض آخر مع عدم إبطال الكلام الأول، نحو قوله تعالى في آية الأعلى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى:١٤-١٥-١٦-١٧]

وحرف : (لا بل) فتفيد توكيد الإضراب، نحو : جاء محمد لا بل خالد .

٩ـ الحرف (لا) :

وتفيد النفي وتعطف بثلاثة شروط:

آ ـ أنْ يسبقها إثبات: أقبل محمد لا خالد .

ب ـ أنْ لا تقترن بعاطف، فإذا قلت: ما جاء محمد ولا خالد، كانت الواو عاطفة و(لا) زائدة تفيد التوكيد.

ج ـ أنْ يتعاند متعاطفاها، نحو : أقبل رجل لا امرأة، بخلاف: أقبلت هند لا امرأة؛ لأنّ هند امرأة .

السؤال السادس:

قوله تعالى ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ فكيف تمّ عطف (لا) النافية على ما قبلها ؟

الجواب:

انظر الجواب في حرف العطف (لا) في نهاية السؤال السابق .

السؤال السابع:

في الآية ذكر للأسباط والأبناء، فما منظومة الأبناء والأحفاد والذرية في اللغة والقرآن ؟

الجواب:

البنون :

تُطلق على الأطفال الصغار سواء كانوا أبناءك المباشرين أو أبناء أبنائك فكلهم بنون، وأبناء الأبناء فريقان:

آ ـ الحفيد هو ابن الابن الذي يعيش مع جده.

ب ـ الذين يعيشون بعيداً عن أجدادهم فيسمون بنين إذا كانوا صغاراً، فإذا كبروا يسمون أبناء.

شواهد قرآنية :

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف:٤٦] .

حفــد : الحفد: جمع حافد، وهو الخادم المتطوع لخدمة المتقن لحرفته .

الأحفاد هم أولاد الأولاد، ويقال لهم : بنون إذا كانوا صغاراً، وإذا كبروا صاروا أبناء .

شواهد قرآنية : ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل:٧٢].

الأسباط :الأصل هم أبناء البنات، وتطلق أيضاً بشكل استثنائي على أحفاد الأنبياء سواء كانوا أبناء بنين أو أبناء بنات، أي: هم ذرية الأنبياء.

شواهد قرآنية :

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة:١٣٦].

الذرية: مشتقة من ذرأ، أي: الإيجاد بكثرة، أو من الذَّرِّ: وهو التفريق أي تتفرق الأسر من كثرتها.

النسل: هو الولد لكونه ناسلاً، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السجدة:٨] .

السلالة : قيل: للوليد سليل؛ لأنه سلّ من أبيه وأمه.

شواهد قرآنية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون:١٢]

❁❁❁❁

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في الآية: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البقرة:١٣٧] لم اختص تعالى أداة الشرط (إن) وليس (إذا)؟

الجواب:

(إنْ) حرف شرط جازم، ولكنه يفيد الشك خلافاً لـ(إذا)، وقد جاء الشرط هنا في الآية بـ (إن) إيذاناً بأنّ إيمانهم غير مرجو وميؤوس منه.

السؤال الثاني:

ما إعراب الضمائر في قوله تعالى ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٣٧] ؟

الجواب:

فسيكفيكهم الله: الكاف مفعول أول؛ لأنّ (كفى) تأخذ مفعولين، (هم) مفعول ثانٍ، (الله) لفظ الجلالة فاعل، أي: فسيكفيك الله إياهم .

السؤال الثالث:

لماذا قدّم الله السمع على العلم في الآية ؟

الجواب:

حيث وقع في القرآن تقدم السمع على العلم ؛ وذلك لأنّ السمع يتعلق بما يقرب كالأصوات وهمس الحركات، فإنّ من سمع حسك وخَفِيَّ صوتك أقرَبُ إليك في العادة ممن يقال لك عنه : إنه يعلم، وإنْ كان علم الله متعلقاً بما ظهر وبطن وواقعاً على ما قرب وبعُد، فكان ذكر السمع أوقع في باب التخويف من ذكر العليم؛ فهو أولى بالتقديم .

ويمكن أنْ يقال : إن السمع من وسائل العلم فهو يسبقه .

﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة ﴿ صِبْغَةَ ﴾ في الآية ؟

الجواب:

الصبغة هي إدخال لون على شيء بحيث يغيره بلون آخر، والصبغ ينفذ في المصبوغ خاصة إذا كان المصبوغ له شعيرات ومسام كالقطن أو الصوف، أمّا الألياف الصناعية فلا يمكن أنْ تصبغ.

وأمّا الطلاء فهو طبقة خارجية تستطيع أنْ تزيلها مثل طلاء الأظافر للسيدات.

قال ﷺ : «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»

فكأنّ الإيمان صبغة موجودة بالفطرة، إنها صبغة الله فإنْ كان أبواه مسلمين ظل على الفطرة، وإنْ كان أبواه من اليهود أو النصارى فإنهما يهوِّدانه أو ينصرانه، أي: يأخذانه ويضعانه في ماء ويقولون صبغناه بماء المعمودية.

ويريد الله أنْ يبين أن ما يفعلونه من تعميد للطفل لا يعطي صبغة؛ لأنّ الإيمان والدين لا يأتيان من خارج الإنسان وإنما يأتيان من داخله، وبالتالي فإنّ إيمان غير المسلمين هو طلاء خارجي وليس صبغة، وهذا الطلاء من عندهم هم، أمّا ديننا فهو صبغة الله تعالى.

وهل هناك صبغة أحسن من صبغة الله؟ طبعاً: لا؛ لذلك فنحن له عابدون مطيعون لأوامره ومجتنبون لنهيه، هذه هي صبغة الله، إنها الصبغة التي تتخلل الشيء وتصبح هي وهو شيئاً واحداً لا يفترقان.

❁❁❁❁

﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الاستفهام في هذه الآية ؟

الجواب:

في قوله تعالى: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ [البقرة:١٣٩] استفهام ولكنه خرج عن دلالته الأصلية وهو الاستفهام عن شيء مجهول إلى التعجب والتوبيخ.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [البقرة:١٣٩] فلِمَ قال تعالى: (لنا أعمالنا) ولم يقل: (أعمالنا لنا) لا سيما أنَّ (لنا) متعلق بخبر محذوف للمبتدأ (أعمالنا)؟

الجواب:

قدّم تعالى الجار والمجرور: (لنا) على قوله: (أعمالنا) للاختصاص، أي: لنا أعمالنا الخاصة بنا ولا قِبَل للآخرين بها، فلا تحاجّونا في أنكم أفضل منا.

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا لا يذكر سيدنا إسماعيل مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في القرآن ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة[١٢٥].

❊❊❊❊

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾

السؤال الأول:

لماذا كررت﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ ﴾ في الآيتين ١٣٤ و ١٤١ في نفس السورة ؟

الجواب:

انظر الجواب في الآية [١٢٤]

❊❊❊❊

﴿ ۞ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما فائدة وصفهم بأنهم (من الناس) طالما كان ذلك معلوماً؟

الجواب:

السفهاء جمع سفيه، وهو صفة مشبّهة تدل على أنّ السفه غدا سجيّة من سجايا الموصوف، وهذه الصفة لا تُطلق إلا على الإنسان، فلِمَ قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٢] ولم يكتف بـ (سيقول السفهاء)؟ وما فائدة وصفهم بأنهم من الناس طالما كان ذلك معلوماً؟

إنّ فائدة وصف السفهاء بأنهم من الناس - مع كون ذلك معلوماً - هو التنبيه على بلوغهم الحد الأقصى من السفاهة بحيث لا يوجد في الناس سفهاء غير هؤلاء، وإذا قُسِّم الناس أقساماً يكون هؤلاء قسم السفهاء، وفي هذا إيماء إلى أنه لا سفيه غيرهم للمبالغة في وسمهم بهذه السمة.

❁❁❁❁

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾

السؤال الأول:

لِمَ جاء اسم الإشارة في صدر الآية في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣] ؟

الجواب:

صدّرت الآية باسم الإشارة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ لأنه يدل على البُعد للتنويه إلى تعظيم المقصودين وهم المسلمون، ومن هذا الباب قول أبي تمام:

كذا فليَجِلَّ الخطبُ وليفدحِ الأمرُ   فليس لِعَينٍ لم يَفِض ماؤُها عُذرُ

السؤال الثاني:

قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣] ما المقصود بالأمة الوسط؟

الجواب:

(وسطاً) معناها: خياراً أو عدولاً، والوسط بين الإفراط والتفريط يكون خياراً وعدولاً، وعندما تقول: هو من أوسطهم، أي: من خيارهم، وهذا ما ذكره أبو سفيان عندما سُئِلَ عن الرسول ﷺ قال: هو من أوسطنا، أي: من خيارنا وأحسننا. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣] أي: خياراً وعدولاً وبين الإفراط والتفريط، وهذا المقصود من معنى الوسطية.

السؤال الثالث:

ذكر العائد في آية الزمر: ١٨، فقال: ﴿هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر:١٨] ولم يذكره في آية البقرة: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾، ولم يذكره أيضاً في آية الأنعام: ٩٠، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

آيتا (البقرة ١٤٣ـ الزمر ١٨)

١ـ هذا نوع من الحذف، ومن المعلوم أنّ الذكر يفيد التوكيد، ولذلك يعتبر قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر:١٨] آكد من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٣]؛ لأنه صرّح بذكر الضمير.

٢ـ السياق في آية البقرة هو في تحويل القبلة، بينما السياق في آية الزمر يقتضي التوكيد أكثر؛ لأنها فيمن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وهؤلاء على درجة كبيرة من الهدى، فإنهم لا يكتفون باتباع الحسن وإنما يتبعون الأحسن .

٣ـ جاء معها بالفاء ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزُّمَر:١٨] ولم يأت بـــ (ثم)، والفاء تدل على الترتيب والتعقيب، فإنهم بمجرد سماع القول يتبعون الأحسن .

٤ـ في آية الزمر الفعل ﴿فَيَتَّبِعُونَ﴾ مضارع (اتبع) بتضعيف التاء، ولم يقل (يَتْبعون) بالتخفيف، وهذه مرتبة عظيمة أعلى من مجرد اتباع القبلة؛ لأنّ اتباع القبلة إنما هو من استماع القول في واحد من الأمور المطلوبة .

لذلك فإنّ هداية المذكورين في الزمر أعلى وآكد؛ لأنها تشمل ما ذكره في آية البقرة وغيره مما يريده الله تعالى، ولذا كان التوكيد في الزمر هو المناسب .

آية الأنعام :

١ـ وأمّا آية الأنعام فهي في جمعٍ من رسل الله وأنبيائه، وفيهم أولو العزم، ولا شك أنّ هؤلاء أعلى من المذكورين في آية الزمر.

ولكن إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يذكر الضمير مع فعل الهداية مع أنهم أولى بالتوكيد من غيرهم ؟

الجواب: أنّ الله تعالى ذكر كل أحوال الهداية مع هؤلاء الذين ذكرهم في سياق آية الأنعام، واستعمل كل أنواع التعدية لفعل الهداية، وبيان ذلك:

آ ـ عدّى الفعل إلى المفعول به مباشرة بأسمائهم الظاهرة، فقال: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ [الأنعام:٨٤] وعطف هؤلاء الرسل والأنبياء على نوح الذي هو مفعول (هدينا).

ب ـ ثم عدّى الفعل إلى ضميرهم أيضاً، فقال: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام:٨٧] فقال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [الأنعام:٨٧] وزاد على ذلك الاجتباء .

ج ـ ولم يكتف بذاك، بل قال أيضاً: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ﴾ [الأنعام:٩٠] وحذف مفعول (هدى) الضمير العائد على الرسل فجعل الكلام عن صورة المطلق فأطلق المعنى، وهذا التعبير يحتمل معنيين:

ـ الأول : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ﴾ [الزُّمَر:١٨] وهو الأظهر.

ـ الثاني : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ﴾ [الأنعام:٩٠] بهم.

ولا شك أنّ هذا المعنى الثاني أوسع من ذكر الضمير وأمدح لهم، وبذلك يكون ماذكره في آية الأنعام أكثر مما ذكره في آيتي الزمر والبقرة؛ لأنه ذكر فيها الهداية العامة المطلقة وذكر أنه هداهم إلى صراط مستقيم.

٢ـ كما أنه تعالى أسند فعل الهداية مع رسل الله مرة بواسطة ضمير التعظيم، فقال: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا﴾ [الأنعام:٨٤] وقال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [الأنعام:٨٧] ومرة أسنده إلى اسمه الجليل وهو اسمه العَلَم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ﴾ [الأنعام:٩٠] .

٣ـ هذا علاوة على ما ذكره من التعظيم لأنبيائه ما لم يذكره مع الآخرين، نحو قوله تعالى:

﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام:٨٦].

﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام:٨٧] فزاد الاجتباء على الهداية.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام:٨٩].

وقوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠].

٤ـ قد تقول: وَلِمَ لَمْ يحذف الضمير في آية الزمر فيقول مثلاً (أولئك الذين هدى الله) ليشمل الذين هداهم الله وهدى بهم فيكون أمدح لهؤلاء كما فعل في آية الأنعام ؟

والجواب أنّ ذكر الضمير ههنا من رحمة الله تعالى بنا، ولو حذفه لكانت البشرى لا تنال إلا من هداه الله وهدى به، فيكون ممن جمع بين الأمرين ولا تَنال من هداه الله ولم يَهد به، لذلك كان ذكر الضمير أنّ البشرى تنال من هداه الله، وأنّ ذلك كافٍ لأن تناله بشرى ربنا، وهذا من رحمته سبحانه بعباده، والله أعلم.

السؤال الرابع:

ما المقصود بالإيمان فى الآية ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣] ؟

الجواب:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما وُجّه النبي ﷺ إلى الكعبة،قالوا:يا رسول الله كيف لإخواننا الذين ماتوا وهم يصلّون لبيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وَمَا

كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ ﴾ [البقرة:١٤٣] . فالإيمان في الآية أُريد به الصلاة،والله سبحانه عدل عن ذكر الصلاة ولم يقل الصلاة وآثر أن يطلق الإيمان على الصلاة؛ للتنويه بعظم الصلاة وعظم قيمتها،فهي من أعظم أركان الإيمان.

السؤال الخامس:

ما دلالة التوكيد بـ (إنّ) واللام في هذه الآية:﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة:١٤٣] فى سورة البقرة وعدم التوكيد فى سورة النور ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور:١٩-٢٠] ؟

الجواب:

التوكيد بحسب ما يحتاجه المقام، مثلاً عندما يذكر الله تعالى النعم التي أنزلها علينا يؤكد ، وإذا لم يحتج إلى توكيد لا يؤكد، ولو احتاج لتوكيد واحد يؤكد بواحد.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة:١٤٣] أكّد باللام وإنّ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:١٩-٢٠] ما أكّد باللام .

في الآية الأولى كانوا في طاعة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة:١٤٣] ويقولون هذه الآية نزلت لمّا تحولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة تساءل الصحابة عن الذين ماتوا هل ضاعت صلاتهم؟ وهل ضاعت صلاتنا السابقة؟ سألوا عن طاعة كانوا

يعملون بها فأكدّ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾ [البقرة:١٤٣] أمّا في الآية الثانية فهم في معصية: ﴿يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ [النور: ١٩] فلا يحتاج إلى توكيد.

وفي تعداد النعم قال في آية الحج: ٦٥ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٦٥﴾ [الحج:٦٥] فأكد مع تعداد النعم .

ولذلك عندما يكونون في طاعة يؤكد، وعندما يكونون في معصية لا يؤكد.

❁❁❁❁

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۝١٤٤﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام (قَدْ) في هذه الآية علماً أنها تفيد التقليل؟

الجواب:

١ـ (قَدْ) إذا دخلت على الماضي تفيد التحقيق، وإذا دخلت على المضارع فلها أكثر من معنى، منها التقليل: (قد يصدق الكذوب)، لكنْ قد تأتي للتكثير والتحقيق مع دخولها على المضارع، غير أن المشهور عند الطلبة أنها إذا دخلت على المضارع تكون للتقليل، وهذا جانب من جوانب معانيها، لكنْ (قد) تكون للتقليل وقد تكون للتحقيق: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور:٦٤] أو للتكثير، ويضربون مثلاً بقوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة:١٤٤] أي: كثيراً ما تنظر إلى السماء.

٢ـ إذن (قد) إذا دخلت على الماضي تفيد التحقيق، وإذا دخلت على المضارع يكون من معانيها التقليل أو التحقيق أو التكثير.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ عبّر تعالى عن رغبة النبي ومحبته للكعبة بكلمة ﴿تَرْضَىٰهَا﴾ دون كلمة (تحبها) أو (تهواها)، لماذا؟

الجواب:

للدلالة على أنّ ميله ﷺ إلى الكعبة ميل لقصد الخير، بناء على أنّ الكعبة أجدر بيوت الله التي تدل على التوحيد، ولمّا كان الرضى مشعراً بالمحبة الناتجة عن التعقل اختار كلمة ﴿تَرْضَىٰهَا﴾ دون (تحبها) أو (تهواها)، فالنبي ﷺ يربو أنْ يتعلق ميله بما ليس فيه مصلحة راجحة للدين والأمة.

السؤال الثالث:

أكّد القرآن الكريم قضية تحويل القبلة ثلاث مرات في ثلاث آيات متقاربة في الآيات [١٤٤، ١٤٩، ١٥٠]، فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

أكّد القرآن الكريم قضية تحويل القبلة ثلاث مرات متقاربة؛ لأنّ تحويل القبلة أحدث هزة عنيفة في نفوس المؤمنين، والله سبحانه يريد أنْ يُذهب هذا الأثر ويؤكد تحويل القبلة تأكيداً إيمانياً؛ لذلك جاء القرآن بثلاث آيات التي هي أقل الجمع لتأكيد الأمر.

١ـ الآية [١٤٤] وجاءت للمُتَّجِه إلى الكعبة وهو في داخل المسجد، وفيها إعلام بنسخ استقبال بيت المقدس للرسول ﷺ ولأمته.

وهذه الآية جاءت استجابة لتقليب الرسول ﷺ وجهه في السماء كأنه يدعوه بلسان الحال، فجاءت هنا في بيان الاستجابة للرسول ﷺ بلسان الحال لا بلسان المقال.

٢ـ الآية ١٤٩، جاءت للمُتَّجِه وهو خارج المسجد، وكذلك لبيان السبب وهو اتباع الحق، ولذلك قال: (وإنه للحق من ربك).

٣ـ الآية ١٥٠، وجاءت للمتجِه من الجهات جميعاً، لا أنّ ذلك مخصوص بجهة المدينة المنورة فقط.

وهذه الآية هي رد على المنافقين واليهود والنصارى الذين حاولوا التشكيك في الإسلام، كما جاءت للتهوين من ثرثرة غير المسلمين والرد على احتجاجهم، فيقول لهم القرآن: إنّ تحويل القبلة ليس حجة للتشكيك؛ لأنّ الاتجاه إلى المسجد الحرام هو طاعة لأمر الله .

لذلك يقول القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ﴾ [البقرة:١٤٩] أي: أنّ ما فعلتموه أيها المؤمنون من تحويل القبلة هو حق جاءكم من الله تبارك وتعالى، فاطمئنوا أنكم على الحق واعلموا أنّ الله سبحانه محيط بكم في كل ما تعملون.

السؤال الرابع:

من أي الأدوات كلمة (حيثما) في قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا﴾ [البقرة:١٤٤] ؟

الجواب:

(حيثما) من أدوات الشرط، وهي تدل على المكان وتلزمها ﴿مَا﴾ [البقرة:١٤٤] إذا استعملت للشرط، كما في هذه الآية البقرة (١٤٤).

❀❀❀❀

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ﴾ [البقرة:١٤٥] ؟

الجواب:

اتباع القبلة مظهرٌ إيماني في الدين، وقوله تعالى ﴿وَلَئِنْ﴾ فهذا قسم، فكأنّ الحق تبارك وتعالى أقسم أنه لو أتى رسول الله ﷺ أهلَ الكتابِ بكل آية ما آمنوا بدينه ولا اتبعوا قبلته.

ولو كانوا يبحثون حقاً عن الدليل لوجدوه في كتبهم بأنه النبي الخاتم، فكأنّ الدليل عندهم ولكنهم يأخذون الأمر سفهاً وعناداً ومكابرة.

وقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ﴾ تفيد بأنّ المسلمين لن يعودوا مرة أخرى إلى الاتجاه نحو بيت المقدس ولن يحولهم الله إلى جهة ثالثة، ولكن يعلمنا الله سبحانه أنّ اليهود

والنصارى سيكونون في جانب ونحن سنكون في جانب آخر، وأنه ليس هناك التقاء بيننا وبينهم؛ فالخلاف في القبلة سوف يستمر إلى يوم القيامة.

وقول الحق: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة:١٤٥] المقصود به أمة الرسول ﷺ ولو كان الخطاب في شخصه ﷺ والسياق هو في التحذير من مهادنة أهل الكتاب، وإذا كان الله تبارك وتعالى لن يقبل هذا من رسوله وحبيبه فكيف يقبله من أي فرد من أمة محمد ﷺ؟!!

إنّ الخطاب هنا يمس قمة من قمم الإيمان التي تفسد العقيدة كلها، والله يريدنا أن نعرف أنه لا يتسامح فيها ولا يقبلها حتى ولو حدثت من رسوله - ولو أنها لن تحدث - ولكن لنعرف أنها مرفوضة تماماً من الله على أي مستوى من مستويات الإيمان، حتى في مستوى القمة، فأمة محمد تبتعد عن مثل هذا الفعل تماماً.

علماً بأن تبديل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة هو أول نسخ في القرآن الكريم.

السؤال الثاني:

إن قيل: كيف قال الله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ﴾ [البقرة:١٤٥] ولهم قبلتان: واحدة للنصارى والثانية لليهود؟

الجواب:

لما كانت القبلتان باطلتين مخالفتين لقبلة الحق كانت بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [البقرة:١٤٥] وقال في الآية: ١٢٠: ﴿بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [البقرة:١٢٠] ما السبب البلاغي في المغايرة بين التعبيرين (من بعد ما – بعد الذي)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة [١٢٠].

السؤال الرابع:

ما الدرس المستفاد من هذه الآية ؟

الجواب:

انظر الجواب في الآية [١٢٠].

❁❁❁❁

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾

السؤال الأول:

في هذه الآية عبّر الله تعالى بلفظ المعرفة، وقال: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ [البقرة:١٤٦] ولم يقل: (يعلمونه) لماذا؟

الجواب:

ذلك أنّ المعرفة غالباً ما تتعلق بالذوات والأمور المحسوسة، فأنت تقول عن شيء معين: إنك تعرفه، حينما يكون علمك به أصبح كالمشاهد له، وكذلك كانت معرفة أهل

الكتاب بصفات النبي ﷺ فهي لم تكن مجرد علم مستند إلى غيب، بل إنهم يعرفونه ويعرفون صفاته كأنهم يشاهدونه أمامهم قبل بعثته؛ لذلك عبّر بالمعرفة ولم يعبّر بالعلم.

السؤال الثاني:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ﴾ وقال في مواطن أخرى :﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾فما دلالة ذلك؟

الجواب:

هناك خط واضح في القرآن الكريم يتمثل في أنه إذا كان المقام مقام مدح وثناء أظهر الله تعالى ذاته ونسب إتيان الكتاب إلى نفسه، فيقول: ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة:١٤٦]

وإذا كان المقام مقام ذم وتقريع، قال: ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ .

❁❁❁❁

﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى في هذه الآية من سورة البقرة [١٤٧] وفي آية الأنعام [١١٤] وآية يونس [٩٥]: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ بينما قال في آية آل عمران [٦٠] :﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[آل عمران:٦٠] فما دلالة ذلك؟

الجواب:

القاعدة اللغوية :

يستعمل القرآن الكريم نون التوكيد بهدف التوكيد فيضعها في المكان الذي يحتاج إلى توكيد أكثر .

وهنا أكد الفعل (تكونن) في آية البقرة والأنعام ويونس دون آية آل عمران؛ وذلك لأنّ المقام يقتضي التوكيد في كل موطن أكّد؛ وبيان ذلك :

أولاً ـ الآيات :

آيات البقرة: ١٤٢ـ١٤٧:

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

آيات الأنعام ١١١ـ١١٦:

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ

ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ
أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ
مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾

آيات يونس ٩٤، ٩٥:

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾

آيات آل عمران ٥٩ـ٦٠:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

ثانياً ـ البيان :

١ـ آية البقرة في تبديل القبلة وما صاحب ذلك من إرجاف وأقاويل وإعلان حرب نفسية على المسلمين حتى ارتد بعض ضعاف الإيمان، انظر الآيات: ١٤٣-١٤٤، ثم ذكر أنّ أهل الكتاب لن يتوجهوا إلى قبلة المسلمين مهما جئتهم بالبينات والحجج الواضحة، ثم قرّر أنّ هذا هو الحق الذي لا مرية فيه، فاحتاج كل ذلك إلى التوكيد، فقال: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [البقرة:١٤٧] .

ـ وتقدمها كذلك في آية البقرة: ١٤٤ ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ﴾ فناسب ﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ .

٢ـ سياق آية الأنعام في تكذيب الرسول وعدم الإيمان به، انظر الآيات ١١١ و ١١٦ ، فاحتاج المقام إلى توكيد أنه على الحق وأنه عليه ألا يكون من الممترين فقال: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾.

٣ـ آية يونس لمّا قال: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ احتاج إزالة الشك إلى التوكيد، ثم انظر إلى المؤكدات في السياق :

آ ـ التوكيد باللام وقد ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾.

ب ـ التوكيد بالنون ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ وقوله ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾.

ج ـ التوكيد بـ(إنّ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:٩٦] فاقتضى ذلك التوكيد، إذ السياق كله مؤكد.

٤ـ أمّا في آية آل عمران فليس الأمر كذلك، فقد قال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [آل عمران:٥٩-٦٠] فلم يحتج الموطن إلى توكيد .

❊❊❊❊

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة تكرار لفظة في سورة البقرة ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ في الآيات ١٤٤،١٤٩،١٥٠؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٤٤.

السؤال الثاني:

الآية ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٤٩] **عطف** هذه الآية حكماً على حكم قبله، حيث بدأت الآيتان بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ [البقرة:١٤٩] أوليست الآية الثانية تغني عن الآية الأولى؟

الجواب:

في هذا تنبيه إلى كل مؤمن أنّ استقبال الكعبة في الصلاة لا تهاون فيه ولو في حالة العذر كالسفر؛ لأنّ السفر مظنّة المشقة للاهتداء لجهة الكعبة، فربما توهّم شخص ما أنّ الاستقبال يسقط عنه.

❊❊❊❊

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠)﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [البقرة:١٥٠] لِمَ قال: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٥٠] ولم يقل لئلا يكون للمشركين؟

الجواب:

ذكر تعالى الناس معرّفة بـ(أل)؛ وذلك حتى تستغرق هذه الكلمة الناس جميعاً مهما اختلفت مِلَلُهم، ولم يقتصر على ذكر المشركين الذين اعترضوا في ذلك الوقت على تحوُّلِ القِبلةِ وشكّكوا في النبيِّ ﷺ بسبب ذلك ، وكأن هذه الكلمةَ ﴿لِلنَّاسِ﴾ قد دلّت على أنّ استقبال القبلة سيدحَضُ أيَّ دعوة يزعمها إنسان في عصر من العصور بأنّ هذا الدين مُقتبسٌ من أيِّ دين قد سبقه، فالتوجه إلى الكعبة المشرفة مُبطِلٌ لمزاعم الناس المشكّكين كُلِّهم في كُلِّ زمانٍ وكُلِّ مكانٍ.

السؤال الثاني:

ذكر تعالى الياء في قوله: ﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ في آيةِ البقرةِ [١٥٠] وحذَفَها فقال: ﴿وَٱخْشَوْنِۚ﴾ في آيتي المائدة [٣]،[٤٤] ؟

الجواب:

١ـ هذا التعبير له نظائرُ في القرآنِ ﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ﴾ [مريم:٤٣]، ﴿ٱتَّبَعَنِۗ﴾ [آل عمران:٢٠]، ﴿فَكِيدُونِي﴾ [هود:٥٥]، ﴿كِيدُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، ﴿أَخَّرۡتَنِيٓ﴾ [المنافقون: ١٠]، ﴿أَخَّرۡتَنِ﴾ [الإسراء:٦٢] . أمّا ﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ أو ﴿وَٱخْشَوْنِۚ﴾ فوردت الأولى في آية سورة البقرة ١٥٠، والثانية وردت في آيتي المائدة [٣] ، [٤٤] .

عندما تحذِّرُ أحدهم التحذيرَ يكون التحذير بحسب الفِعلةِ؛ فقد تكون فِعلةً شديدةً، فمثلاً لو اغتاب أحدهم آخر تقول له: اتَّقِ ربَّك، وإنْ كان يريد أن يقتل شخصاً تقول له: اتَّقِ اللهَ.

فالتحذير يختلفُ بحسبِ الفعل، إذا كان الفعلُ كبيراً كان التحذير أشدَّ، وعندما يُظهِر الياء يكون التحذير أشدَّ في جميع القرآنِ و يكون الأمرُ أكبرَ.

٢ـ عندنا في آية البقرة ﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ [البقرة:١٥٠] إذن التحذير أكبرُ، ننظر السياق في الآية التي فيها الياء ﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ [البقرة:١٥٠] ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [البقرة:١٥٠] هذه في تبديل القِبلة فجاءت اخشوني بالياء؛ لأنه صار هناك كلام كثير ولغط وإرجاف بين اليهود والمنافقين حتى ارتد بعض المسلمين، هذا حصل عند تبديل القِبلة ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة:١٤٣] وهو أمر كبير لذا قال: ﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ [البقرة:١٥٠].

٣ـ الآية الأخرى في سورة المائدة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ﴾ [المائدة:٣] هذا يأس وذاك إرجاف، هذا الموقف ليس مثل ذاك، هؤلاء يائسون ؛ من أجل هذا صار التحذير أقل.

٤ـ وفي الآية الثانية: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟

ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة:٤٤] ليس فيها محاربة ولا مقابلة فقال: ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤] بدون ياء.

٥ـ إذن المواطن التي فيها شِدَّةٌ وتحذيرٌ شديدٌ أظهرَ الياء، والحذفُ في قواعدِ النحوِ يجوز، والعربُ تخفِّفُ من الياء، لكنّ الله سبحانه وتعالى قرنها بأشياءَ فنية.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [البقرة:١٥٠] كيف يكونُ للظالمين من اليهود أو غيرهم حُجَّةٌ على المؤمنين ؟

الجواب:

المعنى هو : إلا أنْ يقولوا ظلماً وباطلاً، فسمَّى الله باطلَهم حُجَّةً لمشابَهتِه الحجة في الصورة، كما قال تعالى في سورة الشورى: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ [الشورى:١٦] أي: باطلة، وقال: ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر:٨٣] .

وقيل: إنّ المراد به قول المشركين : قد عاد محمد إلى قبلتنا، لعلمه أنّ ديننا حق وسوف يعود إلى ديننا.

السؤال الرابع:

ما إعراب ﴿لِئَلَّا﴾ في الآية ؟

الجواب:

اللام حرف جر، و(أنْ) حرف مصدري ونصب، و(لا) حرف نفي .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ ﴾

السؤال الأول:

ما سبب اختلاف الفاصلة في الآيتين [٤٥،١٥٣] ؟

الجواب:

انظر الجواب الثاني في الآية [٤٥].

السؤال الثاني:

ما دلالة ورود الأمر بالصلاة بين آيات خطاب بني إسرائيل أو آيات الجهاد أو آيات الطلاق ؟

الجواب:

انظر السؤال الثالث في آية البقرة [٤٥]

❊❊❊❊

﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ﴾ [البقرة:١٥٥] هل لهذا الترتيب وجه بلاغيٌّ؟ علماً بأنّ هذا الترتيب ورد بصورة أخرى في آية النحل[١١٢] وآية قريش [١] ؟

الجواب:

ورد اجتماع الجوع والخوف معاً في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم وبصور مختلفة:

١ـ في آية البقرة [١٥٥] قدّم الخوف؛ لأنَّ الآيةَ تتكلَّمُ عن قتلٍ وقتالٍ، وفي المعركة لا يفكر الإنسان بالجوع، وإنما يفكِّرُ في ذهابِ النفس فقدّم الخوف.

والباقي: ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة:١٥٥] مناسِبٌ فقدَّمَ الأموال وقال: نقص من الأموال، أي: نقص يذهب به منها شيء، وليس في الأموالِ؛ لأنها تعني نقص في داخلها.

٢ـ في آية النحل [١١٢] قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل:١١٢] فالكلام في سياق الأطعمة انظر آيات النحل (١١٤،١١٥) وعن الرزق، والرزق يناسبه الجوع فقدّم الجوع، وتقديم الجوع هنا مراعاة للإذاقة في الآية .

٣ـ في سورة قريش، الكلام عن التجارة والأموال، وأصل تجارتهم كانت طعاماً، فقدّم الجوع على الأمن.

وهذا التقديم مناسب لتقديم الشتاء على الصيف في السورة، فالشتاء الطعام فيه أولى ، وفي الصيف التجارة والسفر فيه أولى، والسفر فيه مخاطر فناسبه الخوف.

٤ـ إنّ آية البقرة في سياق ابتلاء المؤمنين وليست هي من باب العقوبات، بخلاف آية النحل فإنها في عقوبات الكافرين.

ومعلوم أنّ الجوع أشدُّ من الخوف في العقوبات فقدّم ما هو أشد. والله أعلم.

السؤال الثاني:

ما دلالة كلمة ﴿بِشَيْءٍ﴾ في الآية ؟

الجواب:

١ـ لاحظ كيف جاء الله تعالى بكلمة﴿بِشَيْءٍ﴾ فقال: ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾ [البقرة:١٥٥] ولم يقل: (لنبلونكم بالخوف والجوع) وفي ذلك لفتتان جميلتان:

آ ـ الأولى أنه ذكر كلمة (شيء) قبل (الخوف) فيه تخفيفٌ من وقع هذا الخبر المؤلم للنفس، فلا أحد يرغب أنْ يكون خائفاً أو جائعاً، فخفّف الله تبارك وتعالى عنا هذا الخبر بأنّ الابتلاء يكون بشيء من الخوف والجوع، وليس بالخوف كله أو بالجوع كله.

ب ـ والثانية إشارة إلى الفرق بين الابتلاء الواقع على هذه الأمة المرحومة وما وقع من ابتلاء على الأمم السابقة، فقد سلّط الله تعالى الخوف والجوع على أمم قبلنا، كما أخبرنا في قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل:١١٢] ولذا جاء هنا بكلمة ﴿بِشَيْءٍ﴾ [البقرة:١٥٥] وجاء هنالك بما يدل على الملابسة والتمكن، وهو أنه استعار لها اللباس اللازم مما يدل على تمكن هذا الابتلاء فيها وعِظَم وقعه عليها، وقد خُفِّف عنا والحمد لله.

٢ـ انظر في لطائف القرآن كيف أسند البلوى لله سبحانه وتعالى فقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ [البقرة:١٥٥] وأسند البشارة بالخير الآتي من قِبَل الله تعالى إلى الرسول ﷺ

فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ [البقرة:١٥٥] تكريماً لشأنه وزيادةً في تعلّق المؤمنين به ﷺ بحيثُ تحصل خيراتهم بواسطته دون أنْ يصيبهم أي مكروه بسببه ﷺ .

❁❁❁❁

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾

السؤال الأول:

ما أصل كلمة مصيبة؟وكيف تكون المصيبة خيراً كما في الآية ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء:٧٩] ؟

الجواب:

١ـ المصيبة مشتقة من جذر (ص و ب) ومنه صارت أصابَ (أَفعَلُ) يُصيبُ، وهذه النازلة مصيبة، و لها معانٍ متعددة كلها تدور حول معنى الإنزالِ، ومنه الصَّيِّب الذي هو المطر وفيه معنى النزول.

والشيءُ الذي ينزل على الإنسان قد يكون خيراً أو شرّاً، مثل المطر قد يكون نافعاً أوضاراً، لكنّ كلمة مصيبة صار لها خصوصية، والعربي صار لا يستعملها إلا في السوء.

وكلمة مصيبة (مُفعِلة) من أصاب مثل كلمة (نازلة) يعني القضية التي نزلت عليها، والمصيبة صارت مخصصة لما يسيء الإنسان، أي ما يصيبه من مصيبة في ظاهر الأمر ويراه سوءاً له، وفي الحديث «**عجباً لأمر المؤمن، إنّ أمره كله له خير**» وفي حديث البخاري «**من يُرد الله به خيراً يُصِب منه**» أي: يمتحنه فيصبّره فيصبر فترتفع درجته، ففي كل الأحوال يكون له خيراً فإذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أي: نحن لله سبحانه وتعالى.

والمصيبة هنا بمعنى ما تراه ضرراً، والقرآن الكريم جاء على أساليب العرب، أو إذا عكسنا الأمر فإنّ أساليب العرب ارتقت شيئاً فشيئاً إلى أنْ جاءت إلى لغة القرآن الكريم.

السؤال الثاني:

هل هناك لمسة بيانية في طريقة استعمال القرآن نفس الفعل مع الحسنة والسيئة ﴿تُصِبْكَ﴾ مع أنّ كلمة مصيبة حدد الدلالة الخاصة بها مع الشيء السيء ؟

الجواب:

القرآن على لغة العرب، والعرب كانوا يستعملون المصيبة، وأصل الاستعمال في المصيبة هي الرمية الصائبة للسهم، والرجل إذا اجتهد فأصاب فهو مصيبٌ والمرأة يقال: أصابت، إذن الإصابةُ يمكن أن تُستعمَلَ للحسنةِ (ما أصابك) أي: ما نالك ونزل بك، هذا في لغة العرب أما (المصيبة) فهي مخصصة.

السؤال الثالث:

كيف نُسبت الحسنةُ إلى اللهِ والمصيبةُ إلى نفسك في الآية ؟

الجواب:

١ـ مردّ الأمور جميعاً هي إلى الله سبحانه وتعالى، والإنسان يقدم أسباب الوصول إلى الحسنة ويقدم أسباب الوصول إلى السيئة، ولا يكون وصوله إلى الحسنة أو السيئة إلا بأمر الله سبحانه وتعالى.

٢ـ قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ١٠﴾ [البلد:١٠] والله لا يُسأل عما يفعل في مُلكِه، والكون كله ملك الله سبحانه وتعالى؛ ولذلك ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء:٢٣] فهو قادر على أنْ يهدي الجميع، وقادر على أن يضل الجميع.

٣ـ حينما يجعلك تختار طريقك هو شاء لك أنْ تختار أو أنت صارت لك مشيئة من ذاتك؟ الله يشاء ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠] وشاء الله عز وجل لهذا الإنسان أنْ ينظر في الطريقين وفق ما يبيّنه الله سبحانه وتعالى من لطفه وكرمه وإلا فالمفروض أنّ العقل يوصله، ومع ذلك أرسل الرسل ومعهم الكتب وبيّن طريق الهداية وطريق الضلال، وبالتالي فالطريق الذي يسلكه الإنسان هو في الأصل في خانة مشيئة الله سبحانه وتعالى التي اختارت له هذا الطريق.

٤ـ قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٧٩] لأنك أنت سعيت وقدّمت لكن ما كان لك أن تصل للحسنة حتى يرضاها الله تعالى، فذكر تعالى الأصل لأنه مرتبط بالحسنة. أنت سعيت نحو الحسنة وشاء الله سبحانه وتعالى أنْ تفعلها، قدّمت وشاء لك ففعلت، والحسنة تُنسب إلى الله تعالى، والسيئة أيضاً سعيت وشاء الله تعالى لك أنْ تصل إليها، ولو أراد الله ما وصلت لكنْ الأمر يبقى منحصراً بك؛ لأنك سعيت.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ١٠﴾ [الجن:١٠] الخير معقود لله تعالى دائماً على أننا نؤمن بالقدر خيره وشره من الله سبحانه وتعالى، فنسبت الحسنة إلى الله تعالى وحصرت السيئة بنفسك، مع أنّ نفسك سعت في الحسنة وسعت في السيئة، وفي الحالين كانت بالمشيئة، وهذا تعليم للمسلم كيف يتأدب مع الله

سبحانه وتعالى، وأنْ ينسب الخير لله وأنْ ينسب السوء لنفسه، ولذلك نجد علماءنا يقولون عندما يكتبون: هذا ما وصل إليه اجتهادي فإنْ كان خيراً فمن الله تعالى وإنْ كان شراً فمن نفسي ومن الشيطان، وهذا من الأدب مع الله سبحانه وتعالى.

السؤال الرابع:

ما العظة في قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة:١٥٦] ؟ وما الفرق بين الأفعال (آب ـ رجع ـ عاد)؟

الجواب:

١ـ ليس في القرآن ولا في نصوص اللغة العربية الفصيحة جملة أندى وأسمح وأطيب من هذه الجملة، يقولها المؤمن لنفسه ويقولها المؤمن لغيره إذا ألمت به مصيبة الموت، فتقع في قلب المرء المؤمن بلسماً شافياً وعزاء جميلاً وبرداً وسلاماً.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٥٦] إقرار منا له بالملك، وقوله: ﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦] إقرار على أنفسنا بالهلاك، ويدل كلا القولين على الرضا بقضاء الله تعالى.

واعلم أنّ الرجوع إليه ليس عبارةً عن انتقالٍ إلى مكانٍ أو جهةٍ فإنّ ذلك على الله محالٌ، بل المراد أنه يصير إلى حيث لا يملك الحكم فيه سواه، وذلك هو الدار الآخرة.

أمّا النتيجةُ إذا قام العبد بذلك فهي قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة:١٥٧] والصلاة هنا من الله بمعنى الثناء والمدح، وأمّا رحمة الله فهي نعمه التي أنزلها عاجلاً أم آجلاً، وأمّا الهداية فهي هداية الله إلى كل خير وإلى الجنة والفوز بالثواب.

٢ـ ورد في القرآن ثلاثة أفعال ربما ظن الناس أنها بمعنى واحد وهي ـ آب ـ رجع ـ عاد :

الفعل (آب): وقد استعمل في القرآن بمعنى مصدره (إياب) وبصيغ المبالغة (أوّاب)، أمّا قلبُ الفعلِ، أي باء)، فقد استخدم في القرآن في خمسة مواضع في مجال الشر والسوء، كما في الآيات: البقرة ٦١، آل عمران [١٦٢].

الفعل (عاد):

إذا كان الفعل مسنداً للإنسان نفسه، فإنه يستخدم كثيراً في النواحي السلوكية والفكرية، أي: العودة في المواقف وفي التصرفات كما في الآيات: البقرة [٢٧٥]، النور [١٧].

الفعل (رجع):

فهو بمعنى الرجوع الشخصي، أي: رجوع الناس إلى المكان الذي كانوا فيه من قبل، وقد ورد الفعل (عاد)، ومشتقاته مثل: (رجعتم) (ارجعوا) (راجعون) (الرجعى) (يرجعون) في القرآن الكريم في ١٠٤ موضعاً، وفي معظمها كان الرجوع فيها إلى الله.

وهذه حقيقة قرآنية ينبغي التنبه لها؛ ذلك أنّ المرء يعيش حياته هذه وسيعقبها الموت فالبعث فالنشر فالقيامة فالحساب فالجزاء ، قال تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾﴾ [غافر:١١].

فالمرء كان عند الله عز وجل عندما خلقه الخلق الأول وأشهده على نفسه ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف:١٧٢].

وميثاق عالم الذَّرِّ أخذه الحق سبحانه والبشر جميعاً في ظهر آدم عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم قبل أنْ تأتيهم شهوات النفس المعارضة لمنهج الله تعالى.

وهذا العهد فطري في النفس الإنسانية، وما جاءت الأديان إلا لتنفض عن هذه الفطرة غبار الغفلة وغبار الشهوات، فأتت الرسل للتذكير بهذا العهد الفطري القديم.

ثم يشاء الله تعالى أنْ يُخلق كلَّ امرىءٍ مرة أخرى، ثم يحيا حياته ثم يرجع إلى ربه يخرج من هموم الدنيا إلى رحمة ربه ورضوانه.

فما أسعده غداً إنْ كان من المؤمنين! وما أطيبه صبراً وعزاء أنْ نهتف بقلب مؤمن ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة:١٥٦] !.

❋❋❋❋

﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨ ﴾

السؤال الأول:

ما مضمون الآية باختصار ؟

الجواب:

الصفا والمروة من شعائر الله، وليس معنى الآية أنها شعيرة يمكن أن يفعلوها ويمكن ألا يفعلوها، بل المعنى أنهم كانوا يريدون أنْ يتركوها؛ لأنهم كانوا يحسُّون أنها من أعمال الجاهلية.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين التعبيرين في القرآن الكريم ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ و﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾ ؟

الجواب:

١ـ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ جملة اسمية، ﴿لَا﴾ النافية للجنس وجناح اسمها، وخبرها جار ومجرور ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾.

بينما (ليس عليكم جناح) جملة فعلية، والقاعدة العامة أنّ الجملة الاسمية أقوى من الفعلية؛ لأنها دالة على الثبوت؛ لأنّ الاسم يدل على الثبوت، والفعل يدل على الحدوث والتجدد، والوصف بالاسم أقوى وأدوم من الوصف بالفعل.

و﴿لَا﴾ أقوى في النفي من ﴿لَّيۡسَ﴾ والنفي درجات، واللغة العربية سهلة ولكنها واسعة تعبر عن أمور كثيرة لا يمكن للغات أخرى أن تعبر عنها، وأدوات النفي لها دلالاتها.

٢ـ الاستعمال القرآني للتعبيرين:

آـ التعبير ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة:١٥٨].

تستعمل فيما يتعلق بالعبادات بما فيها الصلاة والعمرة والحج والجهاد وتنظيم الأسرة وشؤونها والحقوق والواجبات الزوجية والأمور المهمة:

شواهد قرآنية:

ـ ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [البقرة:١٥٨] هذه عبادة.

ـ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾ [البقرة:٢٢٩].

ـ ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة:٢٣٠].

- ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ﴾ [البقرة:٢٣٣] .

- ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ﴾ [البقرة:٢٣٤] .

- ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ ۚ﴾ [البقرة:٢٣٥].

- ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ﴾ [البقرة:٢٣٦].

- ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ﴾ [البقرة:٢٤٠].

وهذه الآيات كلها في الحقوق وفي شؤون الأسرة.

ب ـ التعبير ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ [البقرة:١٩٨].

وتستعمل فيها دون ذلك من أمور المعيشة اليومية، كالبيع والشراء والتجارة وغيرها مما هو دون العبادات في الأهمية.

شواهد قرآنية :

- ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ﴾ [البقرة:١٩٨] هذه في التجارة ليست فى العبادة.

- ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ﴾ [البقرة:٢٨٢] في كتابة الدين في التجارة.

- ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ﴾ [النور:٢٩] .

- ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور:٦١] في الأكل.

- ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾ [الأحزاب:٥] في نسب الأولاد لآبائهم.

ج ـ وقد ورد في القرآن الكريم آيتان متتابعتان كل منهما تحتوي على إحدى الجملتين وهما في سورة النساء: ١٠١- ١٠٢.

الآية: ١٠١، فيها: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ [النساء:١٠١]، وسياق الآية في الضرب في الأرض للتجارة.

الآية: ١٠٢، فيها: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:١٠٢]، وسياق الآية في الصلاة خلال الحرب.

ولا شك أنّ الصلاة أكثر أهمية من التجارة.

د ـ كان عروة بن الزبير قد فهم من قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة:١٥٨] أنّ السعي ليس بركن، فردت عليه عائشة رضي الله عنها ذلك وقالت: لو كان الأمر كما قلت لقال: فلا جناح عليه (ألاّ يطوف بهما).

وثبت أنّ طائفة من الناس كانت تطوف بين الصفا والمروة قبل الإسلام للأصنام، فلما جاء الإسلام كرهوا الفعل الذي كانوا يشركون به، فرفع الله ذلك الجناح من قلوبهم وأمرهم بالطواف.

السؤال الثالث:

ما الأصل اللغوي لـ: (الصفا) (المروة) (شعائر الله) التي وردت في هذه الآية ؟

الجواب:

الصفا: من صفا يصفو، وهو الحجر الذي لا يخالطه غيره من شوائب، وهو الحجر الضخم الصلب الأملس.

المروة: هي الحجارة البيضاء شديدة الصلابة الملساء.

شعائر الله: النسك أو العبادات، والمراد أنّ السعي بين الصفا والمروة من دين الله تعالى، أمّا الصفا والمروة فهما علمان لجبلين مخصوصين، ولا يصح وصفُهما بأنهما دينٌ ونسكٌ، وإنما المراد السعي بينهما.

السؤال الرابع:

لم عبّر السياق بكلمة ﴿يَطَّوَّفَ﴾ [البقرة:١٥٨] بالتشديد ولم يقل: يطوف؟

الجواب:

١ـ قوله: ﴿يَطَّوَّفَ﴾ [البقرة:١٥٨] أصله: يتطوف، فأدغمت التاء في الطاء.

٢ـ في ذلك دليل على مزيد اعتناء بهذه الشعيرة من شعائر الحج، وحثٌّ على الازدياد من السعي بين الصفا والمروة والازدياد من هذا الخير كلٌّ بقدر طاقته واستطاعته؛ لأنّ الحرف المشدد يفيد المبالغة .

السؤال الخامس:

ما الفرق بين الفاء والواو العاطفتين في بعض آيات القرآن في سورة البقرة نحو الآيتين (١٥٨و ١٨٤) والآيتين (٢٦٢ و ٢٧٤)؟

الجواب:

الفاء كما هو معلوم للتعقيب مع السبب، والتعقيب بمعنى أن يأتي بعدها مباشرة، في عقب الشيء.. والفاء تفيد التعقيب وتأتي للسبب أي سببية نحو: درس فنجح، أو هذه أحد الأسباب، درس فنجح.

أمّا الواو فهي لمطلق الجمع ولا تدل على ترتيب أو تعقيب، والواو ليس فيها سبب.

الآيتان [١٥٨، ١٨٤]: قال تعالى:

ـ ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [البقرة:١٥٨].

ـ ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [البقرة:١٨٤] والسؤال لماذا قال في الأولى﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ وفي الثانية ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ﴾؟.

والجواب: أنّ الأولى في الحج والعمرة فقال: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ أي: من جاء بعبادة أخرى كطواف آخر،أو بحج آخر،أو بعمرة أخرى، بعبادة أخرى مستحدثة وليس نفس العبادة، فناسب الواو .

أمّا الآية الثانية فهي في الصيام فقال: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ ﴾ [البقرة:١٨٤] كيف يتطوع؟ أي: يزيد في الفدية في نفس المسألة وفي نفس الطاعة، فهي ليست طاعة مستحدثة؛ لأنّ هذه فدية، وكيف يتطوع أكثر؟ مكان مسكين مسكينان، فجاء بالفاء.

الأولى عبادة أخرى مستحدثة، أمّا هذه فنفس العبادة، لذا جاءت واحدة بالواو والثانية بالفاء.

الآيتان [٢٦٢-٢٧٤]: قال تعالى :

ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٢].

- ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة:٢٧٤].

والسؤال : لماذا جاء بالفاء في الثانية ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة:٢٧٤] دون الأولى ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة:٢٦٢] ؟

والجواب: أنّ الفاء واقعة في جواب اسم الموصول، وهنا الاسم الموصول مشبّه بالشرط، واسم الموصول أحياناً يشبّه بالشرط بضوابط فتقترن الفاء في جوابه كما تقترن بجواب الشرط، وكل واحدة لها معنى.

ومثال ذلك عندما تقول: الذي يدخل الدار له مكافأة، والذي يدخل الدار فله مكافأة.

الأولى فيها احتمالان :

آ ـ إمّا أنه له مكافأة بسبب دخوله الدار، كأن الدار مقفلة وهو يفتحها، أي: أنّ المكافأة مترتبة على دخول الدار.

ب ـ وإمّا أن يكون للشخص الذي يدخل الدار له مكافأة بسبب آخر، إذن فيها احتمالان عندما لا تذكر الفاء.

وإذا ذكرت الفاء فلا بدّ أنّ المكافأة مترتبة على الدخول قطعاً وليس لأي سبب آخر، وهذا تشبيه بالشرط، أي: أنّ المكافأة شرط الدخول في الدار.

لذلك نقول: أنه في جواب اسم الموصول يوجد احتمالان لتشبيه جواب الموصول بالشرط :

آـ إمّا أن يكون السبب بمعنى أداة الشرط.

ب ـ وإمّا لزيادة التوكيد.

السؤال السادس:

قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ [البقرة:١٥٨] كلمة (جناح) من بعض كلمات منظومة رفع الحرج أو رفع المسؤولية، فما هذه المنظومة في القرآن ؟

الجواب:

هذه بعض كلمات منظومة رفع الحرج أو رفع المسؤولية، وهي تعالج الشعور بالحرج أو الخوف أو التردد.

ومراحل الشعور ثلاثة: مرحلة الإدراك ـ مرحلة الوجدان ـ مرحلة النزوع؛ أمثلة على ذلك:

ـ الصلاة: إدراك أنها ركن لا بدّ من فعله ـ معرفة أهميتها وأجرها وعقوبة تاركها ، وهذا وجدان ـ إقامة الصلاة ، وهذا نزوع.

ـ امرأة العزيز: إعجاب بجمال يوسف، وهذا إدراك ـ بدأت تحبه، وهذا وجدان ـ الهمُّ به، وهذا نزوع.

لا تثريب :

هي نفي القلق الناتج عن الشعور أنّ المسؤولية وقعت على شكل غير مرضٍ، فلا تثريب: أي لا تعيير ولا تعييب . ﴿لَا تَثْرِيبَ﴾ [يوسف:٩٢].

لا جُناح :

عندما تأتي مرحلة الوجدان وأنت تشك في أنك فعلت شيئاً خطأً كأنْ تخطب امرأة وهي في فترة العدة، وفي آية البقرة [١٥٨] حيث كان المسلمون يجدون حرجاً في الطواف حول الكعبة أو السعي بين الصفا والمروة؛ لأنهم كانوا يفعلون ذلك قبل الإسلام، فرفع الله عنهم هذا الخوف والقلق عنهم. ﴿وَلَا جُنَاحَ﴾ [البقرة:٢٣٥].

لا ضير:

عندما يُنتقص حقك فتقول: لا ضير، أي تنفي أن يكون حظك قد انتقص، التي معناها أننا سنموت ونُبعث وكل ما ستفعله سيكون في صالح أعمالنا. ﴿لَا ضَيْرَ﴾ [الشعراء:٥٠].

ليس عليك هداهم : كان الرسول ﷺ يشعر باليأس من نتائج محاولاته المتكررة ليُسلِمَ أقارِبُه، فقال له الله: إياك وهذا الشعور؛ لأنهم لا يستحقون ذلك . انظر الآيات : ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ﴾ [البقرة:٢٧٢] الأنعام[٣٥] .

لا تكن في ضيق : نهى الله رسوله ﷺ عن الشعور بالضيق مهما كان صغيراً، والضيق هو غاية الحزن الذي يسيطر على الإنسان حتى يتعبه ويصبح أسيراً له. ﴿وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ﴾ [النمل:٧٠].

اللوم : اللوم هو العذل الذي يعقب كل فعل ناقص أو خاطىء. ﴿بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الذاريات:٥٤].

لا جرم : أي: هذا حق وليس ظلماً. ﴿لَا جَرَمَ﴾ [هود:٢٢] .

الحرج : الحرج هو آخر الضيق، وهو المكان الضيق جداً بحيث لا يستطيع شيء أن ينفذ من خلاله، فالحرج لغة هو: ملتقى الشيئين المجتمعين المنطبقين، واستعملت هذه الكلمة في الضيق الناتج عن القلق عن فعل الإنسان في مرحلة الوجدان أو النزوع، وليس في مرحلة الإدراك ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة:٦] و [الحج:٧٨].

❁❁❁❁

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٥٩] في هذه الآية، وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦١] ؟

الجواب:

يلعن: فعل، والفعل يدل على الحدوث والتجدد، أمّا اللعنة فهي اسم، والاسم يدل على الثبوت.

في الآية الأولى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة:١٥٩] اللعنة تستمر ما داموا يكتمون ما أنزل الله وهم ما زالوا أحياء، وهؤلاء المذكورون في الآية يكونون ملعونين ما داموا لم

يتوبوا وكتموا ما أنزل الله، أمّا إذا تابوا عما فعلوا فقد يغفر الله لهم؛ ولهذا جاء بالصيغة الفعلية ﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾.

أمّا الآية الثانية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [البقرة:١٦١] فالمذكورون في الآية هم الذين كفروا وماتوا، أي: هم أموات وقد حلّت عليهم اللعنة فعلاً وانتهى الأمر، ولا مجال لأنْ يتوبوا بعدما ماتوا، ولهذا جاء بالصيغة الاسمية فقال: ﴿عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾؛ لأنها ثابتة ولن تتغير لأنهم ماتوا على الكفر.

❁❁❁❁

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استخدام الفعل الماضي والمضارع في الآية ؟

الجواب:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

١ـ الفعل المضارع يدل على الحال والتجدد والاستقبال والفعل الماضي فيما مضى، هذا هو الأصل.

وقد يحتمل معنى المضي والاستقبال فى الأفعال الماضية كما في هذه الآية ﴿تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة:١٦٠] وتدل على احتمال الاستقبال؛ لأنها جاءت بعد الكتمان ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] .

٢ـ وزمن الفعل الماضي بعد الاسم الموصول يحتمل المضي ويحتمل الاستقبال، وهنالك أمور قطعية وهنالك أمور تبقى مشتركة.

٣ـ وأمّا (كان) فلها أزمنة خاصة بها فهي تفيد الاستمرارية (كان ولا يزال) وتأتي أصلاً للاستقبال، كما في وصف الآيات للآخرة ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ [النبأ:١٩] وفي الحديث عن الله تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٠﴾ [النساء:١٠٠] فهي تدل على كونه غفوراً رحيماً وهذا كونه سبحانه.

السؤال الثاني:

قوله تعالى في الآية: ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البقرة:١٦٠] ولم يقل مثلاً: (والله تواب رحيم) ، فما الدلالة التي تضفيها لفظة ﴿وَأَنَا﴾ [البقرة:١٦٠] ؟

الجواب:

(أنا) من معطيات الأمل والرجاء لمن يلفتهم الله تبارك وتعالى إليه ويتجلى عليهم بذاته، ففي هذه الكلمة ما لا نجده في تعبير آخر في هذا المقام، وكم نجد في الواو العاطفة في قوله ﴿وَأَنَا﴾ من قوى الجذب لهؤلاء الضالين الظالمين، وكذلك وصف الله سبحانه وتعالى نفسه التواب ولم يقل :(الغفور) في هذه الآية، لما في كلمة التواب من المبالغة في الرحمة والتوبة مما يُرغِم الناس بالمبادرة والعودة إلى الله سبحانه وتعالى مهما عظمت ذنوبهم وكثرت خطاياهم، وفي هذه الكلمة ما يجذب الناس جذباً إلى التوبة والإنابة طمعاً في توبة الله تبارك وتعالى عليهم ورحمته بضعفهم وزللهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٥٩] وقوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦١] ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة [١٥٩].

❀❀❀❀

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

السؤال الأول:

لدينا في القرآن تعبيران ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ كما في هذه الآية و﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ هل ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ فيها أمل بالغفران، أو الانتقال من مرحلة إلى أخرى؟

الجواب:

١ـ هناك قاعدة في القرآن الكريم سواء في أهل الجنة أو في أهل النار، إذا كان المقام مقام تفصيل الجزاء أو في مقام الإحسان في الثواب أو الشدة في العقاب يذكر (أبداً)، وإذا كان في مقام الإيجاز لا يذكرها.

٢ـ هناك آيات كثيرة فيها (خالدين) وحدها ، وليس في العقيدة أنهم يغفر لهم، نحو قوله تعالى :

ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة: ١٦١ ، ١٦٢] ومسألة وجود أوعدم وجود ﴿أبداً﴾ ليس لها علاقة بالخلود الدائم.

٣ـ (أبداً) ظرف زمان خاص بالمستقبل فقط وليس له دلالة زمنية معينة، ونحن نستعمل (قطّ) للماضي و(أبداً) للمستقبل، وخطأ أن نقول :ما رأيته أبداً ، وهذا خطأ لغوي شائع، نقول: لا أكلمه أبداً، وما رأيته قطّ. لأنّ (أبداً) للمستقبل الذي ليس له نهاية.

٤ـ هناك أمران:

آـ إذا كان هناك تفصيل في الجزاء يقول: ﴿أَبَدًا﴾ وتفصيل الجزاء هو سواء في العقاب أو الثواب.

و﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أطول من ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [النساء:٥٧] فيذكرها مع التفصيل.

ب ـ أو كون العمل المذكور يستوجب الشدة فيستخدم ﴿أَبَدًا﴾ .

٥ـ ﴿أَبَدًا﴾ لا تحمل معنى التأبيد الدائم أو عدم الخروج؛ لأنّ الخلود وحده يحمل هذا المعنى. والقرآن يستعمل خالدين لأهل الجنة وأهل النار، والخلود لغوياً يعني البقاء أو الزمن الطويل على ما يقول بعضهم.

٦ـ وقد وردت (خالدين فيها أبداً) في أهل الجنة ٨ مرات في القرآن الكريم، ووردت في أهل النار ٣ مرات، وهذا من رحمته سبحانه وتعالى؛ لأنّ رحمته سبقت غضبه، والخلود عند العرب تعني المكث الطويل وليس بالضرورة المكث الأبدي.

السؤال الثاني:

ما الفرق بين استخدام كلمة ﴿يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [البقرة:٨٦] وكلمة ﴿يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ في آية البقرة [١٦٢] وآية آل عمران[٨٨] ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة [٨٦].

❁❁❁❁

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

السؤال الأول:

مادلالة قوله تعالى في الآية ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ﴾ [البقرة:١٦٤] ؟

الجواب:

تأمل كيف قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ﴾ [البقرة:١٦٤] فاستخدم كلمة تصريف للدلالة على أحوال الرياح، ولم يستخدم كلمة أخرى كالهبوب مثلاً؛ ذلك لأنّ هذه الكلمة لا يمكن أنْ يؤدي معناها أي كلمة أخرى، فقد جمعت أحوال الرياح التي يحتاج إليها الإنسان، وفي كل حالة من أحوالها آية من آيات وجود الخالق وعظيم قدرته سبحانه، فهبوب الريح مثلاً يحتاج إليه أهل موضع لتخفيف الحرّ عنهم، وقد يحتاج أهل

موضع آخر إلى اختلاف هبوبها لتجيء رياح رطبة بعد رياح يابسة، أو تهب من جهة الساحل مسيّرةً السفن إلى البحر، أو تهب إلى جهة الساحل ليرجع أهل السفن من أسفارهم أو صيدهم، فكل تلك الأحوال التي أنعم الله تعالى بها على الناس وغيرها اجتمعت في قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [البقرة:١٦٤].

السؤال الثاني:

ما الفرق بين كلمتي (ريح) و (رياح) في القرآن الكريم؟

الجواب:

١ـ كلمة (ريح) في القرآن الكريم تستعمل للشّر، كما في قوله تعالى في سورة فصّلت: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فُصِّلت:١٦] وفي سورة القمر: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾ [القمر:١٩].

٢ـ أمّا كلمة (الرياح) فهي تستعمل في القرآن الكريم للخير كالرياح المبشّرات، كما في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤] وفي سورة الأعراف: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ﴾ [الأعراف:٥٧] وسورة الحجر: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر:٢٢].

وفي سورة سبأ ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [سبأ:١٢] استعملت كلمة (ريح) مع سليمان، لكنها لم تُخصص لشيء فجاءت عامة قد تكون للخير أو للشر؛ لأنّ الله سخّرها لسليمان يتصرف بها كيف يشاء.

السؤال الثالث:

هل من تفاصيل أكثر عن الريح والرياح في القرآن الكريم ؟ وعن أسلوب كتابتها في المصحف ؟

الجواب:

أولاً :كلمة (ريح) اسم جنس إفرادي، قد تُجمع على رياح وأرياح وأرواح، مثل ماء يُجمع على مياه وأمواه.

ـ وجاءت في ٢٩ موضعاً، منها ١٠ مواضع للرياح حسب ما يلي :

موضع واحد :(رياح) بالألف، أي: رياح. الروم [٤٦].

٩ مواضع : (ريح) مع ألف صغيرة ﴿ ٱلرِّيَٰحَ ﴾ ، وتقرأ (رياح) كما يمكن قراءتها (ريح).

١٤ موضعاً : (ريح) بدون ألف صغيرة، وتقرأ (ريح) فقط.

٥ مواضع : (ريح) في معانٍ إضافية للريح.

ثانياً : كلمة (ريح) في القرآن الكريم تستعمل للشر كما في آيات : آل عمران [١١٧] فصلت [١٦] القمر [١٩] الحج [٣١] الإسراء [٦٩].

أمّا كلمة (رياح) فهي تستعمل في القرآن للخير كالرياح المبشرات، كما في الآيات : البقرة [١٦٤] الأعراف [٥٧] الحجر [٢٢] الجاثية[٥]النمل[٦٣] وهذه جاءت على صيغة ﴿ٱلرِّيَـٰحَ﴾ أي مع الألف الصغيرة وفي هذه الحالة يمكن قراءتها(ريح أو رياح) .

أمّا الآية الوحيدة التي جاء رسمها بالألف (رياح) الروم[٤٦] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فقد جمع الرياح لتعدد الرحمات.

وفي آية واحدة جاءت كلمة : (بريح طيبة) في قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس:٢٢] .

فقد جاءت كلمة ريح مع كلمة (طيبة) ـ بخلاف ما ذُكر أعلاه ـ لتتناسب مع سياق الآية فيما بعد ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [يونس:٢٢] لأنّ خاتمتها غير حميدة؛ ولأنه أعقبها بالشر.

أمّا آية سورة سبأ فاستعملت كلمة (ريح) مع سليمان عليه السلام، لكنها لم تخصص لشيء فجاءت عامة، فقد تكون للخير وقد تكون للشر؛ لأنّ الله سبحانه سخرها لسليمان يتصرف بها كيف يشاء .

ثالثاً :

آ ـ كلمة (ريح) جاءت في ١٤ موضعاً بدون ألف صغيرة، وهذه المواضع هي :

آل عمران [١١٧] يونس [٢٢] مرتان : القمر[١٩] الإسراء [٦٩] إبراهيم [١٨] فصلت [١٦] الحج [٣١] الروم [٥١] الأحزاب [٩] الشورى [٣٣] الأحقاف [٢٤] الذاريات [٤١] الجاثية [٦].

ب ـ وجاءت مع ألف صغيرة ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ في تسعة مواضع، وهي:

ـ البقرة [١٦٤] الأعراف [٥٧] الحجر[٢٢] الكهف [٤٥] الفرقان [٤٨] النمل [٦٣] الروم[٤٨] فاطر [٩] الجاثية [٤٥].

ج ـ جاءت بدون ألف صغيرة في خمسة مواضع بمعانٍ إضافية للريح، وهي :

يوسف [٩٤] ﴿رِيحَ يُوسُفَ﴾ .

الأنبياء [٨١] ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ .

سبأ [١٢] ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ .

الأنفال [٤٦] ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ .

ص {٣٦ } ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ .

عندما يكون هناك ألف صغيرة على كلمة ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ يمكن قراءتها (ريح) أو(رياح) .

لكن مع وجود الألف (رياح) لا يمكن قراءتها (ريح) بل (رياح).

السؤال الرابع:

ماتفسير هذه الآية الكريمة ؟ وما دلالة وصف السحاب في الآية ؟

الجواب:

في سورة البقرة وفي سياق تعداد نِعم الله سبحانه وتعالى، هناك نوع من التناسق في هذه الآيات ، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤].

١ـ تذكر الآية جملة أمور مؤكدة بـ﴿إِنَّ﴾ [البقرة:١٦٤] ثم بعد ذلك تذكر الخبر ﴿لَآيَاتٍ﴾ [البقرة:١٦٤].

٢ـ عندنا إيمان أنّ الله تعالى خلق السموات والأرض لأجل الإنسان.

٣ـ ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [البقرة:١٦٤] ليل ونهار يختلف، ليس نهاراً سرمداً ولا ليلاً سرمداً، تعاقب بين الليل والنهار وتنويع؛ لأنّ الماء إذا سكن في مكانه يفسد.

٤ـ ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾: من رحمة الله سبحانه وتعالى أنْ جعل الإنسان يصنع أجساماً يسكن فيها وتطفو على الماء ، وهذا ليس أمراً سهلاً لكننا أَلِفناه، والوصول إليه هداية من الله تعالى، فهي إذن من نعم الله تعالى على الإنسان.

٥ـ ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ﴾: كل ما يتناوله الإنسان والنبات والحيوان مما مصدره السحاب، فهذا الماء في الأرض ماء يرتفع إلى السماء فيطهر فينزل طاهراً، حتى الجبال التي فيها ثلج هي في أصلها من هذا السحاب المرتفع وليس ثلجاً ابتداءً لكنه من هذا الذي يتبخر، والسماء هو العلوّ وكل ما علاك فهو سماء.

﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: والأرض من غير ماء ميتة.

٦ـ ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾: المقصود هذه الدواب التي على الأرض بسبب الماء أيضاً.

٧ـ ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ﴾: السفن تتحرك بالرياح، والسحاب يتحرك بالرياح، ولذلك أكّده ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾ [البقرة:١٦٤] يعني هو مهيأ ومُعدّ لكم، وإنما الله تعالى سخّره بين السماء والأرض، كل هذا ﴿لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤] .

٨ـ وكلمة (سحاب) هي اسم جنس جمعي، لفظ مفرد ولكنْ معناه معنى جمع وليس له واحد من لفظه، والسحابة هي القطعة من السحاب لكن ليست كل واحدة من السحاب هي قطعة، والقطعة مجزّأة تماماً مثل كلمة ماء؛ لأنّ الماء اسم جنس جمعي ليس له واحد من لفظه.

واسم جنس يعني لحالة معينة خاصة به : السحاب للسحاب، والماء للماء لهذا الجنس، مثل كلمة رجل جنس لهذا المخلوق.

والسحاب يُذكّر ويؤنّث، فالعرب تقول: هذا السحاب، وتقول: هذه السحاب، ظهر السحاب وظهرت السحاب، لكنّ الإحالة عليه بالضمير بالمفرد المذكّر؛ يعني تقول: السحاب رأيته ولا تقول: السحاب رأيتها، فإذا جمعتَه على سُحُب تؤنّث، تقول: السحب رأيتها، ولا تقول: رأيته للجمع، كما تقول: الشجر سقيته، هذا أيضاً اسم جمع إفرادي: الأشجار سقيتها.

٩ـ هناك (ماء) في العربية وهناك (ماءة)، ويفرّق بينها وبين واحده بالتاء، كلمة (ماءة) يعني: الواحد من الماء، عادة يطلقونها على الماء المتبقي مثل الغدران، ولا سيما إذا خصت إحدى القبائل نفسها بها ، فيقولون: هذه ماءة لبني فلان.

السؤال الخامس:

ما الفرق بين ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ و ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا﴾ في آية البقرة ١٦٤، وآية العنكبوت ٦٣،وآية الروم ٥٠ ؟

الجواب:

استعراض الآيات :

آية العنكبوت: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت:٦٣].

آية الروم: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم:٥٠].

البيان :

١ـ التعبير ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ يفيد البعدية القريبة والبعيدة.

٢ـ والتعبير ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا﴾ فهي للبعدية القريبة فقط دون البعيدة و(من) للابتداء.

٣ـ ورد التعبير ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ في القرآن الكريم كله من دون (من) في تسعة مواطن، وهي : البقرة [١٦٤] البقرة[٢٥٩] النحل[٦٥] الروم [١٩] الروم [٢٤] الروم[٥٠] فاطر [٩] الجاثية [٥] الحديد [١٧].

بينما ذكر التعبير: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا﴾ في موطن واحد، وهو آية العنكبوت [٦٣].

٤ـ والسبب أنّ آية العنكبوت تدور حول المشركين الذين يشركون بالله ويعبدون معه آلهة أخرى، وهي تعجب من عقولهم وإظهار لمقدار باطلهم وتفكيرهم، في حين لو سألتهم: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [العنكبوت:٦١].

لذلك أدخل (من) في هذا الموطن للدلالة على مقدار قدرة الله وعظمتها وذلك أنّ قوله (أحيا الأرض بعد موتها) يحتمل الزمن بعد الموت بمدة قريبة أو بعيدة.

ولكن قوله: ﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا﴾ [العنكبوت:٦٣] معناه الإحياء بعد الموت بلا مهلة ولا فاصل، أي: أنّ الله قادر على أنْ يحي الميت فوراً بلا مهلة، وهذا أدل على قدرة الله، وإنْ كان كلاهما من قدرة الله وحده، وقد جاء بـ (من) في هذا المقام للدلالة على أنهم يشاهدون ذلك ويقرون أنّ الله يحي الأرض من الموت بلا مهلة.

❃❃❃❃

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [البقرة:١٦٥] أين جواب الشرط فى الآية؟

الجواب:

تأمل في قوله تعالى ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ فإنك لا تجد جواب (لو)، فالأصل في هذه الأداة (لو) أنْ تأخذ فعل شرط وجوابه، فتقول مثلاً: لو رزقني الله مالاً لتصدقت بنصفه، فلِمَ حذف جواب (لو) في الآية؟

لقد تم حذف جواب (لو) في الآية؛ لأنّ حذفه يوقع أثراً في نفس من وُجِّه إليهم الكلام أكثر مما لو ذكر جواب (لو)، كأنه يقال: "لرأوا أمراً عظيماً" أو غيره، فقد ترك القرآن الكريم للخيال أنْ يذهب كل مذهب في تصور شدة الموقف وفظاعته، وأنت عندما تهدد إنساناً بقولك: "لئن لم تفعل" ثم تسكت، يُحدِث كلامك أثراً في نفس السامع أكثر مما يُحدِث قولك: "لئن لم تفعل لأضربنّك".

❁❁❁❁

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الحسرة والندامة ؟

الجواب:

١ـ الحسرة هي أشد الندم حتى ينقطع الإنسان من أنْ يفعل شيئاً، والحسير هو المنقطع في القرآن الكريم، ويقولون هو من تبلغ به درجة لا ينتفع به حتى ينقطع.

٢ـ في الندم قد يندم الإنسان على أمر وإنْ كان فواته ليس بذلك، لكنّ الحسرة هي أشد الندم والتلهف على ما فات حتى قالوا :ينقطع تماماً، يقولون :هو كالحسير من الدواب الذي لا منفعة معه.

و الندم له درجات أيضاً ولكنّ الحسرة أشد الندم، وهي من الندم لكنّ أقوى من الندم ؛إذ تكون عندما يبلغ الندم مبلغاً، نحو قوله تعالى :

ـ ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة:١٦٧] أي: منقطعة ولا فائدة من الرجوع مرة ثانية.

ـ ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ [يس:٣٠] أي: هذه أكبر الحسرات وليس هناك أكبر منها .

❁❁❁❁

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾

السؤال الأول:

ما أهم النظرات البلاغية في الآية ؟

الجواب:

١ـ الحلال هو المباح وهو نقيض الحرام، والحرام قد يكون حراماً لخبثه كالخمر، وقد يكون حراماً لا لخبثه كملك الغير إذا لم يأذن في أكله، والحلال هو الخالي من القيدين.

٢ـ الطيب في اللغة قد يكون بمعنى الطاهر، والحلال قد يوصف بالطيب؛ لأنّ الحرام يوصف بأنه خبيث، والطيب في الأصل هو ما يُستَلَذُّ به ويستطاب.

٣ـ قوله تعالى: ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة:١٦٨] نُصِبَ على الحال مما في الأرض أو مفعول به.

٤ـ قوله ﴿خُطُوَٰتِ﴾ [البقرة:١٦٨] بضم الخاء والطاء، أو بسكون الطاء ـ والخُطوة من الأسماء لا من الصفات فيُجمع بتحريك العين، وأمّا من خفف العين فأبقاه على الأصل وطلب الخفة فلا بأس .

السؤال الثاني:

ما الأمور التي ذكرها الله في القرآن حول عداوة الشيطان المبينة الظاهرة ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة:١٦٨] بيّن العلة في هذا التحذير ؛ وهي كونه عدواً مبيناً.

٢ـ يلاحظ أن الشيطان التزم أموراً سبعة في العداوة، وهي :

آـ أربعة منها في قوله تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١١٩].

ب ـ وثلاثة في قوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف:١٦-١٧].

فلمّا التزم الشيطان هذه الأمور كان عدواً متظاهراً بالعداوة .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين كلمتي ﴿أَلْفَيْنَا﴾ في آية البقرة [١٧٠] و﴿وَجَدْنَا﴾ ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ وآية المائدة [١٠٤] ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ وآية لقمان [٢١] ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ ؟

الجواب:

١ـ الفعل (ألفى) في اللغة يستعمل في الأمور المادية فقط ، وقسم من النحاة يقولون: إنه لا يأتي في أفعال القلوب، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾﴾ [الصافات:٦٩] وقوله: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسف:٢٥] .

٢ـ أمّا كلمة ﴿وَجَدْنَا﴾ فهي تأتي مع أفعال القلوب، كما في قوله تعالى ﴿لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء:٦٤] وقد تأتي أحياناً في الأشياء الحسّية.

٣ـ وعندما يذكر القرآن كلمة ﴿ألفينا﴾ يريد أنْ يذمّهم أكثر وينفي عنهم العقل، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة:١٧٠] .

ولو لاحظنا آية سورة المائدة [١٠٣] ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ فالذي يُشرّع ليس عنده علم ولكن عنده عقل.

٤ـ وعندما يذكر كلمة (وجدنا) ينفي عنهم العلم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة:١٠٤] وكذلك في سورة لقمان ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان: ٢٠ ، ٢١] .

٥ـ وقد تنفي العلم عن أحدهم ولكنه يبقى عاقلاً ، لكن إذا نفى عنهم العقل أصبحوا كالبهائم، فكلمة ألفينا تأتي إذن في باب الذمّ.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ في آية البقرة[١٧٠] وبين ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ في آية المائدة [١٠٤] ؟

الجواب :

﴿يَعْقِلُونَ﴾ تعني ما ينشأ عن الفكر والتدبر، وليس كل الناس يستطيعون هذا ؛ ولذلك يأخذون القضايا مسلماً بها من غيرهم الذي عقل.

والذي يعلم أقل منزلة من الذي يعقل؛ لأنّ الذي عقل هو إنسان قد استنبط، وأمّا الذي علم فقد أخذ علمه من غيره لكنه لم يتعقله، لذلك نفيُ العلم عن شخص أبلغُ من نفي التعقل؛ لأنّ معنى (لا يعلم) أي: ليس لديه شيء من علم غيره أو علمه هو، أي: لا يعلم ولا يعقل كالحيوانات تماماً، بينما عندما يقول الحق: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ فمعنى ذلك أنه من المحتمل أن يعلموا.

مقارنه بين آية البقرة [١٧٠] وآية المائدة [١٠٤]

رد الله تعالى عليهم	ردهم	الكلمة
﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ [البقرة:١٧٠]	﴿نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا﴾ [البقرة:١٧٠]	﴿اتَّبِعُوا﴾ [البقرة:١٧٠]
﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [المائدة:١٠٤]	﴿حَسْبُنَا﴾ [المائدة:١٠٤]	﴿تَعَالَوْا﴾ [المائدة:١٠٤]
﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة:١٧٠]	من أي رسول	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ [البقرة:١٧٠]
﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [المائدة:١٠٤]	من أي رسول	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [المائدة:١٠٤]
للدلالة على أنّ هدى السماء لا يختلف بين من يعقلون ومن يعلمون	-	﴿وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ للآيتين

السؤال الثالث:

هل يختلف نوع المخاطب في آية البقرة [١٧٠] وآية المائدة [١٠٤] حتى اختلف الأسلوب في الآيتين ؟

الجواب:

آية البقرة ١٧٠.

تتحدث عن قوم بسطاء غُفْلٍ يمكن أنْ يتغيروا وأنْ يتعلموا وأنْ يهتدوا إذا وجدوا الرعاية والعناية، أي: أنّ الآية تتحدث عن الناس في أول الدعوة والذين اتبعوا ما صادفوا آباءهم عليه دون أن يكون لهم رأي أو تصميم سابق أو عقيدة سابقة، بل إنّ آباءهم أيضاً لا يعقلون.

وهذه الآية من سورة البقرة التي هي متقدمة في النزول على سورة المائدة ، وهي آخر سور القرآن نزولاً.

آية المائدة ١٠٤ .

تتحدث عن رؤوس الكفر وهم قساة الناس، و هؤلاء قولهم عن إصرار وعقيدة، وأنهم يعتقدون أنّ آباءهم قد اختاروا هذا الطريق عن علم ومعرفة، وانظر إلى الفروق بين الآيتين:

الموقف	آية البقرة	آية المائدة
الطلب	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾
الرد	﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾	﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾
الحجة	﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾	﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾

الملاحظات :

١ـ في آية البقرة أنت أمام قوم في أول الطريق لم يعتقدوا رأياً بعد، فيُقال لهم: اتبعوا ما أنزل الله، بينما في آية المائدة فهم في موقع اختاروه ورضوا به وتمسكوا فيقال لهم: دعوا ما أنتم عليه وتعالوا إلى ما أنزل الله.

٢ـ في الرد في آية البقرة نجد كلمة ﴿أَلْفَيْنَا﴾ أي: أننا وجدنا رأياً سابقاً وليس لنا رأي محدد فاتبعنا ما وجدنا عليه آباءنا.

أمّا في آية المائدة فكلمة ﴿حَسْبُنَا﴾ تعني: يكفينا، وهذا يدل على أنهم يعرفون ما هم فيه وما يدعون إليه وهم مقتنعون به؛ من أجل هذا قالوا: ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا﴾ [المائدة:١٠٤] أي: أنّ الأمر قائم ومستتب من قبل ولم يكن مفاجأة لهم.

٣ـ في آية البقرة استخدم ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ وفي آية المائدة استخدم ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ والذي لا يعقل يتعلم، أمّا الذي يعلم فقد عَلِمَ ودرس وفهم وتعلم وتمسك بما تعلمه.

٤ـ قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ﴾ في الآيتين هي واو العطف دخلت عليها همزة الاستفهام فنقلتها إلى معنى التوبيخ والتقريع، وإنما جُعلت همزة الاستفهام للتوبيخ؛ لأنها تقتضي الإقرار بشيء يكون الإقرار به فضيحة .

والله أعلم.

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ماذا تمثل هذه الآية من صور بيانية ؟

الجواب:

انظر في بديع التطبيق القرآني وعظيم بلاغة القرآن، وكيف أنّ آياته تصلح ألفاظها لمعانٍ كثيرة، فهذه الآية تحمل صورتين في وصف حال المشركين:

آـ صورة المشركين والنبي ﷺ يدعوهم للإيمان بالله تعالى، فحالتهم كحالة الأغنام التي لا تفقه دليلاً من صوت من يناديها ولا تدرك من كلامه معنى، إلا أنها تسمع أصواتاً لا مدلول لها عندها، فالكلام عندها أصوات مجرّدة عن المعاني.

ب ـ والصورة الثانية صورة المشركين وهم يدعون آلهتهم كمن يدعو أغناماً لا تفقه شيئاً ولا تُجيب داعياً.

السؤال الثاني:

ما دلالة الاختلاف في الترتيب بين آيتي البقرة [١٨] و [١٧١] ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ و آية الإسراء [٩٧] ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١٨.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾

السؤال الأول:

لِمَ قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ ولم يقل: (واشكروني) أو (واشكروا لي) باستخدام الضمير؟

الجواب:

ذكر اسم الله تعالى ظاهراً يوحي أنّ في الاسم الظاهر إشعاراً بالألوهية التي قد لا يؤديها الضمير، فكأنما يوميء أنّ الإله الحق هو المستحق للعبادة دون غيره من أوثان ومعبودات باطلة؛ لأنه هو الذي يخلق ويُنعِم فهو وحده سبحانه الذي يستحق الشكر على نعمائه.

السؤال الثاني:

في الآية قدّم المفعول به ﴿إِيَّاهُ﴾ على فعل العبادة ﴿تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ فما دلالة ذلك ؟

الجواب:

السبب أنّ العبادة مختصة بالله تعالى فلا يعبد أحد غيره ولا يُستعان بغيره، كقوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ وقوله في آية الزمر ٦٦ ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

السؤال الثالث:

قال الله في هذه الآية: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ﴾ وقال في آية النحل: ١١٤ ﴿وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ فما دلالة الفرق بين التعبيرين ؟

الجواب:

١ـ سياق آية البقرة هو الكلام عن الله تعالى، انظر الآيات: (١٦٥ـ ١٧١) فناسب الأمر بشكر الله.

٢ـ وأمّا سياق آية النحل فهو في الكلام عن النعم، انظر الآية ١١٢ ، حيث ذكر فيها القرية التي كفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف، فناسب الأمر بشكر النعمة لئلا يصيبهم ما أصاب مَنْ قبلهم.

٣ـ إضافة إلى أنه وردت كلمة ﴿النعمة﴾ في سورة البقرة ست مرات، بينما وردت في سورة النحل تسع مرات، فناسب كل تعبير مكانه .

والله أعلم.

❊❊❊❊

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى في آية البقرة [١٧٣]: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ وقوله تعالى في آية المائدة[٣]: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة:٣] ما دلالة التقديم والتأخير لـ (به) بين الآيتين ؟

الجواب:

١ـ لو لاحظنا السياق في المائدة نجد أنّ الكلام عن التحليل والتحريم ومن بيده ذلك، فرفض أي جهة تحلل وتحرم غير الله، انظر آيات المائدة:

ـ قال تعالى: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾ [المائدة:١] والمعنى أنه ليس لكم أن تُحِلّوا، والذي يُحِلّ هو الله تعالى فقط.

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾ [المائدة:٢] أي: الذي يُحِلّ هو ربنا سبحانه وتعالى.

ـ ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة:٤] إذن هو سبحانه يجعل التحليل والتحريم بيده حصراً.

فالسياق ليس هنالك أي جهة تقوم بذلك غير الله تعالى، ولذلك قدّم ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة:٣].

ولفظة ﴿أُهِلَّ﴾ يعني رُفِع الصوت بذبحه، أُهِلّ يعني أنْ تقول عند الذبح: باسم الله والله أكبر، هذا لفلان.

٢ـ إذن هنا قدّم ﴿لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنّ ربنا هو الجهة الأولى والأخيرة التي بيدها التحليل والتحريم، وليس لأحد آخر هذا الحق.

٣ـ أمّا في آية البقرة فالمقام هو فيها رزق الله تعالى عباده من الطيبات، وليس فيها تحليل وتحريم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البقرة:١٦٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ

ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة:١٧٢-١٧٣].

فقوله تعالى ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢] هذا طعام، ﴿كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة:١٦٨] هذا طعام، ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٣] هذه الذبيحة، ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٣] يعني ما رُفِع الصوت بذبحه فقدّم ﴿بِهِۦ﴾ [البقرة:١٧٣] لأنّ هذا طعام متناسب مع الطعام ومتناسب مع طيبات ما رزقهم.

٤ـ إذن في سياق التحريم قال: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة:٣] فقدّم ﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٣] لأنها الجهة الوحيدة التي تُحلل وتُحرم، والكلام في التحليل والتحريم، وهو سبحانه الذي يحلل ويحرم.

ولّما كان السياق في الأطعمة قدّم الطعام ومنها الذبيحة، فقال: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ﴾ [البقرة:١٧٣] يعني الذبيحة.

٥ـ ومسألة الذبح في الآيتين متعلقة بالله تعالى أو بغير الله سبحانه وتعالى، لكنّ التقديم والتأخير متعلق في سياق التحليل والتحريم أو في سياق الطعام.

السؤال الثاني:

فاصلة هذه الآية في البقرة ١٧٣، وفي المائدة ٣، وفي النحل ١١٥، هي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ بينما فاصلة آية الأنعام ١٤٥ هي ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ فما السبب؟

الجواب:

١ـ إن آيات البقرة والمائدة والنحل هي خطاب من الله للناس، فناسب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

بينما آية الأنعام ١٤٥وهي قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ بدأت بلفظة (قل) وهي خطاب للرسول ﷺ فناسب ختمها بقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

٢ـ ومن أسباب هذا الاختيار - والله أعلم - أنّ لفظ (الله) تردد في البقرة أكثر مما تردد في الأنعام، وأنّ لفظ (الرب) تردد في الأنعام أكثر مماتردد في البقرة ـ وإليك البيان :

اللفظ	عدد التكرارفي البقرة	عدد التكرار في الأنعام
الله	٢٨٢ مرة	٨٧ مرة
رب	٤٧ مرة	٥٣ مرة

فناسب أنْ يضع كلمة (الله) في البقرة، وكلمة (رب) في الأنعام .

٣ـ إضافة إلى ذلك، فإنّ آية البقرة في سياق العبادة، ولفظ (الله) أولى في هذا السياق؛ لأنه من الألوهية، والألوهية هي العبادة، قال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة:١٧٢] ولمّا قال في سورة النحل: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [النحل:١١٤] قال بعدها: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل:١١٥] .

وأمّا سياق آية الأنعام ففي الأطعمة، ولفظ (الرب) ألصق بهذا السياق؛ لأنّ الرب من التربية والتنشئة.

السؤال الثالث:

ماعلاقة أول الآية بخاتمتها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾ ؟ والمغفرة والرحمة تقتضيان ذنوباً، وما سبَق في الآية هو تشريع بإباحة الميتة عند الضرورة فلا ذنب .

الجواب:

إذا كان الله يغفر مع الذنب، أفلا يغفر مع الضرورة التي شرع لها الحكم؟!!!.

الله سبحانه وتعالى غفورٌ في الأصل أفلا يغفر لمن أعطاه رخصة ؟ إذن هو غفورٌ رحيمٌ ولن يكتب على المضطر ذنباً من جراء اضطراره، ورحمة الله هي التي تغفر للعاصي، هو سبحانه الذي كتب المغفرة لمن اضطر وكسر قاعدة التحريم عند الاضطرار.

السؤال الرابع:

لماذا قدّم المغفرة على الرحمة في آية البقرة ١٧٣، وآية النساء ١٠٠، وقدمت الرحمة على المغفرة في آية سبأ ٢؟

الجواب:

تقدمت المغفرة على الرحمة في آيات كثيرة في القرآن الكريم، وسبب ذلك – والله أعلم– أنّ المغفرة سلامة والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة .

في آية سبأ ٢ ، وهي قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ٢﴾ فقد تأخرت المغفرة عن الرحمة؛ وذلك أنّ جميع

الخلائق من الإنس والجن والحيوان وغيرهم محتاجون إلى رحمته، فهي برحمته تعيش وتحيا وبرحمته تتراحم، وأمّا المغفرة فتخص المكلفين؛ فالرحمة أعم .

السؤال الخامس:

في الآيات التالية [البقرة ١٧٣ـ البقرة ١٨٢ـ البقرة ١٩١ـ آل عمران ٨٩ـ المائدة ٣] قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ مؤكَّدة بإنّ، بينما قال في آية النحل ١٨ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ فأكدها بإنّ واللام، فلماذا ؟

الجواب:

القاعدة اللغويـــة:

يستعمل القرآن الكريم تخفيف التوكيد أو زيادته حسب مقتضى الحال، فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة:١٧٣] مع التخفيف و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل:١٨] مع زيادة التوكيد بزيادة اللام .

البيـــان: في آيات البقرة وآل عمران والمائدة والأنعام، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ فأكدها كلها بإنّ وحدها، في حين قال في سورة النحل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فأكدها بإن واللام .

وسبب ذلك أنّ سياق آيات النحل هو في تعداد نعم الله على الإنسان ورحمته به ولطفه بخلقه، فقد ذكر خلق الأنعام وما فيها من منافع للإنسان، وذكر منافع الزروع وذكر نعمته عليه في البر والبحر وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى من النعم، فناسب ذلك تأكيد المغفرة، وليس السياق في الآيات الأخرى كذلك .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

قوله تعالى: ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ ما الذي أخذوه؟ وما الذي تركوه؟

الجواب:

القاعدة تقول: إنّ الباء مع الذاهب، كأنْ تقول: اشتريت الكتاب بألف، فالذاهب هو المال والمشترى هو الكتاب.

وفي الآية اشتروا الضلالة وخسروا الهدى، واشتروا العذاب وخسروا المغفرة، نسأل الله العافية .

السؤال الثاني:

ما نوع الاستفهام في الآية: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ ؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ هو استفهام للتعجب بقصد التوبيخ، والمعنى: ما الذي أصبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل .

٢ـ للتعجب صيغتان : ما أفعَلَه، وأَفعِل به.

شواهد قرآنية :

﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ [البقرة:١٧٥].

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم:٣٨].

السؤال الثالث:

ما إعراب ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ﴾ وإعراب ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ﴾ ؟

الجواب:

١ـ إعراب ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ﴾ :

ما : اسم نكرة للتعجب بمعنى: شيء عظيم، في محل رفع مبتدأ.

أصبر : فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره: هم، والهاء مفعول به، والجملة: خبر (ما) .

٢ـ إعراب ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ﴾ :

أسمِع : فعل ماض جامد، جاء على صورة الأمر، مبنيٌّ على الفتح المقدر.

بهم : الباء حرف جر زائد، والهاء ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل.

❋❋❋❋

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الوصف بالبعيد فى هذه الآية؟

الجواب:

تأمل كيف وصف الله تعالى الشقاق بأنه بعيد ولم يصفه بـــ (كبير أو عظيم)، أو ما شابه ذلك من أوصاف، وفي ذلك مجاز عقلي يعطينا عمقاً آخر وتصوراً لبُعد صاحبه عن الوفاق، وبياناً للهوّة الواسعة التي يسقط فيها أولئك المختلفون في الكتاب، فالشقاق في القيم المنهجية السماوية هو هوّة كبيرة وإذا ما وقع فيه البشر فلن يستطيعوا أن يُصلحوا فيما بينهم، ومن هنا كانت شقة الخلاف واسعة لا يقدر على حلها إلا الله سبحانه وتعالى، وهذا ما عبّرت عنه الآية بوصف الشقاق بأنه بعيد.

فهرس المحتويات